g

# سعيد بن جبير

## شيخ التابعين وإمام القراء

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٥ - ٢٤٤٣

| | |
|---|---|
| مصدر الفهرسة: | IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda |
| رقم استدعاء مكتبة الكونجرس: | BP 33 .S291 B3 2015 |
| المؤلف الشخصي: | البياتي، سلام محمد علي |
| العنوان: | سعيد بن جبير: شيخ التابعين وإمام القراء |
| بيان المسؤولية: | تأليف سلام محمد علي البياتي؛ [تقديم اللجنة العلمية. السيد محمد علي الحلو]. |
| بيانات الطبعة: | الطبعة الأولى |
| بيانات النشر: | كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ١٤٣٧هـ= ٢٠١٦م |
| الوصف المادي: | [٢٨٥] صفحة |
| سلسلة النشر: | قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ (١٦٧) |
| تبصرة ببليوغرافية: | يحتوي على هوامش – لائحة مصادر ( الصفحات ٢٦٣ – ٢٧١). |
| موضوع شخصي: | سعيد بن جبير، ٤٥ – ٩٥ هجرياً. – نقد وتفسير. |
| موضوع شخصي: | سعيد بن جبير، ٤٥ – ٩٥ هجرياً. – تفسير. |
| موضوع شخصي: | الحجاج بن يوسف الثقفي، ٤٠ ؟ - ٩٥ هجرياً – سياسته وحكومته. |
| موضوع شخصي: | ابن الاشعث، عبد الرحمن بن محمد، - ٨٥؟ - ثورة القراء. |
| مصطلح موضوعي: | التابعين واتباع التابعين – نقد وتفسير. |
| مصطلح موضوعي: | المفسرون الشيعة – القرن ١ هجرياً |
| مصطلح موضوعي: | تفاسير الشيعة – القرن ١ هجرياً – تاريخ ونقد |
| مصطلح موضوعي: | الامويون – تاريخ – القرن ١ هجرياً |
| مصطلح موضوعي: | العلماء والمجتهدون – نقد وتفسير |
| مؤلف اضافي: | الحلو، محمدعلي، ١٩٥٧ - ، مقدم |

**تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة**

# سعيد بن جبير

## شيخ التابعين وإمام القرّاء

(٤٧هـ - ٩٥)

تأليف

سلام محمد علي البياتي

إصدار
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م




العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

تنويه: إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

## مقدمة اللجنة العلمية

في العقود الأخيرة للقرن الهجري الأول تصاعدت النقمة الجماهيرية ضد الحكم الأموي، بعد أن أحالت ثورة الإمام الحسين عليه السلام مشاعر الناس إلى أدوات ضاغطة باتجاه إضعاف الحكم الأموي الذي تزعمه البيت المرواني بعد نهاية آل أبي سفيان بموت يزيد وظهور الصراع بين آل مروان ومناصري الحكم الأموي من جهة وبين آل الزبير ومعارضي الأمويين من جهة أخرى، وتنامت حالة المعارضة الفكرية الى معارضة مسلمة أقضت مضاجع الامويين، وفجأة تبرز حركة ثورية معارضة أخرى بزعامة عبد الرحمن بن الأشعث الذي خلع الحجاج في الكوفة وآزرته جميع التوجهات المعارضة للحجاج الذي أوغل في دماء المسلمين، وأنهك المجتمع الكوفي بتعسفه وجبروته حتى وجد الناس أنفسهم في بلاء لم ترفعه المعارضة المسلحة وهي بانتظار من يقودها باتجاه التغيير والإصلاح، وفعلاً كانت حركة عبد الرحمن بن الأشعث قد حققت طموحات الثائرين عندما خلعت الحجاج واستولت على الكوفة ولما ردت الحجاج وجنوده المرتزقة، وانهزم الحجاج حتى ساوم عبد الملك بن مروان على أن يعزل الحجاج ويعطي لعبد الرحمن بن الأشعث ما يريد الا أن قراء الكوفة أصروا على مواصلة القتال وكان على رأسهم سيد القراء وأشهرهم الذي عرفته الكوفة وأجيالها القادمة بطلاً كما هو عابداً، وقارئاً، كما شجاعاً،

ومقاتلاً كما هو متنسكاً، وأحرز سعيد وأصحابه تقدماً على صعيد القتال لولا الأقدار التي حالت بينه وبين النصر النهائي الذي توقعه الجميع لسعيد ولأصحابه، وانتهت المعركة بأن سجّل سعيد نصراً آجلاً تستذكره الأجيال كلما مر اسم سعيد على ذهنها، وبات هذا الرمز تنصع حقائقه كلما حاول الأمويون الطعن فيه، والنيل من شأنه، وكأنما ملحمة سعيد بن جبير أيقظت الضمائر الراقدة في سبات الاستكانة والتسليم، لتنتفض لسعيد ولتاريخه المشرق، ولم تزل مواقفه أنموذج العالم الذي دعاه علمه لقول كلمة الحق وإعلانها بوجه الحاكم الجائر الذي استعبد البلاد، وأذل العباد، وجعل ناسها شيعاً يقتل بعضهم بعضاً، ويكفّر بعضهم بعضاً، وقد أطاح سعيد بأُسطورة الخلافة التي ادعاها الأمويون وورثها المروانيون، واستطاع أن يهزم جبروت الحجاج وأن يكسر هيبته، وعرف المسلمون شخصية سعيد، واختص بها العراقيون، وذاب فيها الواسطيون، فالمسلمون عرفوه ثائراً، خرج على ظلم الحجاج وتعسفه، والعراقيون ألفوه عالماً ثائراً، وموالياً لأهل البيت عليهم السلام محدثاً عنهم، والواسطيون لا زالت دماؤه الزكية تستنشقها أجيالهم لتذكي فيهم روح الولاء وكان أحدهم وهو الاستاذ سلام محمد علي البياتي قد حفّزته ذاكرته التي تعيش بين أوساط ضريح سعيد الطاهر، وتستزيد من ولائها ولاءً يُضاف إليه ليحبّر كتابه الموسوم سعيد بن جبير شيخ التابعين وإمام القراء، سارداً لنا من تاريخه نفحات، ومن علومه شذرات، ومن مواقفه ما أبهر العقول وقطع دابر الإشكالات، واستطاع أن يقدّم دراسته وهو يرفل بحب سعيد كما قد رفل بولاء ساداته الميامين أئمة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين.

**عن اللجنة العلمية**

**السيد محمد علي الحلو**

بسم الله الرحمن الرحيم

## تصدير

وَلَجْتُ الحياة الجامعية طالبَ علم يَضرِبُ في أهدافِه خَبْطَ عَشواءَ، ولا سلاح لدَيْهِ إلاّ فِطرَةٌ فتيّةٌ وعَقْلٌ مُتَحَفِّزٌ للتفاعَلِ والتطور؛ وكنت أحسبهَا سنوات من الجلوس على المقعد الدراسي تعقبه شهادة جامعية تشبع الغرور العلمِي الذي يَعْتَوِرُ الشبابَ في أوّلِ سفرهم في الحياة الجامعيّة.

ولكن بعد بضع محاضرات بدأت تتكشف أمامي معالم الطريق الذي ولجته؛ فإذا بِهِ طريق واسع طويل فيهِ رجالٌ عاهدوا اللهَ على الأخذِ بيَدِ أمثالي في مفازتِهِ، يدلونهم على معالمه؛ فبدأ تفكيري يتبلوَر وهدفي يتكشّفُ عَنه غمام الغرور؛ فاستبدلتُ بالغرور سلاح الطموح أصقله وأشحذه بالسهر والمثابرة والعمل الجدّي والسير الحثيث؛ أمَحِّصُ كل خطوة أخطوها مخافة أنْ تَزِلَّ قَدَمٌ في مهالك جهل، أسْعِف رحلتي بالمشورة والوعي والإقتداء والطاعة لأساتذتي غير كالٍّ ولا مالٍّ؛ تحفزني الغِبْطَةُ للمستشار حين أستشعر صواب المشير مُتمثّلاً بيقينِ الإشارةِ راجعتُ نفسي؛ تُرى هل أصلح لعمل نافع أشعر بعد إنجازه بالفخر والاعتزاز بما بذلته فيه من جُهْد!!

لا أدري؛ ولكن لِمَ لا أجَرِّب حظي مستفيداً من ظروفي عبرةً؟ فأنا شابٌ غادرتُ مسقط رأسي مدينة الحي - حي واسط - مثل كثير غيري، سعياً وراء لقمة

العيش الأفضل وأملاً في فرصة علمٍ تسنح في حاضرة كبيرة مثل بغداد، ولم يكن لرحيلي أنْ يترك فراغاً يخشى خطرهُ ولا زَوبعة يُتَحاشى ضَجيجُها! وسألتُ نفسي؛ لو سألني سائل: ما الذي حصدته في رحلتك؟ وهل وَفَّرْتَ بعضاً لِتَبْذُرَهُ في وطنِك ليزهوَ فوق قبرك؟؟؟ لا شيء! إذن لِمَ لا أوظِّف ما يُصَبُّ في إناءِ ذِهني من العِلمِ عسى أن أكون ممن أسهم في وضع لَبناتٍ في صرح خير أمَّةٍ أخرِجت للناس! ونشأت فكرةُ الكتابة عن جاري ونزيل داري (سعيد بن جبير).

وبدأت البحث ومشورة شيوخي وأساتذتي وهم يُزْجُون بي ألاّ أكبو ويَرعون مسيرتي خطوة خطوة، ونقلة نقلة.

وكثرت البحوث وتنوعت الأطعمة وهي ما تَزْدادُ إلاّ لذاذة؛ ولكن بحثي عن سعيد ظل يُسايرها ويُلازمُها ملازمة الماء للآكل الأكول، فكان رسالة تخرجي؛ تدفعني إليه رغبة في إصداره كتاباً وإن ظلّت لهفة الإحاطةِ بأصول البحث العلمي لا تفارقني.

ولذا تجدني أكتب هذا البحث ولست مُطمئناً للأرض التي أسيرُ عليها، ولا خَلِيَّ بالٍ من خوف التخبّط وإنْ كنتُ غير مبال بالجهد والتَعب بعد ما خرجت بحصيلة هي أنّ العقلَ آلةٌ خارقة القوة لا يصح التفريط بها أو تركها بلا تغذيةٍ أو شحذٍ، وإلاّ رانَ عليها الجهلُ بِدَرَنِهِ.

وأخيراً فلا فخر لي إلاّ بشيوخي وأساتذتي، ولهم لا لغيرهم فضل ما صرت إليه وما برزت فيه بين أقراني في الدراسة وأنا أستغلّ آلة العقل التي صقلتها وضبّطتها عقولٌ نيرة كتب الله لها درجات من الفضل فاقت ثواب المجاهدين لأنّ مدادَ يراع أولئك العلماء يُوزَنُ بدم الشهداء فيما عملوا فجزاهم اللهُ عَنِّي خيراً.

# المُقَدِّمَةُ

لو عَرَّجَ الزائر من بغداد إلى محافظة واسط جنوباً إلى مدينة الحي على شط الغرّاف حتى يبلغها، فإن هو أرسل النظر جنوبها فستثيرُ انتباهَهُ قُبَّةٌ سامقة على بُعْدِ ميلٍ واحد من مركزها ولو تحرّى متسائِلاً عنها لَطَرَقَ سَمْعَهُ اسمٌ يُثير دهشته - إنْ كان مِمَّنْ أَلَمُوا ولو بنزرٍ ضئيل أو يسير من تُراث أمّتنا - مرقد التابعي سعيد بن جبير!!!

ويتساءَل المشاهدُ مَبْهُوراً؛ ترى كيف تسنى لقبر سعيد بن جبير أنْ يبقى قرابة ١٣٠٠ عامٍ يصارع الزمن؟

عندئذٍ سيجد الجواب في شخص سعيد نفسه؛ فسعيد بن جبير ليس بالنكرة الذي لا يُعني المؤرخين شأنُهُ كشأن من عاشوا وماتوا مغمورين لا هَمَّ لهم إلاّ أنفسهم لم تكن لهم أدوار مشرقة أو حتى متميزة في شكلها أو وجودها أو أثرها؛ فمثل (سعيد بن جبير) لا يُنسى ولا يُهملُ قبره لسبب من الأسباب ليندرس ويتعب المؤرخين تحديد هويّته.

إنَّ سعيدَ بن جبير كان علماً من أعلام الاسلام[١]، أنصفه الله وخلد ذكره

---

(١) مجمع البيان، تأليف: الحسن رضي الدين الطبرسي: ج١٠، ص٥٥٩، ط ١٣٨٢هـ، طهران.

فجاوره الطيّبون وحافظ على ذكره المؤرخون، وأنصفوه في كل شيء - إلاّ بعض من عَمَّمَ ولم يخصِّصْ وخلط ولم يُمَحِّصْ حين صَوَّر سعيداً واحداً من الذين (...كانوا يتسببون أحياناً في خلق روح الكراهية والعداء من الأمويّين...)[١].

وصوّروا مثلاً بقصة سعيد مع الحجاج فصار الحجاجُ محسناً وسعيد خارجاً عليه[٢].

وليس عجباً أن ينفردَ سعيد بن جبير بهذه المنزلة بين أعلام الإسلام، فهو أعلمُ التّابعين على الإطلاق[٣]، وخاصّة في علم التفسير[٤].

وكان يُسمّى جَهْبَذ العلماء[٥]، وكانَ يختم القرآنَ في ليلتين[٦]، وكان يؤم الناسَ في شهر رمضان[٧].

وسعيد اتّفق المسلمون على ثقته[٨]؛ فهو ثقةٌ ثَبتٌ فقيهٌ، جليل القدر متأكد

---

(١) الموالي في العصر الأموي، تأليف: محمد الطيب ابن النجار: ص٤٣، ط ١٣٨٤هـ - ١٩٤٩م، القاهرة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) إيمان أبي طالب عليه السلام، تأليف: فخار بن معد الحائري: ص٣٢١، ط ١٣٨٤هـ -١٩٦٥م، النجف الأشرف. الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي: ج١، ص٣٦٩، ط ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م، القاهرة.

(٤) المنتخب من كتاب ذيل المذيّل، تأليف: محمد بن جَرير الطبري: ص١٢٥، ط ١٣٥٨هـ - ١٩٣٨م، القاهرة.

(٥) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، تأليف: محمد بن علي بن شهر شوب: ج٥، ص٧٠، طبعة حجرية، طهران.

(٦) الطبقات الكبرى، تأليف: ابن سعد: ج٦، ص٢٥٩، ط ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م، بيروت.

(٧) مجمع البيان، تأليف: الطبرسي: ج١٠، ص ٥٥٨.

(٨) مجمع البيان للطبرسي: ج١٠، ص٥٥٩.

متمحّص[١]، حتى لتراه بين التّابعين كأبي ذرّ بين الصحابة في صفاته، فلقد كان مستقيماً غير متزلزل في إيمانه[٢]، تلقّى العِلمَ عن الإمام السجاد عليه السلام، وابن عبّاس[٣] وعبد الله بن عمر[٤] وغيرهم حتى وَصَلَ منزلةً جعلتْ ابنَ عباس يجيز له أن يُحَدِّثَ في حضرته، إلاّ أنّ أدبَ سعيد كان يمنعه فيعتذر ويقول:

(أحَدِّثُ وأنتَ ها هُنا؟)، فيرد عليه ابن عباس مُشَجِّعاً: إنْ أصَبْتَ فَذاكَ؛ وإنْ أخطأتَ عَلَّمْتُكَ)[٥].

وليس هذا فحسب، بل كان ابن عباس يدفعُ إليه أهل الكوفة إذ يقول لهم: تسألوني وفيكم ابنُ أمّ دهماء[٦] - وهو لقبُ سعيد اشتهر به - بهذه الصفات ارتفعَ إلى إمامةِ المصلّين في الكوفة ثم إلى ولاية القضاء[٧]، حتى نَحّاهُ الحجاج لألْسِنَةِ من عادوا إلى ضلالة الجاهلية وَعَنَنِها[٨]؛ إذْ عَزّ عليهم أنْ يَرَوْا أسوداً حَبَشياً يرقى إلى هذا المنصب، حتى لو كان ذلك بفضل الإسلام.

استقضى الحجاجْ مكانه أبا بُردة بن أبي موسى الأشعري على أن يأخذ هذا

---

(١) تهذيب التهذيب، تأليف: ابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١. الطبقات الكبرى، تأليف: ابن سعد: ج٦، ص٢٥٩.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ج١٠، ص٥٥٩.

(٣) إيمان أبي طالب عليه السلام للحائري: ص٣٢١.

(٤) وفيّات الأعيان، تأليف: ابن خلكان: ج٢، ص١١٢، ط ١٢٩٩هـ، القاهرة.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٦.

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨. المعارف، تأليف: ابن قتيبة: ص١٩٧، ط ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م، القاهرة.

(٧) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٢.

(٨) العَنَنُ: السباب.

بِمَشْورةِ سعيد بن جُبير وينتفعَ بعلمهِ[(١)].

كان سعيدُ أحدَ أشهرِ خَمسةٍ عاصروا الإمامَ السّجّاد عليَّ بْنَ الحسين عليهما السلام، وهم سعيدَ بن المسيب، وسعيد بن جبير، ومحمد بن جبير بن مطعم، ويحيى بن أم الطويل، وأبو خالد الكابلي[(٢)].

وكان سعيد بن جبير يأتم بعلي بن الحسين عليه السلام، وكان الإمام يُثني عليه[(٣)]. ويرى بعض المؤرخين أن الحجّاج قَتَلَهُ لهذا السبب[(٤)].

(ولمّا ازدادَ جَوْر بني أمية وتجبّروا على العباد واستذلوا المسلمين وأماتوا الصلاة قاتلهم سعيد بن جبير مع ابن الأشعث وكان هذا حافزاً للحجّاج على قتله[(٥)]، وقد تمكن منه بعد فشل ثورة ابن الأشعث بعد سنوات، وذلك حين قبض عليه خالد بن عبد الله القسري - إذْ كان عامل الوليد على مكة - وسلمه إلى الحجاج فقتله[(٦)]، وَدُفِنَ في ظاهر واسط[(٧)].

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٥. تاريخ الكوفة، تأليف: حسين بن أحمد البراقي: ص٢٩٩، ط ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، النجف الأشرف.

(٢) قاموس الرجال، تأليف: محمد بن عمر الكشّي: ص١١٠، طبع في كربلاء.

(٣) قاموس الرجال، تأليف: محمد تقي التستري: ج٤، ص٣٥٤، ط ١٣٤٠هـ، طهران.

(٤) قاموس الرجال للكشي: ص١١٠. الاختصاص، تأليف: الشيخ المفيد: ص٢٠٥، ط١٣٧٩م، طهران. منتهى المقال، تأليف: الشيخ أبي علي الحائري: ص١٤٦، ط ١٣٠٠هـ، طهران.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٧. الكامل في التاريخ، تأليف: ابن الأثير: ج٤، ص١٣٠، ط ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، بيروت.

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٤. تاريخ الرسل والملوك، تأليف: الطبري: ج٦، ص٤٨٨، ط ١٩٣٩م، القاهرة.

(٧) الرجال، تأليف: محمد بن الحسن الطوسي: ج٣، ص٩١، ط ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، النجف الأشرف.

وذلك في عام (٩٥هـ)[١]، وكان سعيد ابن تسع وأربعين سنة[٢].

ولم يقتل الحجاج بعده أحداً وكان سعيد قد دَعا عليه في حضرته قائلاً قبل أن يقتله؛ (اللهمَّ لا تسلطه على أحدٍ يقتله بعدي)[٣].

(ومات سعيد وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها مُحتاجون إلى علمه)[٤].

وهلك الحجاج بعده بمدّةٍ وجيزة[٥] لم يعرفْ خلالها طَعْماً للنوم وكان كلما نام رأى سعيد بن جبير يأخذ بمجامع ثوبه وهو يقول له: فِيمَ قتلتني يا عدو الله! فيهبّ الحَجّاجُ مذعوراً وهو يَصيح: ما لي ولسعيد بن جبير، ما لي ولسعيد بن جبير، إلى أن أزاحَ الله ظله وظلمه ولم يَبْقَ إلاّ تأريخه الأسود.

أمّا سعيد فقد ظلّ ذكرهُ باقياً، صار مَزاراً للمسلمين يُجَدِّدون عمارته بين حين وآخر حتى هَيَّأ الله له أحد الأتقياء - وهو كنعان أغا - فبنى فوق القبر قُبة

---

(١) مروج الذهب تأليف: علي بن الحسين المسعودي: ج٣، ص١٠٥، طبع القاهرة. الرجال للطوسي: ج٣، ص٩٠-٩١. البيان والتبيين تأليف: الجاحظ: ج٣، ص٦٣، ط ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، القاهرة. إيمان أبي طالب للحائري: ص٣٢١. مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، تأليف: عبد الله بن أسعد اليافعي: ج١، ص١٩٦، ط ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، بيروت. وفيّات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٦. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١٣. تذكرة الحفاظ، تأليف: شمس الدين الذهبي: ص٧٦، ط ١٣٧٤هـ، بيروت.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٦. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٦.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص١٠٢.

(٤) الطبقات الكبرى لان سعد: ج٦، ص٢٦٦. رجال الطوسي: ج٣، ص٩١. حياة الحيوان الكبرى، تأليف: كمال الدين الدميري: ص١٧١، ط ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، القاهرة.

(٥) وأمر هلاك الحجاج ليس من الصعب تحديد وقته لأن سعيداً كان قد دعا اللهَ أن لا يسلطه على أحدٍ بعده وقد استجاب اللهُ دعاءَ سعيد عليه - لأن سعيداً كما سيمرُّ بنا مستجاب الدعاء منذ شبابه - كما سيأتي تفصيله.

فخمة (عام ١٠٥٣هـ - ١٦٤٣م)[1].

وفي عام (١٩٠٠م) أُرْفِقَ بالقبة مسجد مسقوف بقباب صغيرة معقودة بالآجر شبيهة بالسقوف ذات الريازة العباسية القديمة؛ شيَّدَتْهُ أسرةُ آل شعرباف.

وفي عام (١٩٦١م) بدأ أهل مدينة (حي واسط) بتجديد عمارة المرقد؛ وعند عملية الحفر عثروا على بئر قديم مندثرة تقع على بعد أمتار من القبة القديمة فأعيد ترميمها وعادوا لاستعمالها وخاصة صيفاً عند انقطاع الماء في نهر البترة الذي يبعد حوالي ١٠٠م جنوب المرقد.

والمرقد الآن تتولى رعايته مديرية الأوقاف العامة ولجلال قدر سعيد بن جبير انتشرت حوله مدافن الموتى ممن يتبرك ذووهم بدفنهم حول ضريح هذا العالم الشهيد.

وبعدُ؛ فقد سعيت جهد الإمكان أنْ ألتَزِمَ الأسلوب العلمي في بحثي عن شخصية سعيد بن جبير.

لقد قسمت بحثي هذا إلى سبعة فصول:

تناولت في الفصل الأول من البحث: اسمه وشهرته ثم نشأته ودراسته، وقابليته العلمية وتبلور شخصيته كعلم من أعلام الإسلام وألحقتُ بالفصل المراجع والمصادر التي اعتمدتها فيه.

وذكرت في الفصل الثاني نتاجه الفكري وأثرَهُ كراويةٍ للتفسير وأسلوبه كمفسّر ومنزلته بين مُفَسِّري عصره، وناقشت ما ذكِرَ من روايات حول تأليفهِ كِتاباً في التفسير وما قيل عن ضياعه وإمكانية تحقيقه من بطون التفاسير اعتماداً على من أخذ عنه.

وذكرت في الفصل الثاني أيضاً، أعلميَّتَهُ بأسباب النزول للآيات والسور وما

---

(١) تاريخ عمارة القبة والضريح كان محفوراً على قطعة من المرمر في الجهة الشرقية من القبر الذي كان مترين في متر حسب مشاهدتي له قبل تجديده حديثاً.

رواهُ في ذلك وأسلوبه في الرّبط بين الخاص والعام من الأغراض التي تسببت في نزول بعض السُّوَر والآيات مع ذكر الشواهد على ذلك.

ثم تطَرّقت في هذا الفصل إلى أثره في علم القراءات وإلى منزلته في هذا الباب ومدى ما بلغه وما انفرد به من قراءات مقارنة بقراءةِ شيخِهِ عبد الله بن عباس وشيخ شيخه علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولم أنسَ أن أبدأ هذا الباب المهم بمدخل رأيته مُكَمِّلاً لأركان البحث لتمام الموضوع سَمّيته (إختلاف الآراء في قراءة سعيد وقراءة غيره) وَذَيَّلتُهُ ببحث مقارن، ثم ألقحتُ به (دَوْرُ سعيد في نشوء علم القراءات) ثم أنهيت الباب بِنَماذج مقارنة.

كما تَطَرَّقْتُ في هذا الفصل إلى مكانةِ سعيد بَيْن المُحَدِّثين وأثرِهِ في علم الحديث، ألحَقْتُ به نماذج مختارة من روايته في الحديث وأنهيتُ البابَ بأسماء من رَوَوْا عنه.

وتناولتُ في الباب الأخير من هذا الفصل آراءَ سعيد الفكرية في المجتمع والسلوك الإنساني، ثم تطرقت إلى فُتياهُ، وبعدها تحدثت عن صَلاته ودعائه وكيفية تأديته الفروض العبادية، وختمت الفصل الثاني بهامش للمصادر الخاصة بالفصل.

أمّا في الفصل الثالث: فتناولتُ بالبحث، صلة سعيد بمشاهير عصره وصلته بالحجاج والتي حاولتُ فيها تحديد الجذور التاريخية لها قبل أن يبرز الحجاج على المسرح السياسي والياً للأمويين؛ كما بيّنت نوع هذه الصلة وكيفيّتها وتطورها.

وتحدّثت في نهاية الفصل عن اشتراك سعيد في ثورة ابن الأشعث والأسباب التي دفعت سعيد للمشاركة في الثورة ومركزه الحربي في كتيبة القرّاء، ثم ختمتُ الفصلَ الثالثَ بالكلام عن أسباب فشل الثورة وتفرق رجالها، واختفاء سعيد بن جبير عن عيون الحجاج وجواسيسه.

وفي الفصل الرابع: عالجتُ فترة الاعتزال السياسي والتخفّي التي عاشها سعيد والتي دامت اثني عشر عاماً ظلّ يتنقّل فيها بين الأمصار بحثت فيها نوع نشاطه، ومن ثم اتصاله بالإمام علي بن الحسين عليه السلام وشكل هذه الصّلة وما ترتّب عليها من أمور ودور عمر بن عبد العزيز في حماية سعيد.

وفي الفصل الخامس تحدّثت عن سعي الحجاج ونشاطه في البحث عن سعيد وتتبع أخباره وبثّ العيون خلفه، ودور خالد بن عبد الله القسري - والي الحجاج للوليد بن عبد الملك - في إلقاء القبض على سعيد وبعض من اشترك معه من الثوّار، وكيف تم ذلك وفي أيّ ظروف ثم إرساله إلى الحجّاج.

وختم الفصل بالبحث في رحلة سعيد إلى الموت وما حدث له في الطريق إلى واسط.

وفي الفصل السادس تحدّثت عن موقف سعيد بين يدي الحجاج وما حدث بينهما من تحاور، وناقشت اختلاف الروايات في تصوير ما حدث له مع الحجّاج قبل أنْ يأمرَ بقتله؛ وقد بحثت هذه المسألة بتفصيل لأَبَيِّنَ أسباب الاختلاف بين المؤرخين في ذِكْرِ ما دار بينهما؛ وَخِلْتُ نفسي خلصت إلى الرأي الصائب من تلك الآراء، ثم ختمت الفصل بتبيان ما ترتب بعد ذلك من أمور.

وأما السابع فللمقارنة بينهما. وفي الفصل الثامن، خصصت البحث في مرقد سعيد وموقع المرقد، وناقشتُ بعضَ الآراء في تحديده ثم مبلغ اهتمام المسلمين به والمحافظة عليه وما أجروه على المرقد من عمران على امتداد العصور، ثم ختم البحث بتوجيه الأنظار إلى ما بلغه المرقد الشريف من عمران بما يليق بمنزلة (شيخ التابعين) سعيد بن جبير، والله وليُّ التوفيق.

سلام محمد علي البياتي



# الفصل الأول

## سعيد بن جبير

اسمه وشهرته

نشأته

صفاته

دراسته

شيوخه

منزلته العلمية

مصادر الفصل الأول

## اسمه وشهرته

هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي[١]، وُلِدَ في عام (٤٥هـ)، وكان مولى لبني والبة بن الحارث، وهي بطن من بني أسد بن خُزيمة[٢]، كانت تسكن في منطقةِ وادي الرُّمَّةِ بين جَبَلَيْ إبان[٣] - في نجد - وقد سكن قسم من القبيلة (أذربيجان)، حيث وُجِدَ هناك موضع يسمى والبة[٤] - وهو الذي لجأ إليه سعيد بعد فَشل الثورة التي شارك فيها بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث كما سيأتي في الفصول التالية - وسعيد حبشي الأصل[٥]، أصله من الكوفة وهي مكان ولادته

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٦، ط ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م، بيروت. المعارف، تأليف: ابن قتيبة: ص١٩٧، ط ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م، القاهرة. الاحتجاج، تأليف: الحسن رضي الدين الطبرسي: ص٣٥٦، ط ١٣٨٦هـ - ١٩٦١م، النجف الأشرف.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٦. البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: ج٣، ص٦٣، ط ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، القاهرة. المعارف لابن قتيبة: ص١٩٧.

(٣) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، تأليف: عمر رضا كحالة: ج٣، ص٢٤٣، ط ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م، دمشق.

(٤) معجم البلدان، تأليف: ياقوت الحموي: ج٥، ص٣٥٥، ط ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، بيروت.

(٥) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ج٢، ص١١٢، ط ١٢٩٩هـ، القاهرة.

ودار نشأته، وكان ينزل مكة طالب علم[١].

## كنيته وألقابه

يُكنّى بأبي عبد الله وأبي محمد[٢]، وله من الولد غيرهم عبد الملك وعبد الله.

وله ألقاب عدة منها (ابن أم دهماء) وهذا لقبٌ سَمّاهُ به شيخه عبد الله بن عباس[٣]، و(ابنُ أبي الجهم)[٤].

## نشأته

لقد استعنتُ في بحثي عن نشأته بما كان يصرح به سعيد نفسه، لأنّ في أقواله خير معين لي في استنتاجي لبواكير نموه الشخصي في تلك الفترة.

يكاد يتفق المؤرخون على أنّ سعيداً لّما قتله الحجاج كان عمرهُ حوالي (٤٩) عاماً[٥]، وهذا يعني أنه ولد في الفترة التي تَلَتْ استشهاد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) رجال الطوسي، تأليف: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: ص٩٠ - ٩١، ط ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، النجف الأشرف. مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف: الطبرسي: ج١٠، ص٥٥٩، ط ١٣٨٢هـ، طهران. الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي: ج١، ص٣٦٩، ط ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م، القاهرة.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان: ص١١٢. الرجال، تأليف: الحسن بن علي بن داود: ص١٦٩، ط ١٣٤٢هـ، طهران.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨.

(٤) غايَةُ النهاية في طبقات القراء، تأليف: محمد بن محمد شمس الدين أبو الخير ابن الجوزي، تحقيق: ج. برجشتراسر: ص٣٠٦، ط ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، القاهرة.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٦. المعارف لابن قتيبة: ص١٩٧. الاحتجاج للطبرسي: ص٣٥٦.

تلك الفترة التي استقطب الصراع فيها بين أهل العراق وأهل الشام، والتي تميزت باندفاع أهل العراق نحو العلوم الدينية وما تستتبعه من العلوم اللغوية والعلوم الأخرى، وتقوقع أهل الشام حول ملاذ الدنيا وخدمة سلطانها.

من يتفحص أقوال سعيد وهو يتحدث عن ذكرياته، يجد أنَّ لبيئة الكوفة أثراً كبيراً في تنشئته تلك النشأة الدينية.

فهو يذكر أنه في أيام صباه كان يجهل أموراً كثيرة، يَستعين على معرفتها بما كان يسمعه من إرشاد يوجهه له الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر من الخيّرين، يقول سعيد: (رآني أبو مسعود البدري في يوم عيد وَلِيَ ذُؤابه؛ فقال يا غلام، لا صلاة في مثل هذا اليوم قبل صلاة الإمام...)[١].

## صِفاته

كان سعيدُ منذ الطفولةِ مُؤمناً وَرِعاً مستجاب الدعاء يؤدّي الفرائض بأوقاتها ويأسى على فواتها؛ (كان عنده ديك، يقوم إلى الصلاة إذا صاح؛ فلم يصح ليلة من الليالي فأصبح سعيد ولم يصلِّ؛ فشقّ ذلك عليه فقال سعيد: ما له؟ قطع اللهُ صوته! فما سُمِعَ ذاك الديك يصيح بعدها، فقالت له أمه: أي بُنَي لا تدعُ على شيءٍ بعدها...)[٢].

وظلّت هذه السَّجيّة ملازمة له؛ فهو لّما أخِذَ إلى الحجاج قال لأصحابه: (ما أراني إلاّ مقتولاً، وسأخْبِرُكُمْ أني كنت أنا وصاحبين لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا اللهَ الشهادة؛ فَكِلا صاحِبَيَّ رُزِقَها وأنا أنتظرها)[٣].

(١) تذكرة الحفاظ، تأليف: شمس الدين الذهبي: ج١، ص٧٦، ط ١٣٧٤هـ، بيروت.

(٢) حلية الأولياء، تأليف: أبو نعيم الأصبهاني: ج٤، ص٢٧٤، ط ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، القاهرة.

(٣) المصدر السابق.

ولَّما كُبَّ على وجهه - ساعةَ قتله - قال: (أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الحجاجَ غير مؤمن بالله، واللـهُمَّ لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي)[١].

وأماتَ اللهُ الحجّاج بعد مدة وجيزة بالآكلة، ولم يتسلط على أحد بعد سعيد[٢].

كان سعيد حسن المعشر طيّب الصحبة متواضعاً[٣]، يتكسبُ من عرق جبينه[٤].

وتَمَيَّزَ سعيد بصحّة البَدَنِ فما شكى من علة حتى مات، يلهج بالشكر على ما أنعم به عليه الله من عافية، فإذا أكل الطعامَ شعر بلذّته وإذا فرغ منه قال: (اللهم أشبعتَ وأرويتَ فهنئنا وأكثرتَ وأطبتَ فزدْنا)[٥].

وهذه الصفة البدنية لّما خالطها الإيمان الخالص أكسبه خصلةً حميدة هي الصبر[٦].

كان سعيد يكره التمثيل بالحيوان[٧]، وما ذلك إلاّ لعمق تفقهه بدينه ومعرفته لدقائق أحكامه، حيثُ إنّه جمع بين الحياء والإيمان[٨].

(١) الكامل في التاريخ، تأليف: ابن الأثير: ج٤، ص١٣٠، ط ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، بيروت.

(٢) إيمان أبي طالب، تأليف: فخار بن معد الحائري: ص٣٢١، ط ١٣٨٤هـ، النجف الأشرف.

(٣) عيون الأخبار، تأليف: ابن قتيبة: ج٨، كتاب الحوائج، ص١٦٥، ط ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، القاهرة.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٣، كتاب السؤدد، ص٢٥٠.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٩، كتاب الطعام، ص٢٢١.

(٦) حلية الأولياء للأصبهاني: ج٤، ص٢٨٢.

(٧) حلية الأولياء للأصبهاني: ج٤، ص٢٩٦.

(٨) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٧.

تَمَثّل سعيد الإسلام في شخصيَّتِهِ، فغلبت عليه التقوى وسكنه الوَرَعُ فلم يكن يتعرضَ لأحدٍ بالكلامِ[١].

كان سعيد ذكياً يحسن التصرف في المواقف المحرجة؛ فلقد سأله الحجاج لّما أراد قتله؛ ما تقول فِيَّ؟

قال: (قاسط عادل)، فقال قوم: ما أحسن ما قال - حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل -.

فقال الحجاج: يا جَهَلَةُ؛ إنّه سَمّاني ظالماً مشركاً؛ وتلا لهم قول الله تعالى: { وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا }[٢])[٣].

وقوله تعالى: { .... ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ }[٤].

**دراسته**

أتقن سعيد القراءة والكتابة في سِنٍّ مبكرةٍ، وكان متعطشاً للعلم، توّاقاً للمعرفة، ساعدته على ذلك قراءته المستمرة للقرآن حتى بلغ به أنْ يختم القرآن في كل ليلتين[٥].

وكان يملك مواهبَ وقابلياتٍ فَذّة أهَّلَتْهُ للدراسة فبرز فيما اختار من علوم

---

(١) ذكر أخبار أصبهان، تأليف: أبو نعيم الأصبهاني: ج١، ص٣٢٤، ط١٩٣١م، لِيدِنْ.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٥.

(٣) روضات الجنان، تأليف: محمد باقر الخوانساري: ص٣١٠، ط ١٣٦٧هـ، الطبعة الثانية، طبعة حجرية، طهران.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٩.

وتوصّل إلى مرتبة غبطه أقرانه وأساتذته عليها بشهادة أستاذه ابن عباس.

وهذه القابلية لا تتطور إلاّ بالمواظبة على الدرس والتحصيل والتتبع؛ ولماّ كان القرآن قطب الرحى الذي كانت تدور حوله العلوم الدينية آنذاك، لذا صار هو الأصل في الأسس التي يعتمدها سعيد وهو يجدّ السعي ويحث السير متسلقاً صرح العلوم الدينية مرتفعاً درجاتٍ بين أقرانه وفوق كل ذي علم عليم.

لقد تَمَرَّسَ في قراءة القرآن يافعاً وهو يشير إلى تلك الممارسة وعمق أصالتها في حياته قائلاً؛ (ما مضت عليَّ ليلتان منذ قتل الحسين عليه السلام إلاّ أقرأ فيهما القرآن إلاّ مسافراً أو مريضاً)[١].

كان يختلف إلى حلقات الدراسة في مسجد الكوفة وبيوتاها العلمية حيث نَحتمل أن تجري الدراسة في دواوين ومقامات أعلام الأمّة؛ وهناك إشارة واضحة وجلية في تائية دعبل الخزاعي تبين لنا أن الدراسة لم تكن مقتصرة على الجوامع ولا موقوفة عليها ولا محصورة بين حيطاها؛ حيث يصور دعبل كيف كانت دُورُ أهل بيت النبوة: -

مَدارسُ آياتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاوةٍ  وَمَنْـزِلُ وَحْـيٍ مُقْفَـرُ العَرَصـاتِ

وقد أدركَ سعيدُ بعضاً من أصحاب عبد الله بن مسعود وكان يقولُ فيهم: (كان أصحابُ عبد اللهِ بن مسعود سُرُجَ هذه القرية)[٢].

ولّما تَصَلَّبَ عوده بالدراسة، وقويت عريكته بالتتبع؛ تفتّحَ طموحه لأنْ يتَتَلْمَذَ على الأعلام ممن بقي من جيل الصحابة، ولم يطل المقام بسعيد في الكوفة

(١) مجمع البيان للطبرسي.

(٢) فجر الإسلام، تأليف: د. أحمد أمين: ج٧، ص١٨٤، ط ١٩٥٥م، القاهرة.

فشدّ الرحالَ في طلب العلم وكان هدفه مجلس ابن عباس في مكة - والذي ذاع صِيتُهُ حتى لقّبته الناسُ بـ(حبرِ الأمّة).

وبدأ سعيد يحضر حلقة ابن عباس باندفاع وَتَفَتُّحٍ في الذهن وشغف بالعلم لافتاً انتباه شيخه ابن عباس إليه لِما وجده عنده من ذكاء وفطنة ورغبة في العلم مع مواظبة على الدرس وحسن فهم لما يدرس؛ فسأله يوماً: (مِمَّنْ أنتَ؟ فأجاب سعيد: مِنْ بَني أسد)(١).

وكان ابن عباس قد استشعر فيه حب المعرفة ونعمة الاستفادة فبارك له.

ظلّ سعيد مواظباً على حضور مجلس ابن عباس في مكة، وكان ذلك المجلس يزخر بطلاب العلم من المتضلعين والمتطلعين.

ولعل سائلاً يسأل عن سبب ذكري لهذين النوعين من طلاب العلم؛ فأقول إنّ العلمَ ظل دائماً وسيلة المتطلع للمركز الاجتماعي وغاية المتضلع الذي يجعل من شخصه نفراً نافراً متفقهاً بالعلم لينقله إلى الجيل الذي يتبعه.

ومن هنا يتبين الفرق بين المتطلعين والمتضلعين ويظهر جلياً البَوْنُ الشّاسع بين الفريقين والاختلاف بين أهدافِ الطائفتين في المساعي والنتائج.

### في مجلس ابن عباس

في هذا المجلس شاءت الظروف والأقدار أنْ يتحددَ مصير سعيد العلمي والمعاشي وحتى الجهادي؛ فلا تحسن أن هذا المولى الأسود سيتيسَّر له في يوم ما أنْ يتقلدَ منصب القضاء أو الإشارة في الكوفة ما لم يكن قد اختير عن خبرة ودراية -

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٦.

في عصر الحكام المتميّزين بالروح الطبقية والنزعة القبلية والعنجهية الجاهلية - ولعل البعض لا يرضى بوَسم العصر المذكور بهذه السمات! إلاّ أنّ الوقائع التاريخية التي تفوّهَ بها الحكّامُ أنفسهم تؤكد ذلك كما تبينه الدراسةُ في الفصول القادمة إن شاء الله.

يذكر سعيدُ أنَّ أوَّلَ معرفته بالحجاج لم تكن حين اختاره لمنصب القضاء في الكوفة لماّ قدم عليها والياً من قبل عبد الملك بن مروان؛ وإنما كانت في مجلس ابن عباس[١].

وهذا سيتبين لنا في محاكمة الحجاج لسعيد عندما قبض عليه، ومدى ومقدار معرفة الحجاج لسعيد ومنزلته العلمية، وأنّ الحجاجَ اضطُرَّ تحت وطأة الظروف التي ذكرها سابقاً إلى تنحيته عن منصب القضاء الذي كان يعلم أنه كفءٌ له إلاّ أن البيت الأموي ما كان ليرضى له بالخروج على المبادئ التي اعتمدها أهل ذلك البيت في الحكم.

كان سعيد يحب شَيخَهُ وأستاذَهُ حُبّاً جمّاً وكان يقول: (لا يلومني أحدٌ على حبِّ ابن عباس)[٢].

وكان من شِدَّة إعجابه بشيخِهِ يقول: (كُنتُ أسمعُ الحديثَ من ابن عباس فلو أذِنَ ليَ لَقَبّلْتُ رأسه)[٣].

كان سعيد حريصاً في طلبه للعلم، ومُتقِناً في أسلوب دراسته ومُجِدّاً في الاستناد على ما يأخذه، ومستوثقاً في أخذه.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٧.

(٢) سِيَرُ أعلام النبلاء، تأليف: شمس الدين الذهبي: ج٣، ص٢٣٢، ط ١٩٥٦م، القاهرة.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج٤، ص٢٨٣.

وهو وإنْ كان نبيهاً وذكياً وذا حافظة قوية إلاّ أنّه ما كـان ليرضـى أن يختـزن العلم في ذاكرته ويترك ثروته العلمية الثمينة تتعرض يوماً ما لعـوادي الـزمن وآفـة النسيان فتضيع منه أو على الناس من بعده نهباً للتحريف في نقل الحديث لذا (كان لا يفوته كلما أتى ابن عباس أنْ يكتبَ عنه)[1] - وهذه الملاحظة وإن تبدو عـابرة إلا أنها ذات دلالة عميقة على حرص سعيد الشخصي علـى العلـم كمـا تـشير إلى مدى أصالة رجال العصر الأول في الحفاظ على التراث إذ لا يعقل أبـداً أن يكـون سعيد وحده بهذه الفطنة والحرص والضبط، وإن بقيـت تلـك الـسِّمة متفاوتـة بـين طالب علم وآخر، ولم ينسَ سعيد أن يوظـف موهبتـه المبكـرة في الجـرح والتعـديل فيسجل رأيه في بعض كتّـاب الحـديث ويـدون آراءَ شـيخه فـيهم وكيـف كـان ابـن عباس يكرههم[2]، ولا ندري هل أنَّ ابن عباس كان يكرههم لذاتهم أم لطريقتهم في كتابة الحديث أم لاهتمامهم بباب من العلم دون باب آخر!!!

قد يكون الدافع هذا أو غـيره ولربمـا تكـون قلـة الحـرص أو ضـعف الـنفس وعدم الأمانة هما الدافع للكره!

ولكن الذي نستفيده من هذه الملاحظة هـو أنهـا تـصب في مجمـع الـدّلالات التي تؤكد وجود تفسير لسعيد بن جبير فُقِدَ وضاعَ كما يشير إليه بعض المـؤرخين - وهو ما سأفرد له باباً في التفسير عند سعيد في الفصول التالية.

ونستشف من الرواية أيضاً كيف كان سعيد حصيفاً عارفاً بِسِماتِ عـصره، بل نقول إنّ وضعه أجبره على أن يدوّن كل ما يسمعه عن ابن عباس ليحفظ كـل

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٠.

قطرة علم أخذها عنه بأمانة صادقة تعينه على شق طريقه بين صفوف علماء الكوفة عندما يعود إليها محملاً وحاملاً لهذا التراث الثَرِّ النفيس من مكة والمدينة لأهل العراق.

وهذا ما حدث تماماً لسعيد؛ فهو ما إن عاد إلى الكوفة حتى توجهت أنظار طلاب العلم والمحتاجين للفتيا إلى علمه، وظل مع كل ذلك يزور ابن عباس كل عام مرتين، مرّة في العمرة ومرة في الحج(١).

كان وثيق الصلة بأستاذه يأخذ بنصائحه وإرشاده حتى في أخصّ خصوصياته.

سأله ابن عباس يوماً إن كان متزوجاً أم لا؛ ولّما أجابه بالنفي أمره بالتزويج(٢).

ظل ملازماً لابن عباس حتى صار أعلم جماعته، بالتفسير والقراءة والفتيا وأسباب النزول(٣)، ولم تقتصر دراسته على ابن عباس لهذه العلوم بل أجاز له أن يحدّث في حضرته وهي ما يُسمى في علم الحديث - الإجازة مُشافهة(٤) - فأكّد منزلته العلمية حيث يُحَدِّثُ الحاضرين في حضرة شيخه(٥)؛ وهي منزلة لم يكن يحلم

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج٤، ص٢٧٥؛ البداية والنهاية، تأليف: ابن كثير: ج٩، ص٩٨، ط ١٣٤٨هـ، القاهرة.

(٢) ذيل الأمالي والنوادر، تأليف: أبو علي القالي: ص٤٨٠، طبعة بيروت.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الإجازات العلمية، تأليف: د. عبد الله الفياض: ص٢١، ط ١٩٦٧م، بغداد.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٦. الإكليل، تأليف: الحسن بن أحمد الهمداني: ج٢، ص٢١٥ - ٢١٦، ط ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، القاهرة.

بها أحد من أقرانه؛ ومعناها ضِمناً أنّ سعيداً صار مؤهّلاً تأهيلاً كاملاً لأنْ يكونَ أحدَ شيوخ التابعين باعتِرافِ وإجازةِ قُطْبٍ كبير من الصحابة، وهذا ما يشابه منحَ الدكتوراه في عصرنا هذا.

لم يُفارق سعيد شيخه بعد أن عَمِيَ ابن عباس؛ بل كان ابنُ عباس لا يرتاح إلاّ إليه، وإذا ما خرج إلى السوق طلب من سعيد أنْ يقوده؛ وقد صادف وسعيد يقوده مرّة أن سمع قوماً يسبّونَ عليّاً عليه السلام، فَرَدّ عليهم ابن عباس ردّاً أخجَلَهُمْ فندموا على ما فرطوا من أنفسهم[١].

دامت رعاية ابن عباس مستمرة متواصلة حتى بعد أن استقر سعيد في الكوفة واشتهر وصار واحداً من أعلم التابعين ممن صاحبوا ابن عباس طويلاً، وكان ابن عباس يدفع إليه من يأتيه للسؤال من أهل الكوفة ويُعْلِمُهُمْ بشأن سعيد بن جبير ومكانته ويقول: (تسألوني وفيكُمْ ابن أم دهماء - يعني سعيداً بذلك -)[٢].

## شيوخه

ليس بالأمر الغريب على رجل مثل سعيد متعطش للعلم أن ينهلَ من كل مَعين، فهو لم يقصر الارتواء على منهل ابن عباس العذب، بل تنقل مغترفاً ومرتشفاً من مناهل متنوعة متعددة من الصحابة والتابعين ممن عاصروهُ قبل أن تنضب بحكم المنون تلك المناهل.

فكان سعيد بن جبير يأخذ العلم عن عبد الله بن عمر[٣]، وأبي سعيد

(١) إيمان أبي طالب عليه السلام لفخار بن معد الحائري: ص١٠٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٠. الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: ابن حجر العسقلاني: ←

الخُدْري[١]، وقَتادة بن النعمان بن زيد بن عامر - أخي أبي سعيد الخُدري[٢]، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص[٣]، والضحاك بن قيس الفهري[٤]، وأنس بن مالك، وعمرو بن ميمون، وأبي عبد الرحمن السلمي[٥].

أمّا ما ذُكِرَ من أنه روى عن عبد الله بن مغفل - أو معقل - فإنما كان إرسالاً وليس سماعاً[٦]، وبين السماع والإرسال بَوْنٌ شاسع.

فالإرسالُ معناه أن سعيداً لم يدرك هذا الشيخ ولكن أخذ عمّن سَمِعَ عنه.

وأخرج الذهبي أنه روى عن عدي بن حاتم[٧]، إلاّ أنه لم يَرْوِ عنه بل سمع عمرو بن حريث[٨].

كَما لم يَرْوِ عن عائشة كما أخرج أبو نعيم[٩]، بل أرسل عنها. ولم يرو عن علي عليه السلام كما ذكر أبو نعيم لأنه لم يدرك أيامه - كما ذكر أبو نعيم أنه روى عنه - كما قال البخاري.

ومات أبو مسعود الأنصاري أيام علي عليه السلام فلم يَرْوِ عنه كما ذكر

---

ج٣، ص١٣٥، ط ١٣٢٨هـ، القاهرة.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣، ص١١٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: ج٣، ص٢٢٥.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج٤، ص٢٩٥.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣، ص١٦١.

(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٤، ص١١ - ١٢، ط ١٣٢٥هـ، حيدر آباد.

(٦) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٤، ص١١.

(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٤، ص١٠٩.

(٨) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٤، ص١١.

(٩) حلية الأولياء للأصبهاني: ج٤، ص٢٩٥.

أبو نعيم، وما رُوِيَ من أنه سمع أبا هريرة فهو مردود بنفس الحُجّة، وما رُوِيَ من أنه سمع أبا موسى الأشعري فليس هناك دليل يُثْبِتُ ذلك[١].

### منزلته العلمية

لقد بلغت بسعيد المنزلة العلمية أنْ لُقِّبَ بـ(جهبذ العلماء)[٢] وهو لقب كان جديراً به فهو (أعلمُ التابعين بالتفسير، كما أثنى عليه قتادة وسفيان الثوري[٣] مع شيخيه ابن عباس، أما ابن حزم فقد وضعه في الطبقة الثانية من التابعين بين أصحاب الفُتيا من أهل الكوفة وهذا يعني أنّ مركزه في التفسير بقي في الصدارة، ونحن حتى إن سلمنا برأي ابن حزم الأندلسي فالطبقة الثانية من أصحاب الفتيا هي أيضاً طبقة مرموقة في عصرها؛ وهي طبقة إبراهيم النخعي والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ومحارب بن دثار وعامر الشعبي وجبلة بن سحيم وأبي بكر بن أبي موسى الأشعري والحكم بن عتيبة[٤].

أجمع أصحاب الكتب الستّة على توثيق سعيد بن جبير[٥]، بل اتفق

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٤، ص١٤.

(٢) رجال الشيخ الطوسي، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم: ص٩٠، ط ١٣٨١هـ - ١٩٦٠م، النجف الأشرف. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، تأليف: محمد بن علي وابن شهر آشوب: ج٥، ص٢٧٠، طبعة حجرية، طهران.

(٣) إيمان أبي طالب عليه السلام للحائري: ص٣٢١. الإتقان في علوم القرآن، تأليف: جلال الدين السيوطي: ج٢، ص١٨٩، ط ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م، القاهرة.

(٤) جوامع السيرة، تأليف: ابن حزم الأندلسي، تحقيق: د. إحسان عباس، ود. ناصر الدين الأسد: ص٣٣٠، طبع في القاهرة.

(٥) التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي: ج١، ص١٠٢، ط ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، القاهرة.

المسلمون على ثقته[(١)] وحسن سيرته وأمانته العلمية على النقيض من (عكرمة) الذي كان مولى ابن عباس وأوثق الناس صلة به ومع ذلك لفّقَ عليه الروايات الكاذبة.

وممّن أثنى على سعيد بن جبير الإمامُ علي بن الحسين عليهما السلام[(٢)]، وما ثناؤه إلاّ عن دراية وطول صحبة بينه وبين سعيد، كما مدحه بعد حين الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وتأسف على قتل الحجاج له[(٣)].

كان أصحاب السير وعلماء الجرح والتعديل عندما يرد ذكر سعيد يقولون: (هو ثقة ثبتٌ فقيه[(٤)]، عالم جليل القدر متأكّد متمحّص[(٥)]، عمِل بعلمه، لا يتحدث ما لم يُسأل)[(٦)]، واذا قام من مجلسه وسُئِلَ عن حديث قال: (ليس كل حين أحلب فأشرب)[(٧)].

ويمكننا أنْ نقدّر مبلغَ ما وصل إليه مقام سعيد بعد وفاة ابن عباس، أنّ الحجاج لّما حاوره عند قتله، ذكّره قائلاً له: (ألم أقدِمْ مكة فقتلتُ ابن الزبير وأخذتُ بيعةَ أهلِها وأخَذتُ بيعتَكَ لأمير المؤمنين[(٨)]؛ [يعني عبد الملك بن مروان].

---

(١) مجمع البيان للطبرسي: ج١٠، ص٥٥٩.

(٢) قاموس الرجال للكشي: ص١١٠، طبع في كربلاء المقدسة. الاختصاص، تأليف: الشيخ المفيد: ص٢٠٥، ط ١٣٧٩هـ، طهران.

(٣) الاختصاص للمفيد: ص٢٠٥. رجال الكشي: ص١١٠.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٤، ص١١.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٠.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير: ج٩، ص٩٨، ط ١٣٤٨هـ، القاهرة.

(٧) حلية الأولياء للأصبهاني: ج٤، ص٢٨٩.

(٨) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠.

فالحجاج في هذه المحاورة يُوَثِّقُ لنا ما بلغه سعيد من مركز اجتماعي وعلمي في زمانه، إذ يؤكد مقدار أهمّيّة أخذ البيعة من سعيد مع أنّه يشير أنه أخذها من أهل مكة عامة مثلما فعل لما قدم الكوفة إذْ نجده يؤكد على أخذ البيعة من سعيد أمامَ الناس لأثرها البالغ في دعم الكيان السياسي حينذاك(١).

ولسعة اطلاعه في علمه وإلمامه بأغلب جوانبه، ولعدم وجود نظير له في الكوفة في التقوى؛ أعطاهُ الحجاج مائةَ ألف درهم، ليُنفقها على أهل الحاجة، ونصبه إماماً للمصلين في مسجد الكوفة (ولم يكنْ يَؤُمُّ بها إلاّ عربي)(٢) مع ما في ذلك من خروج على قاعدة الملك في البيت الأموي من اختيار واصطفاء العمال لتسيير شؤون الملك - كما أسلفنا - ولذا لم يقتصر عمل الحجاج على تنصيب سعيد إماماً للمصلين وإنما ولاّهُ القضاء لطول باعه في الفتيا(٣) والقضاء، واعْتُبِرَ عملُ الحجاج هذا خروجاً سافراً على أصحاب النظرية الأموية في الحكم، فثارَ وضجّ أنصار البيت الأموي والراتعون في نعيمه ممن كانوا يرون في القيم الإسلامية قيداً يكبّل أيديهم ويمنعهم من اللعب بأحوال وأموال المسلمين؛ فهم بالتالي لا يرتضون أن يؤول منصب إلى الموالي مهما بلغوا من العلم والعدل والتقوى، فالموالي يجب أنْ يبقوا ضمن المنزلة الطبقية الاجتماعية التي وضعتهم فيها الدولة التي أسسها معاوية بن أبي سفيان(٤).

وتحت وطأة ضغط التيار الأموي وما أثاره المنظرون لهذه النظرية في الحكم،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك، تأليف: محمد بن جرير الطبري: ج٦، ص٤٩٠، ط ١٩٣٩م، القاهرة.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٥.

(٣) المصدر السابق.

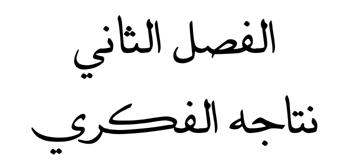
(٤) المصدر السابق.

ودفعاً للعواقب غير المحمودة، اضطُرَّ الحجاج أن يُطأطئَ لها رأسه ويسلم القضاءَ لمن ترشحه هذه العائلة الحاكمة وهو أبو بردة بن أبي موسى الأشعري لفضل أبيه على معاوية يوم التحكيم مع أنه كان معلوماً لأهل الكوفة أنّ هذا الأخير لم يكن بمنزلة سعيد ولا بمقدار علمه إلاّ أنه كان ممن تنطبق عليه المعايير التي وضعوها؛ ومع ذلك نجد الحجاج يلزم أبا بردة أن يتخذ سعيداً كاتباً ووزيراً[(١)] - [مستشاراً في العرف الحديث] - كي يستفيد من علم سعيد وكفاءته النادرة التي كان القضاء يفتقر إليها.

ويكفي للقارئ أن يتمعَّنَ في قول الحسن البصري: (مات سعيد وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون إلى علمه)[(٢)].

(١) عيون الأخبار، تأليف: ابن قتيبة الدينوري: ج١، كتاب السلطان، ص١٢. البيان والتبيين للجاحظ: ج٣، ص٦٣. تاريخ الكوفة، تأليف: حسين أحمد البراقي: ص٢٢٩، ط ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، النجف الأشرف.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٦. رجال الطوسي: ص٩١. حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري: ج١، ص١٧١، ط ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، القاهرة.



# الفصل الثاني

# نتاجه الفكري

أ- التفسير، أسلوبه في التفسير، نماذج من تفسيره.

ب- أسباب النزول، نماذج مما رواه في أسباب النزول.

ج- القراءة، اختلاف الآراء في قراءة سعيد وقراءة غيره، بحث مقارن، دور سعيد في نشوء القراءات، نماذج مقارنة.

د- الحديث، نماذج من روايته في الحديث، أسماء من روى عنه.

هـ- آراؤه الفكرية، فتياه، صلاته، دعاؤه.

لقد حفظ لنا سعيد تراثاً حضارياً مُهمّاً، نقله عنه تلاميذه ومن رَوَوْا عنه في كل باب من أبواب العلوم الدينية التي حفلت بها سجلات الحضارة الإسلامية[1].

لكن العقبة الكأداء إنما تكمُن في طريق هذا العلم يُحْجَبُ عنا بحجاب من استخفاف أهل ذلك الزمان بالعلم والعلماء؛ وانجرافهم مع تيار الدنيا وملذّاتها مُعَرِّضين تراث أمتهم بين العوادي والضياع.

وسعيد يطرح لنا صورة عصره من غير تزويق ولا تحريف؛ فلقد كان يَحُزُّ في نفسه - بعد أن بلغ تلك المنزلة العلمية - أنْ يَبقى عِلْمُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مخزوناً عنده وهو الذي انفرد وتميّزَ بتدوين العلم دون أنْ يَجِدَ مِنَ الناس مَنْ يهتم في طلبه.

لذا يقول: (وَدِدْتُ لَو أنّ الناسَ أخذوا ما عندي من العلم فإنه مما يَهُمُّني)[2].

وسعيد حين يبدي حسرته من زهد الناس فيما عنده من العلم لا يعني أن تلامذته والرواةُ عنه قليلون - وهم الذين كان لأسمائهم دويٌّ في علم الحديث ملأ أبواب الرواية حتى تكرَّرَ ذِكْرُهُمْ في شُعَبِ الفقه وذلك ما سنتناوله بالبحث في باب خاص هو باب الرواية.

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٩، ص٩٨.

(٢) المصدر السابق.

## أ: التفسير

يُعتبر سعيد أوّل من صنف كتاباً في علم التفسير[1] من التابعين، ولقد ذكر ابن النديم في باب الكتب المصنفة في تفسير القرآن؛ كتاباً لسعيد في تفسير القرآن سماه: (تفسير سعيد بن جبير)[2]، ويشير إلى أنه كان موجوداً بعد عهد سعيد ثم فُقِدَ، وهذا ما ذكره العلامة المحقق المرحوم الشيخ أغا بزرك الطهراني في موسوعته (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) حيث ذكر تفسيراً لسعيد بن جبير معتمداً على ما أوردهُ ابن النديم في الفهرست[3].

إنّ تفسير سعيد كمُصَنّفٍ قائم بذاته قد فُقِدَ لا شكّ في ذلك، وقد تجشَّمَ كثير من الباحثين العناء في العثور عليه لتحقيقه لكنهم لم يُوَفّقوا، أذكر منهم العلامة (محمد صادق بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ)) وكان قد جَدَّ في البحث عنه ولكن دون جدوى.

إلاّ أن الكتاب بمادّته لم يفقد، حيث وجدت أثناء البحث في كتب التفسير

---

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، تأليف: السيد حسن الصدر: ص٣١٩، ط ١٣٢٨هـ، بغداد.

(٢) الفهرست لابن النديم: ص٥٧، طبع في القاهرة.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تأليف: أغا بزرك الطهراني: ج٤، ص٢٤١، ط١٣٢٠هـ.

الكثيرة أنها حفظت لنا أغلب ما رواه سعيد من تفسير بأمانة؛ منها كتاب (جامع البيان) للطبري وكذلك ما أورده عنه الطبرسي في تفسيره الموسوم بـ(مجمع البيان) وغيرهم ممن عوّل على الطبري وغيره في ضبط روايات التفسير.

ومادة التفسير التي رُوِيَتْ عن سعيد انتشرت في كل كتب التفسير لمكانة الرجل في هذا الباب وهي بانتظار من يحققها ويخرجها إلى الوجود في كتاب قائم مستقل بذاته يكَمِّله ما انفرد به سعيد من قراءات؛ لأنه جمع القراءات الثابتة عن الصحابة والتي أمَدّته بالقدرة على التّوسع والتعمق في فهم معاني القرآن وفهم مقاصده لأن الذي يظهر لنا خلال دراستنا لسعيد بن جبير أنه كان يتورّع من القول في التفسير برأيه، يدلنا على ذلك ما رواه ابن خلكان عمن سبقه من الباحثين، أنّ رجلاً سأل سعيداً أن يكتب له تفسير القرآن فغضب وقال لأن يسقط شقي أحب إليّ من ذلك[١].

من المسلّم به أن سعيداً كان يأخذ التفسير عن ابن عباس (سَماعاً)[٢]، يؤكد ذلك إجازة ابن عباس له أن يحدث في حضرته[٣]، وإن كانت الرواية الأخيرة فيها عموم مطلب، وليس خاصة بالتفسير إلاّ أن ما يخصصها هو إجماع الرواة على أن سعيد بن جبير كان أعلمَ التّابعين بالتفسير[٤]، وما ورد عن ابن عباس بحق سعيد وطول باعه وسعة اطلاعه بعد ما أصيب ابن عباس بالعمى؛ إذ أتاه أهل الكوفة

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج١، ص٣٦٥. التفسير والمفسرون للذهبي: ج١، ص١٠٢.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي: ج١، ص١٠٢.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٦.

(٤) المنتخب من كتاب ذيل المذيّل، تأليف: محمد بن جرير الطبري: ص١٢٥، ط ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، القاهرة.

يسألونه يقول لهم: (تسألوني وفيكم ابنُ أمِّ دهماء؟[١])، وهذه الرواية وإن كانت لا تفيد الحصرَ الكلّي الذي يقتضيه المقام من حيثُ الاستشهاد بها، لكنها تأتي مصداقاً لِثقةِ ابن عباس بعلم سعيد بعلوم القرآن - والتي كانت ولا تزال تُدْرَسُ وتُدَرَّسُ مجتمعة ولم تتبلور وتتميز وتتشعّب إلى فروع متعددة تستقل كعلوم متنوعة إلاّ في عصور متأخرة على عصر التابعين، لذا جاز لنا أنْ نحملها على تضمين علم التفسير كجزء من أجزاء متنوعة من كلّ ما أخذه سعيد عنه -.

يدعم هذه الثقة من ابن عباس بغزارة علم سعيد في هذا الباب شهاداتٌ من شيوخه الآخرين تتطابق في مفهومها مع شهادة ابن عباس تدلّ وتؤكد على سعة علمه في باب التفسير.

(قال التابعي سفيان الثوري: خذوا التفسيرَ عن أربعة؛ عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحّاك)[٢].

وقال قتادة: (كان أعلمُ التابعين أربعة: كان عطاء ابنُ أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيدُ بن جبير أعلمَهُمْ بالتفسير، وكان عكرمةُ أعلمَهُمْ بالسِّيَرِ، وكان الحسن أعلمَهُمْ بالحلالِ والحرامِ)[٣].

ويشير الشيخ الصدوق في (الأمالي) إلى أن عبد الله ابن عباس كانت له (أمالي) في التفسير، وقد ذكر أهل السِّيَرِ أنه أولُ من أملى في تفسير القرآن[٤].

فإذا ربطنا بين هذه الرواية وقول سعيد (كُنْتُ آتي ابن عباس فأكتب عنه،

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨.

(٢) إيمان أبي طالب عليه السلام للحائري: ص٣٢١. الإتقان للسيوطي: ج٢، ص١٨٩.

(٣) الإتقان للسيوطي: ج٢، ص١٨٩.

(٤) الأمالي، تأليف: الشيخ الصدوق: ص٢٠، ط ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م، النجف الأشرف.

أمكننا أنْ نستخلصَ أنّ ما كان يكتبه سعيد كان تفسيراً وليس حديثاً، لأنه كان يكرهُ كُتَّابَ الحديث)[١].

ومن يستقرئ الروايات التي وردت عن سعيد في كتب التفسير - في تفسير بعض الآيات يجد أن أغلبَها قد رواه عن شيخه وأستاذه ابن عباس.

وهذا لا يتناقض مع ما رواه محمد بن جرير الطبري في تفسيره من (أنّ مجاهداً كان يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحُهُ؛ فيقولُ له ابن عباس: اكتب...، حتى سأله عن التفسير كله)[٢].

لأن هذا لا يُنافي أنه أملى على سعيد كما أملى على مجاهد[٣].

وفي كتب التفسير شواهد كثيرة يجد القارئ فيها اقترانَ اسمي سعيد بن جبير ومجاهد معاً مثالاً لرأي واحد متطابق يفسر إحدى الآيات تفسيراً خاصاً.

فمثلاً يورد الطبرسي في مجمع البيان - تفسير سورة طه -(فيقول: آية (طه) معناها: يا رجل؛ عن ابن عباس وسعيد ومجاهد والحسن والكلبي، غَيْرَ أنَّ بعضهم يقول هو بلسان الحبشية والنبطية)[٤].

والقارئ يلاحظ هنا وحدة المصدر وتوافق التفسير عند ابن عباس وسعيد ومجاهد، ولنأخذ نموذجاً آخر من كتاب تفسير ثان؛ - الدر المنثور - يقول السيوطي: (وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد وسعيد في قوله تعالى: { ...أنْ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨.

(٢) أمالي الصدوق: ص٢٠؛ جامع البيان للطبري: ج، ص٣٠، ط١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، القاهرة.

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨.

(٤) مجمع البيان للطبرسي: ج٧، ص٣، ط ١٣٨٢هـ، طهران.

طَهِّرَا بَيْتِيَ... } [(١)]، قالا: من الأوثان والرّيب والزّور والرجس)[(٢)].

ومن هذه الأمثلة كثير مما يثبت أنّ سعيداً سمع التفسير وأكثر روايته عنه[(٣)]. ولم يشتهر ما ذكِرَ عن مجاهد، بل يرى بعض المحققين في علم التفسير والعلوم القرآنية أنه مُقَدَّمٌ على مجاهد وطاووس في العلم[(٤)]؛ وما تقدّمَ سعيد على هؤلاء لو لم يكن عالماً جليل القدر متأكداً متمحّصاً[(٥)].

وقد أدرك الباحثون المتقدمون ذلك قبل المتأخرين ولم يقتصر أمر الدراسات المقارنة على المتأخرين كما يتصور البعض لأن هناك نصوصاً تقع بين أيدي الباحثين تؤكد أن روح المقارنة والتمحيص فنٌّ ابتكره أجدادنا لتنقية المادة التفسيرية ولتخليصها من شوائب التدليس ومن دس الإسرائيليات من قبل الجهلة والمغرضين.

ويظهر من النص التالي أنّ طلبة العلم على عهد سعيد كان بعضهم لا يكتفي بالأخذ من صدر واحد دون أن يقارن المادة التي حصل عليها بمعارضتها مع مصدر ثانٍ أو أكثر إنْ أمكنه ذلك - وهذا ما يُفعل إلى الآن عند العمل في تحقيق النصوص -.

فحين نقل أبو بكر الهذلي تفسير عكرمة لقوله تعالى: { ...وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ... } [(٦)] بأنها خصاء الدّواب، قال سعيد بن جبير - لما عرض

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٢) الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور، تأليف: أبو بكر السيوطي: ج١، ص١٢١، طبع في طهران، أوفسيت.

(٣) التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي: ج١، ص١٠٢.

(٤) التفسير والمفسرون للذهبي: ج١، ص١٠٣.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٠.

(٦) سورة النساء، الآية: ١١٩.

عليه تأويل عكرمة -: (أخطأ عكرمة، هو دين الله)[(١)].

فهنا نلاحظ وجود التلميذ الذي يدرس التفسير المقارن والأستاذ الذي لا يقول إلاّ بما يعلم.

فنحن لّما نحقق، نقارن بين نصوص مطمورة في المكتبات في بطون المخطوطات، نصوص بلا تحقيق، نصوص ميِّتَة لولا دقة ما كانوا يعقدون مقارنة حيّة من مصادرها الحية، من المنابع الأصلية، وهم في ذلك أكثر منا أصالة إذا ما كانت نياهم صادقة وقلوهم خالية من الزيغ؛ وإلاّ تجُدهم يحطبون بِلَيْلٍ من الإسرائيليات، ويخبطون خبط عشواء وهم يجمعون ما بين المتواتر والتدليس!!!

**الإسرائيليات**

قد يطرح القارئ تساؤلاً تؤكده بعض النصوص التي تقع بين أيدي الباحثين المتأخرين، ونقصد بها تلك النصوص التي تجانِب منطق العقل والحقيقة والتي لا تصمد للنقد ولا تثبت أمام النقاش العلمي، من هذه الأمور، الإسرائيليات ودخولها في التفسير ونسبتها إلى شخصيات لها شأنها في علم التفسير، فأقول إنّ أسباب تواجد مثل هذه الروايات كثيرة، لعل منها ما يكون بسبب استقاء هذا المفسر أو ذاك من مصدر غير أمين على العلم، أو راوٍ متعمدٍ يسعى إلى التحريف لغرض في نفسه، أو أن عدم تفصيل جزئيات الحوادث التي يقصها القرآن لغرض العِبْرَةِ والهداية دفع بعض المفسرين إلى محاولة صياغة الإطار العام للقصة مما ورد في التوراة والإنجيل، وقصص أهل الكتاب، بل ذهب البعض إلى الأخذ بما رواه لهم مَن دخل في الإسلام من أهل الكتاب واعتبروه حُجَّةً مع أنه لا تستسيغه

(١) حياة الحيوان الكبرى للجاحظ: ج١، ص١٧٩، ط ١٩٤٩ - ١٩٥٠م، القاهرة.

الأذواق الفنية ويخالف منطق القرآن ويتضارب مع المقاييس العلمية عقلية كانت أو نقلية وحسبك عنواناً لحجيتها أنها - كما يقولون - صحت حجيتها أنها وردت عن أبي هريرة ومنها:

(أنَّ ملكَ الموت كان قبل موسى يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه موسى فَفَقَأ عينه! وأرجعه على حافرته إلى ربه أعور! فكان بعد هذه الحادثة يأتي الناسَ خفياً!).

ومنها: تلك المسابقة الطريفة بين ما ورد في القرآن من محكمات كقوله تعالى: { ...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ... } [(١)]، وبين حديثه في أنّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورته؛ طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع عرضاً.

وقد تطور في روايته فتارة رواهُ كما سمعت، وتارة بلفظ: إذا قاتَلَ أحدكم أخاه فليتجنب الوجه فإنّ الله خلق آدم على صورته.

ومرّة بلفظ: إذا ضَربَ أحدكم فليتجنب الوجه ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته، ومرة رواه بلفظ: خلق آدم على صورة الرحمن.

(أخرج البخاري[(٢)] ومسلم[(٣)]، وأخرجه أحمد بن حنبل[(٤)] من حديث أبي هريرة، من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال: خلق الله آدم على

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري: ج٤، كتاب الاستئذان، ص٥٧، ح١.

(٣) صحيح مسلم: ج٢، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ص٣١٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ج٢، ص٣١٥.

صورته طوله ستون ذراعاً، وزاد أحمد من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: في سبعة أذرع عرضاً، قال: فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيّونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. قال: فذهب فقال: السلامُ عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، قال: فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن ١هـ).

وهذا مما لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا على غيره من الأنبياء ولا على أوصيائهم عليهم السلام، ولعل أبا هريرة إنما أخذه عن صديقه كعب الأحبار، فإن مضمون هذا الحديث إنما هو عين الفقرة السابعةِ والعشرين من الإصحاح الأول من سفر التكوين - العهد القديم - وإليك نصها بعين لفظه قال: (فخلق الله الإنسانَ على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم ١هـ).

وحديثه في أنَّ اللهَ تعالى يأتي هذه الأمة يوم القيامة في غير الصورة التي يعرفون فيقول؛ أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا عرفنا فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم! فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه).

في قصةٍ طويلةٍ مظلمةٍ باردةٍ ذاتِ خيالٍ شَرودٍ آبد يَعرضُ اللهَ في أشكال يتنكر في بعضها! ويغدو على عباده! ويروح في ملابسات فيها النكتة وفيها الحوار وفيها المخادعة! وفيها الضحك من الله في غير عجب! على نحو لا يقتصر الاصطدام فيه بالعقائد الإسلامية والمنطق العقلي فحسب. بل يصطدم على ذلك

باللياقات الملكية إذا ماشينا - والعياذ بالله - فكرة التجسيم حاشا لله وتعالى الله وتقدست أسماؤه.

ومنها حديثه في أن جهنم لا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها! في خرافة فيها افتخار النار بالمتكبرين واستكانة الجنة بدخول سقطة الناس إليها.

ومنها: حديثه في أنّ ربه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يقول: من يدعوني فأستجيب له -.

ومن شاء فليراجع المسانيد التي جمعت له من هذا (٥٣٧٦) حديثاً واكتفت بجمع (٩) أحاديث لعلي -!!!- راجع كتاب شيخ المضيرة لأبي ريّه - وبين أيدي المتأخرين كثير من الروايات الموضوعة على لسان الصحابة والتابعين بعد وفاتهم بأجيال، بل وبلغ الزيغ ببعض الوضاعين أنْ يُلَفِّقَ أسماءً خيالية ليروي على لسانها ما يشاء، وقد تخصص بكَشفها من العلماء المتأخرين في بحوث قيّمة مستقلة في هذا الجانب، أستاذي وعميدي - عميد كلية أصول الدين في العراق - السيد مرتضى العسكري في كتاب (عبد الله بن سبأ) وكتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق).

ومع ذلك فقد أدرك المتأخرون من المفسرين بعض هذه الأمور وعالجوها وخرجوا منها بدراسات تفسيرية ناجحة يُعَوِّلُ عليها كثيراً ويُعتمدُ عليها في دراسة القرآن الكريم في بعض جوانبه وليست أغلبها وامتناع كلها على غير أولي الأمر - من المعصومين - لأنهم الثقل الثاني لكتاب الله وهذه الحقيقة يؤكدها قوله تعالى - والذي لا يعلم سرّهُ إلاّ هُم -: { ...وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا }[1]. فهذه الآية لا يعلم سرها غير

(١) سورة الرعد، الآية: ٣١.

أهل البيت عليهم السلام.

أما في غير آيات الملاحم وآيات الغيبيات التي أخبر بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته عليهم السلام فإن الدراسات اتسعت فيها بحثاً ولم تترك زاوية لها اتصال بالموضوع من قريب أو بعيد إلاّ مَحَّصَتْها مستندة إلى الخط الرئيس الذي سارت على هديه مقتربة قدر الإمكان من تفسير القرآن بالقرآن باتخاذ كتب المتقدمين أساساً في عملية البناء التفسيرية المقارنة.

## أسلوب سعيد في التفسير

قد يجدني القارئ لا أتعمق في التحليل والنقد وأنا أعالجُ أسلوب سعيد في التفسير فإني أستميحه عذراً لأنّ مثل هذه الدراسة التحليلية إنما يقوم بها الباحث المتخصص في علم التفسير، بينما قصرتُ دراستي هنا على كشف الجانب التاريخي من العملية التفسيرية عند سعيد.

وإذا ما حدثت مقارنة بين أسلوبه وأسلوب غيره؛ فلغرض تمييز طريقة تفسيره عن تفسير معاصريه من الضبط والدقة في الأخذ من شيوخه أو ممن سبقوه، وهذا التمييز وما يكتنفه من تباين واتفاق ليس غريباً في تفسير سعيد، خاصة وقد تبين لنا من دراسة علم التفسير في عصره أنه كان يتضمن علم القراءة وعلم أسباب النزول مع تفسير اللفظ وتفسير المعنى والناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمطلق والمقيد وعلوم أخر.

وقد يكون سعيد أوّلَ من بدأ الفصل بين هذه العلوم إذْ وَرَدَتْ إشارات ذات دلائل تاريخية تبيّن (أنّ سعيداً سبق ابن مجاهد وألّفَ كتاباً في القراءات وسماهً

(كتاب الخمسة) ذكر فيه خمسة من القُرّاء...)[١].

ومعنى ذلك أنّ علمَ سعيد بالقراءة لابُدّ وأنْ يكونَ مرتبطاً بشكل بديهي مع علمه بالتفسير؛ لأنّه إذا ما ثَبَتَ لدينا وجود قراءات متعددة عن الصحابة - كما ورد عنه من أنه كان يقرأ في كل ليلة بقراءة...[٢] - فإنّ هذا التمكنَ من الجمع بين عدة قراءات بهذه القابلية لابُدّ وأنْ يُعطيَهُ (القدرةَ على التوسع في فهم معاني القرآن وأسراره)[٣].

ولا أريد أنْ أسْهِبَ هنا في بحث القراءة، وإنما أردتُ أنْ أشير إلى الرابطَةِ الوثيقة الصلة بين هذه العلوم مجتمعةٍ؛ وأوْضَحُ مثل على ذلك ما يلاحظه القارئ لأسلوب سعيد بن جبير في التفسير من وشائج متماسكة بين أسباب النزول والتفسير مما يدفع القارئ للتفاعل مع الزمان والمكان عند نزول القرآن مما يحفزه على دراسة تاريخ وجغرافية الحدث ليتوسع في فهم أسرار الآية وكأنّ سعيداً يقول له: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٤].

كما في هذه الرواية عن السيوري - في كنز العرفان في فقه القرآن - في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[٥]. فسعيد يروي: (أنّ العربَ كانوا يطوفون

(١) البرهان في علوم القرآن، تأليف: محمد بن عبد الله بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل: ج١، ص٣٢٩، ط ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، القاهرة.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ج١٠، ص..... .

(٣) التفسير والمفسرون، تأليف: محمد حسين الذهبي: ج١، ص١٠٢.

(٤) سور محمد، الآية: ٢٤.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

بالبيت عراة ويُعلّلون ذلك بأنهم لا يطوفون في ثياب قد عَصَوْا الله فيها، فطافت امرأة وعلى فرجِها خرقة سير وهي تقول:

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلُّهُ      فَمَا بَدا مِنْهُ فَلا أحِلُّهُ

فنزلت [ثم يعلق سعيد]: واتفق المفسرون على أنَّ المرادَ بأخذِ الزّينةِ هُوَ سَتْرُ العورة في الصلاة)[١].

وقَد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «هُوَ استحباب لبس أجمل الثياب في الجُمَعِ والأعياد»[٢].

والقارئُ يلاحظ في التفسير الثاني أنه لا يتعارض مع التفسير الأول ولكن فيه سعةُ أفقٍ وعمق في الاستنباط يكشف لنا ما ذكرت سابقاً من أهمية أخذ العلم من مصدره، حيثُ أهلُ البيت أدرى بالذي فيه، ولم ينكر سعيد ذلك بل كان يشهد لهم بذلك، وهو الذي عاصر الإمامَ السجاد عليّ بن الحسين عليهما السلام وصاحبه وكان أبرزَ خمسة في عصره[٣].

وهذا لا يُقَلِّلَ أو يضعِّفَ من عِلْمِ سعيد وإيمانه؛ فهو كان يأتم بعلي بن الحسين عليه السلام معترفاً بغزارة علمه، وكان الإمام السجاد عليه السلام يثني عليه، بل ويَروي الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «أنّ الحجاجَ ما قتله إلاّ على هذا»[٤].

---

(١) كنز العرفان في فقه القرآن، تأليف: أبو عبد الله السيوري: ج١، ص٧٩، طبع في النجف الأشرف.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سفينة البحار، تأليف: الشيخ عباس القمي: ج١، ص٦٢١، طبع أوفست.

(٤) سفينة البحار للشيخ عباس القمي: ج١، ص٦٢١ - ٦٢٢. منتهى المقال في أحوال الرجال، تأليف: الشيخ أبو علي الحائري: ص١٤١، ط ١٣٠٠هـ، طهران. قاموس الرجال، تأليف: أبو علي ←

وهنا تتوضح علاقته بأهلِ البيت عليهم السلام وما هو رأيهم في سعيد؛ ولكن دراسته الطويلة على ابن عباس وباقي شيوخه كان لها أثرٌ متميز في أسلوبه - إذا ما أخذنا بالمعلومة النقدية التي تقول: إنّ أسلوب الرجل هو الرجل نفسه حيث إنّها منطقيا أعمُّ من قولهم: إنّ أسلوبَ الأديب هو الأديب نفسه -.

هذا وإن سعيداً ما تَمَّ التقاؤه بإمامِ زمانه علي بن الحسين عليه السلام إلاّ بعد أنْ بلغ سعيد منزلة أهّلَتْهُ لأن يُحَدِّثَ في حضرة ابن عباس وأن يقول عنه لأهل الكوفة: (تَسألوني وفيكم سعيد)[١].

وقد يتفق تفسيره مع غيره وهو الغالب وخاصة مع شيخه ابن عباس ورفيقه مجاهد؛ حيث إنّ أغلبَ الروايات التي وردت عن ابن عباس، كان المفسرون المتأخِّرون يُوَثِّقُونَها بعبارة (وقال مجاهد وسعيد مثله) كما في تأويلَ قوله تعالى: **﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا... ﴾** [٢]، فيقولون: واختلف العلماءُ في الأسماء؛ فقال الضّحّاك عن ابن عباس: علّمه الأسماء التي يتعارف بها الناسُ: إنسان، ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار وأشباه ذلك حتى الغَسْوُةُ والغُسَيَّة [أي النَّبِقةُ].

ثم يردف المفسر ليدعم ما أخذ به من تفسير للآية بقوله: وقال مجاهد وسعيد ابن جبير مثله)[٣]، - أنظر آية ٣٠ و٣١ من سورة البقرة عند أغلب المفسرين - وإن كان ما جاء عن أهل البيت عليهم السلام أدق وأكثر حصراً بالمسمى - ومثله ما ورد من رواية من قال: إنّ الذبيح إسماعيل عليه السلام حيث يعرج المفسر

التستري: ج٤، ص٣٥٤، ط ١٣٤٠هـ، طهران.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٦ - ٢٥٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج١، ص٣٠ - ٣١.

فيقول: من رواية سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبي ومجاهد وعطاء بن أبي رباح كلهم عن ابن عباس أنه قال: (إنَّ الذّبيح إسماعيل. وقال: زَعَمَتْ اليهود أَنَّهُ إسحاق، وكذبت اليهود)[١].

ومثله ما أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد وسعيد في قوله: { ...أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ... }[٢] - قائلاً -: (من الأوثانِ والريبِ وقول الزُّورِ والرِّجْسِ)[٣].

وما أخرجه ابنُ أبي شَيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وشريح وأبي المسيب والشعبي ونافع ومحمد بن كعب: الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج[٤].

من كُلِّ هذه الأمثلة نلاحظ أنّ الاتفاق في التفسير بين سعيد وأقرانه - من التّابعين - هو الغالب وخاصة في تفسير اللفظ من حيثُ ظاهِرُهُ - هذا إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنّ ظواهر الألفاظ في المحكمات حُجَّةٌ يستند عليها المعنى السياقي إذا لم يتوفر دليل متواتر يتطابق مع الآية من حيث المعنى يحصر معناها في غرض معين أقوى مما يُبيّنه ظاهر اللفظ، وهو ما يسعى كلُّ مفسِّرٍ لتحصيله، وليس المفسر فحسب، بل وجدنا أنَّ النَّحويين قد اعتمدوا المعنى اللغوي ومدى ارتباطه بالمعنى السياقي للآيةِ عند استشهادهم بالآيات؛ وما أخذوه عن سعيد بن جبير في القراءة والتفسير يكاد يكون من الأسس التي شيّدوا عليها صرح بحوثهم.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج١، ص١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٣) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص١٢١.

(٤) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص٢٩٣.

### اعتماد النحويين على سعيد

إن مَنْ يتصفح كتب النحو - على اختلاف مدارسها - يجد أنّ مَنْ جاء بعد المتقدمين من مؤرخي التفسير والمفسرين يَجْمَعُون رأيَ المفسر المتقدم مع رأي النحوي الذي تأخّرَ عنه بعشرات السنين؛ فمثلاً في تفسير قوله تعالى: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }[١].

(رُوِيَ أنَّ المُعْتَصِمَ سأل الإمام أبا جَعفَرٍ محمدَ بن علي بن موسى عليهم السلام عنها فقال: «هي الأعضاء السبعة التي يُسجَدُ عليها». [ثم يقول المفسر]؛ وبه قال سعيد بن جبير والزّجّاج والفرّاء - والأخيران نحويان -.

ويُؤيّدُهُ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أمِرْتُ أنْ أسْجُدَ على سبعةِ آداب»[٢]، - أي: أعضاء -.

فالباحث يَرى تطابق تفسير سعيد مع تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام من ناحية ومع ما أخذه عنه النّحويّون واعتمدوه في دراساتهم لما فيه من إمكان الجمع بين المعنيين - اللغوي والسياقي - للوصول إلى نتيجة واحدة يستشهد بها النحوي في دراسته.

وَتَمَيّزَ أسلوب سعيد في التفسير بظاهرة الاستشهاد بالآيات عند تفسير آية وربطها بالواقع والحاجة مع الإتيان بالدليل؛ كما فعل مع الحجاج حين طلب منه الإتيان بِحُجَّةٍ يستدلُّ بها أنّ الحسنَ والحسين عليهما السلام هُما أولادُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم حقيقة.

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٢) كنز العرفان للسيوري: ج١، ص١٠٠.

فقرأ له سعيد: ({ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ } [١])[٢]. فاستدلَّ بأنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلام هما أبناءُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم حقيقَة مثلما كان عيسى عليه السلام من أبناءِ إبراهيمِ الخَليلِ عليه السلام بأخذِهِ البُنُوَّةَ عن طريق أمِّه.

ومن مُمَيِّزاتِ أسلوبه التفسيري؛ أنّه إذا أراد أن يفسرَ آية لا يكتفي بروايتها عن شيوخه بمعناها اللفظي أو اللفظي والسياقي التفسيري فقط بل نراهُ يسند ما فسره بدليل من الحديث النبوي فيكشف ما غَمُضَ أو التبسَ أو داخَلَهُ الشَّكُّ من الرواية؛ فنراهُ مثلاً في تفسير قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى... } [٣].

يقولُ سعيد: (إنّ ذلك الإخراج كان حقيقياً وأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أخرج وُلْدِ آدَمَ مِنْ أصْلابِ آبائِهِمْ فقَرَّرَهُمْ بِتَوْحيدِهِ وأشْهَدَ بَعْضَهُمْ على بَعْضٍ (وَأخَذَ) شَهادَتَهُمْ بذلك وإقرارَهُمْ به، ثم يذكر أحاديثَ تسند ما ذهب إليه؛ يُقَوّي بعضها بعضاً)[٤].

ولكن سعيداً بأسلوبه الرصين هذا في صيانة العلم لم يسلم ممن جاء بعده من

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٨٤ و ٨٥.

(٢) سفينة البحار للشيخ عباس القمي: ج١، ص٦٢١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٤) الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي للسيد المرتضى، تأليف: الشيخ محسن آل الشيخ محمد حسن النجفي: ج١، ص١٦٧، ط ١٣٥٥هـ، النجف الأشرف.

الوَضّاعين من أصحاب الإسرائيليات ممن وجدوا في ثقة الناس بما ورد عن سعيد لا يَرقى إليها الشك فراحوا ينسجون الروايات الباطلة على هواهم ثم ينسبونها إلى سعيد بن جبير كما نسبوها إلى الثقاة من أمثاله - وقد ذكر لنا القرآن آياتٍ كثيرة تحذر من ذلك وأشار المؤرخون أن مثل هؤلاء كانوا يُلَفِّقُونَ ويكذبون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم: «كثرت عَلَيَّ الكِذّابة فلتتبّوأ مقعدها من النار».

وقد وقف أهل البيت عليهم السلام بالمرصاد يوم بلّغوا المؤمنين بمبدأ خطير أنقذهم من الوقوع في حبائل هؤلاء الوضاعين الساعين إلى تضليل الأمة بزيغهم.

قال الإمامُ جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لتلامذته: **«ما جاءكم عنّا ووافق كتابَ اللهِ فخذوه وما جاءكم عنّا وخالف كتابَ الله فاضربُوا بِهِ عَرْضَ الحائط».**

وبذلك قطعوا الطريق على الألسنة الحاقدة على الإسلام من أنْ تُشَوِّهَ حقيقته وتُفسِدَ جَوْهَرَهُ مُتَّخِذَةً من أسمائِهم الزّكيةِ الطاهرة وسيلةً وسُلّماً لِتَمرير تلفيقاتهم.

ونحن ما دُمْنا بِصَدَدِ تقويم أسلوب سعيد بن جبير في التفسير؛ فَقد يَسأل سائل: ما هو موقفنا من بعض الروايات التي وردت منسوبة إلى سعيد - والتي حُبِكَتْ بشكل متقن والتي غالباً ما يكون جلّ رجال سنَدها من الثقاة ومع ذلك يكون متنها مما لا يُركن إليه والباحث فيها يجد نفسهُ عاجزاً عن إيراد الدليل القطعي على طريقة دسها في كتب التفسير إلاّ بما عَلّلْتُهُ سابقاً من سد الثغرات التفسيرية عند الصحابة والتابعين في صدر الإسلام ممن لم تتوفر لهم السقاية الكاملة

من المنبع الأصلي أو أنهم توفرت لهم من أهل الكتاب ممن عايشهم أو دخل الإسلام - لغرض في نفسه - أمثال كعب الأحبار ومن تتلمذ عليه وغيرهم وما جاءوا به من قصص العهد القديم والجديد حول أمور تناولها القرآن عِبْرَةً للناس من الجانب التوجيهي بعيداً عن الشرح التاريخي والتفصيلي الذي لا يقدم ولا يؤخر بالنسبة للهدف الرئيس من الآية أو السورة والتي نَبَّه القرآن إلى أنها ستقع بقوله: **{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ... }** [(١)]، وقال: **{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ... }** [(٢)]، وقال رادًّا وداحِضاً قصصهم: **{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }** [(٣)]، لأنَّ اللهَ هو أعلم بالغابرين، فقال لِنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: **{ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ }** [(٤)]، وقال ردّاً على أباطيلهم المجافية للحق والمنافية لمنطق العلم؛ قال تعالى: **{ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ }** [(٥)]، ولمّا هَرَّجُوا في أهل الكهف قال سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: **{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ... }** [(٦)]، وكان سبحانه هو الحكم الفصل في كل ما ذكره من قصص الأولين وأسقطَ في أيديهم لما نزل قوله تعالى: **{ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ... }** [(٧)]، لمّا تحدّاهم بأن

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة النمل، الآية: ٧٦.

(٤) سورة هود، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧.

(٦) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

يباهلوا رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بأهل بيته عليهم السلام ويباهلهم بأنفَسِ ما عِندَهُ وليأتوا بأنفَسِ ما عِندَهم.

ولكن مَن خرس أيامَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صار مقدّماً على أهل الحق ممن جاء بالصدق وصدق به وإذا بالوضاعين قد راجت بضاعتهم بعد إقصاء أهل البيت عليهم السلام من مناصبهم التي نصبهم الله فيها.

كما في مسير (بَخْتِ نَصْرٍ) إلى (بني إسرائيل) والتي رُوِيَتْ منسوبة إلى سعيد ابن جبير، حيثُ تقول الرواية: (قد اختَلَفَ العلماءُ في الوقت الذي أرسِلَ فيه (بخت نصّر) على بني إسرائيل، فقيل كان في عهد (إرميا النبي) أو (دانيال) أو (حنانيا) - أو حنينا - أو (عزاريا) أو (ميشائيل) - أو ميليسيائيل - وقيل إنما أرسله الله على بني إسرائيل لما قتلوا (يحيا بن زكريا)، ثم يقول [الراوي] والأول أكثر.

ويضيف - ناسباً ما يرويه إلى سعيد بن جبير - قائلاً: وكان ابتداءُ أمرِ (بخت نصر) ما ذكره سعيد بن جبير قال: كان رَجُلٌ من بني إسرائيل يقرأ الكتاب فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ ...بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ... ﴾[1]، قال: إي رَبِ أرِنِي هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يده؛ فأُرِيَ في المنامِ مسكيناً يقال له بَخْتُ نصّر بـ(بابل) فسار على سبيل التجارةِ إلى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم حتى دَلّوه على (بخت نصّر) فأرسل من يحضره فرآه صعلوكاً مريضاً؛ فقام عليه في مرضه يعالجه حتى بَرَأ فلما بَرَأ - [بَرِئَ] أعطاه نفقة وعزم على السفر فقال له (بخت نصّر) وهو يبكي: فعلتَ معي ما فعلتَ ولا أقدر على مجازاتك! قال: الإسرائيلي: بل تقدر عليهِ؛ تكتب لي كتاباً إنْ مَلَكتَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥.

أطلقتني. فقال: أتستهزئُ بي؟ فقال: إنما هذا الأمر لا محالة كائن...)[١].

ثم يستمر الراوي يسرد كيف ذهب (بخت نصّر) خادماً للكشافين الذين بعثهم الملك للإطلاع على أحوال الشام فنقل ما رأى [بأمانة وفطنة] فعينه الملك قائداً ونجح في الحملة. ولمّا وقع بنو إسرائيل في الأسرِ كان منهم صاحبه، فأطلقه للورقة التي أراها إياه يوم كتبها (بَخت نصّر) وهو صعلوك....)[٢].

والقارئ لمثل هذه الرواية الطويلة التي أوردتُ مُختصرَها بدأت بإسرائيلي يقرأ القرآنَ قبل نزوله بآلاف السنين، ويطلب من الله أن يُريَه هذا الرجل، وتبدأ أمنيته تتحقق بين أضغاث أحلام وحقيقة حَوَتْ من التناقض الذي لا يصمد للنقاش المنطقي، هذا من حيثُ مَتْنُها، أمّا مِنْ حيث السَّنَدُ؛ فنحن نرى الراوي كيف كان بارعاً في ذكر بعض الروايات المختلفة المختلقة في تحديد الزمن الذي بعث اللهُ فيه (بَخت نصّر) وسلطه على بني إسرائيل، ثم يحاول الراوي تضعيفها واختيار الرواية الصحيحة ثم نسبها إلى مُحدِّث ثقة لتبدو روايته صحيحة ثم راح يسرد على القارئ ذلك التناقض العجيب في شخصية الإسرائيلي الذي يظهر في أول القصة متعالياً (يرسلُ) في طلب المساكين ليساعدهم، ويعلم بمكان شخصية (بخت نصّر) ومرضه فيرسل من يحضره - ومن مريض - ثم لا يأبى بعد حين من القيامِ عليه بنفسه حتى يبرأ، ثم يعزم على السفر ويأنف أن يسألَ (بخت نصّر) عمّا جاء من أجله مُتَجشِّماً كلَّ هذه المتاعب باذلاً الأموالَ من أجل عيون المساكن لأجل عيونِ (بخت نصّر) وبعد كل هذا الكرم لا يسأله منتظراً من (بخت نصّر) أن

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج١، ص٢٦١ - ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق نفسه.

يبادر بردّ الجميل.

عندها يأخذ منه عهداً خطّياً - ولعله كان مكتوباً على لوح من المدر - الطين - النقي وبالخط المسماري!! - ونحن نعلم - أهلَ العراق - أنّ العصر البابلي كان يحصر شرف الكتابةِ بصفوة القوم - و(بخت نصّر) على ما زَعَمَ الإسرائيلي مُتَعَمِّداً أنه كان صعلوكاً! - وإلا بالعهدِ صار (ورقة) - ونحن نعلم أنَّ (الوَرَق) لم يكن قد اختُرِعَ بَعْدُ في العصر البابلي - بينما تقول الرواية: ويحفظ الإسرائيلي (الورقة) حتى يَتَمَلّكَ (بخت نصّر) ويأتي إلى الشام ويطلق سراحه - ولا ندري هل استيقض الإسرائيلي في عهد الإسلام - وهو يقرأ القرآن أم نقلته (عربة الزمن) إلى عهد (بخت نصّر) فمكث ما شاء له الخيال العلمي أنْ يُحَلِّقَ فيه!!!

كلُّ هذا وغيره لا يمكن تعليله إلاّ على ضوء ما أشَرْتُ من أنّه من خيال الوضّاعين ممّن كانت عندهم مَلَكَة التخيّل تدعمها أساطير العهدين وما أضاف إليه (كعب الأحبار) و(تميم الداري) ومن رَوَّجَ رواياهم بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كقول أبي هريرة عن كعب الأحبار في رواية تحاجّ النار على الجنة، «... فأمّا النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى (رجْلَهُ) فتقول قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض»[1].

ولا ندري كيف نشخِّصُ اللهَ جل وعلا ونحن نقرأ في محكم كتابه أنه ﴿لَيْسَ

---

(١) صحيح البخاري، تفسير سورة ٣: ج٣، ص١٢٧؛ صحيح مسلم: ج٢، ص٤٨٢، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، أخرجه في خمسة طرق عن أبي هريرة، وأخرجه أحمد في مسنده: ج٢، ص٣١٤، من حديث أبي هريرة؛ أضواء على السنة المحمدية: ص٢٣٢، ط٢، نقله عن البخاري.

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ، وهل يحتاج من أرادَ أمراً أنْ يَقولَ لَهُ كن فيكون أو يَضعُ شيئاً يسمّيه (المُشَخِّصُ للذات الإلهية) رِجلاً من ذاته في النار لتمتلئ؟ ما هذا البهتان؟

ومِن هذا الزيف الإسرائيلي تجد الكثير ولم يتكلف من أعجِبَ به أو طلبَ به دنياً أوْ طعناً في الإسلام إلاّ أنْ ينسَبه إلى علمٍ ثقة من أعلام التفسير من أمثال سعيد وأقرانه ممن لا تتفق هذه التلفيقات مع تقواهم وصلاحهم.

ولم يتوقف الوَضّاعُون عند هذا النوع من الدس الأسطوري بل تعدّوه إلى أنواع أخَرَ، حيث وضعوا شروحاً وتفسيرات غاية في الغرابة ومجانبة الحقيقة وفيها من الغرض الشخصي والقول بالرأي وعدم التبصّر والتأكّد مما يدفع الدّارس المتأخر من الباحثين المتخصّصين أن يضرب بها عرض الحائط لِتَضاربها مع منطق العقل ومخالفتها واقع القرآن إذا ما قورنَت وقوبلت مع التفسيرات الأخرى التي وصلت إلينا بأسانيد متواترة لا يطالها الشك ولا تتعارض مع النصّ القرآني ولا مع واقع العمران والعرف الاجتماعي.

ومن هذه الأمثلة التي لا تستند على حقيقة تاريخية أوْ رياضية، ما نُسِبَ إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس في القول في زمن الخليقة وتحديده بسبعة آلاف سنة[1]، فنحن لم يثبت لدينا فيما ورد عن أهل بيت النبوة - وهم الذين توارثوا تراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه - تحديداً لزمن الخليقة بهذا الشكل الجازم، هذا من ناحية الدليل الروائي؛ أمّا لو أخضعنا الرواية لواقع العمران من الناحية العلمية وبما ثبت من تقدير أعمار بعض المتحجرات البشرية - وحدها دون باقي المتحجرات - بعشرات الآلاف من السنين حتى أنّ بعضها فاق

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج١، ص١٣.

الخمسين مليون سنة - لظهر لنا ما في هذه الرواية من وضع، ومن البديهي أنّ القرآن لم يحدد تاريخ الخليقة بالسنوات فلا تؤاخذ إذن إلاّ الرواية.

وهناك رواية أخرى لا تقل غرابة عن سابقتها نُسبت أيضاً إلى سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ... } [١]؛ من أن الماء كان على متن الريح حين خُلِقَ العرش[٢].

ومثل هذا التصور لعرش الله وتحديد خلقه يتناقض مع التفسير العلمي الذي يفسر القرآن بالقرآن، فلو ناسَبْنا بين قوله تعالى { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [٣]، وقوله تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [٤]، يمكننا أن نستخلص المعنى السياقي من استواء الرحمن سبحانه وتعالى؛ إنما هيمنته وسيطرته وقدرته الجبارة التي لا يحدّها زمان أو مكان وأنّه سبحانه وتعالى { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ } - وهو علمه - وأنّه ليس شيئاً يجلس على الغمام حسب مفهوم الرواية المنسوبة إلى هذا العبد الصالح الذي لابد وأن يكون قد قرأ مثل هذه الآيات التي بها وبأمثالها يستعين المفسرون على حل بعض المتشابه من آيات الكتاب المبين.

فكيف يفوت على سعيد ذلك! وهو الذي استنبط فوائد لغوية لا يستغني عنها المختصون من علماء اللغة ممن تعمّقوا فيها ليتوصلوا إلى فهم بعض أسرار اللغة القرآنية التي قال تعالى فيها: { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ

---

(١) سورة البقرة: ٢١٠.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج١، ص١٧.

(٣) سورة طه: ٥.

(٤) سورة الشورى: ١١.

مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ... }[١]، و { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا }[٢].

فمما حفظه لنا سعيد من فوائد لغوية قوله (إنما سُمِّيَ الجبل الذي كان عليه موسى طور سيناء لأنّه جبل كان عليه شجر الزيتون، وكل جبل يكون عليه ما يُنتَفَعُ به من النبات والأشجار سُمِّيَ طور سيناء أو طور سينين، وما لم يكن عليه ما ينتفع به من النبات أو الأشجار من الجبال سُمِّيَ (طور) ولا يقال له (طور سيناء) أو (طور سنين)[٣].

ونموذج آخر ما ورد في تفسير قوله تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ }[٤]. التي فيها أقوال منها قول سعيد بن جبير (من أنّ الزبور كتب الأنبياء، ومعناه كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الأنبياء من بعد كتابته في الذكر أي أم الكتاب الذي في السماء وهو اللوح المحفوظ - وهو الذي اختاره الزجاج وقال: لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد، وَزَبَرْتُ أي كتبت)[٥].

كان سعيد في تفسيره أبعد مدى وأوسع شمولاً وتوضيحاً لمعنى الآية التي يروي تفسيرها أو يفسرها بنفسه.

فمثلاً كان ينقل تفسير ابن عباس لسورة (إنّا أعطيناك الكوثر) فقال أبو بِشْر

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج١٣، ص٦٥، ط سنة ١٣٧٦هـ، طهران.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٦.

(٥) مجمع البيان للطبرسي: ج٧-٨، ص٦٦.

- أحد رواته - لسعيد: إنّ أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة؛ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاهُ اللهُ إياه)[١].

والمتتبع لأسلوب سعيد وهو يفسر هذه الآية يجدُ أنّه من أوائل التابعين الذين وظّفوا علم الاستدلال الذي تطور ونما بعد قرون كعلم أساسي تستنبط به كثير من القواعد الفقهية وتُحَلُّ به كثير من المشكلات الخلافية التي ظلّت تستغل لتفرقة المسلمين.

فحصر العام بالخاص والجمع بين الآراء التفسيرية كان بداية تحول كبير له أثره وآثاره في علم التفسير.

واتصف أسلوب سعيد بالبساطة والواقعية والأخذ بالمعنى السياقي للنص القرآني بالاستناد إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن بعيداً عن الآراء الفلسفية والاجتهادية التي أدخلت في التفسير بعد عهد التابعين.

فمثلاً لما سُئِلَ سعيد عن تفسير قوله تعالى: **{ ...فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }** [٢]، قال: (هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب، ومثله قال قتادة)[٣].

وفي تفسيره لقوله تعالى: **{ ...وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ }** [٤].

قال سعيد: (المراد حين تقومَ من مجلسك؛ بأن يقول المرء: سبحانك اللهمَ

---

(١) صحيح البخاري، تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: ج٤، ص٩٦، ط ١٣٥١هـ -١٩٣٢م، القاهرة.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٤.

(٣) مجمع البيان للطبرسي: ج٧-٨، ص١٦٧.

(٤) سورة ق، الآيتان: ٣٩-٤٠.

وبحمدك، لا إله إلاّ أنت، اغفرْ لي كلَّ ذنبٍ وتُبْ عَلَيَّ)[١].

وفي تفسيره لقوله تعالى: { ...وَأَقَامَ الصَّلَاةَ... } ، يعني وأتم الصلاة المكتوبة { ...وَآتَى الزَّكَاةَ... } ، يعني الزكاة المفروضة)[٢].

وفي تفسيره لقوله تعالى: { ...وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ... } ، قال: يعني أعط المال على حبه أي حب المال)[٣].

وهو تفسير مع أنه يتصف بالبساطة وعدم مجانبة المنطق فهو قد حصر المعنى بهذه الحقيقة مستنبطاً إياه من آية أخرى { وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } [٤].

**استنباطه**

وأخيراً وما دُمنا بصدد إنهاء البحث في أسلوب سعيد بن جبير ومميزاته، فلابُدّ لنا من الإشارة إلى ما أخذه سعيد من تفسير تواتر عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير لبعض الآيات التي خصّهم الله بها وحسدهم عليها أعداؤهم وكانت لهؤلاء مواقف منها؛ ولكن سعيداً أخذ بها.

قال سعيد في تفسير قوله تعالى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ... } [٥]، بأنّه عنى بالنور محمداً صلى الله وآله وسلم وأضافَهُ إلى نفسه تشريفاً له فيكون المعنى مثل (محمدٌ رسول الله)[٦].

---

(١) كنز العرفان للسيروي: ج١، ص٦٢.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص١٧١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) سورة الفجر: ٢٠.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٦) مجمع البيان للطبرسي: ج٧-٨، ص١٤٢-١٤٣.

فما هي المؤاخذاتُ التي تؤاخذُ بها مثل هذه الرواية؟

وقيل إنّها نسبت إلى سعيد وأنها لا تخلو من تكلف في استنباط حقيقة معناها وقالوا هو تحميل للفظ معنى على غيره ظاهره.

ونحن نقول إنّه إنما استنبط المعنى من الآية التي بعدها **{ ...مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ... }** ، - وهو ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام - وليس في الأمر تحميل للفظ على غير معناه.

فالقرآن الذي تحدى العربَ أن يأتوا بسورة من مثله وهم ملوك البلاغة والبيان؛ واللهُ سبحانه وتعالى قد شرف محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة والتبليغ بالقرآن ونعته بالنور وقَرَنَ به القرآن في قوله تعالى: **{ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ }** [(١)]، والذكرُ من معاني النور، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولٌ قد خلت من قبله الرسل انفرد عنهم بنص القرآن أنه (ذكرٌ نورٌ مُنزَلٌ) من السماءِ يتلو القرآن.

فهو نور جاء بالنورِ ليُخْرِجَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور: **{ ...يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... }** [(٢)].

وهل مِثلُ نور محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم نورٌ يهدي إلى النور؟ وهو الذي ما مرّت سورة إلاّ وفيها حديث موجه من الله تعالى إليه صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة يس، الآية: ٦٩.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ١٠-١١.

وسلم فيه ثناء وإرشاد أو تشريع أو تبشير أو تحذير أو عبرة أو تدبّر!

بقي أن نتساءل؛ هل لو فسرنا الآية على ظاهرها يصغر من شأن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: لا، وما قصده سعيد بن جبير إنما اعتمده مما استنبطه من باقي آية النور وهو ما أوحى به اللهُ للعقل البشري المبدع بالتشبيه بالاستعارة الى الله سبحانه وتعالى حين قال: { ...مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ... } ، فنقل المتلقي إلى بيت النبوة ليهيِّئَ مداركه لتقبل الآية كبنيان علمي لا يتجزأ إلى يوم القيامة ويبقى ضياؤه بنور الصراط المستقيم إلى الله { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ... } (١)، وهؤلاء الرجال ليسوا كباقي البشر ممن يردون المساجد العامة في أوقات محدودة لتأدية خمس صلوات معلومة ثم يعودون يتلهّون بالبيع والتجارة.

هؤلاء الرّجال عبادٌ مُكرَمُونَ مخلَصُون لا يعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبيوتهم هي التي أذن اللهُ أنْ تُرفَعَ وأمر أنْ تُجبى لهم أموال الخمس ليرفدوا بها المسكينَ واليتيم والأسير يَشفعونَ عطاءَهم بقوله تعالى: { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا } (٢)، نعم { ...يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ } (٣).

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٦-٣٧.

(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٩-١٠.

(٣) سورة النور، الآية: ٣٧.

هذا هو المعنى الباطن الذي استنبطه سعيد بن جبير من آية النور وهو من المعاني العلمية الأصولية التي تبين الشأن الجليل لمعنى الإمامة إلى يوم القيامة.

### حديث «أنا مدينة العلم وعليٌ بابها»

فاللهُ نور السماواتِ والأرض أي عِلمُ السماوات والأرض وما محمدٌ وأهلُ بيته عليهم السلام إلاّ أدلاء لأهل الأرض على هذا النور الذي أشار وصيُّ خاتم الأنبياء إلى ما وصلَ إليه من فضله بقوله المشهور عنه: «عَلّمني رسُول اللّهِ ألفَ باب من العلم ينفتح لي من كل بابٍ ألفُ باب»، وهو وحده القائل: «سَلوني قبل أن تفقدوني»، ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فيه وحده قال: «أنا مدينةُ العِلمِ وعليٌّ بابُها»، وهذا ما ثبّته المئاتُ من المؤرخين والمفسرين وفي العشرات من المصادر يُروى: «أنا مدينة العِلم وعليٌّ بابها ومن أرادَ العلم فليأت الباب»، ومن شاء التَّثبُّت فليراجع:

١. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، لأبي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد (٢٢٤-٣١٠هـ).

٢. مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ): ٣/ ١٢٦، و١٢٨، و٢٢٦.

٣. صحيح الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٨٩هـ).

٤. جمع الجوامع والجامع الصغير لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): ج١، ص٣٧٤.

٥. المعجم الكبير والأوسط لسليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ).

٦. بحر الأسانيد للحافظ أبي محمد السمرقندي (ت ٤٩١هـ).

٧. معرفة الصحابة للحافظ أبي نعيم (ت ٤٣٠هـ).
٨. الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ): ج٢، ص٤٦١.
٩. المناقب لابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ).
١٠. فردوس الأخبار للحافظ الديلمي (ت ٥٠٩هـ).
١١. مقتل الحسين عليه السلام للخطيب الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ): ج١، ص٤٣.
١٢. المناقب للخطيب الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ).
١٣. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ).
١٤. كتاب ألف باء لأبي الحجاج الأندلسي (ت ٦٠٥هـ): ج١، ص٢٢٢.
١٥. أُسد الغابة لابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ): ج٤، ص٢٢.
١٦. الرياض النضرة لمحب الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ): د١، ص١٢٩.
١٧. تذكرة الحفّاظ لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ): د٤، ص٢٨.
١٨. فيض القدير لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ): ج٣، ص٤٧.
١٩. مجمع الزوائد للهيثمي (ت ٨٠٧هـ): ج٩، ص١١٤.
٢٠. حياة الحيوان للدميري (ت ٨٠٨هـ): ج١، ص٥٥.
٢١. أسنى المطالب لشمس الدين محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣): ص١٤.
٢٢. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): ج٧، ص٣٣٧.
٢٣. عمدة القاري لبدر الدين العيني الحنفي (ت ٨٥٥هـ): ج٧، ص٦٣١.
٢٤. كنز العمال للمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ): ج٦، ص١٥٦.

٢٥. فيض القدير للمناوي (ت ١٠٣١هـ): ج٣، ص٤٦.

٢٦. السراج المنير للعزيزي (ت ١٠٧٠هـ): ج٢، ص٦٣.

٢٧. سبل الهدى والرشاد في أسماء خير العباد لمحمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ).

٢٨. نقد الصحيح للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ).

٢٩. المسند والمناقب لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ).

٣٠. مطالب السؤول لمحمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ).

٣١. فرائد السمطين لإبراهيم بن محمد الحمويني (ت ٧٢٢هـ).

٣٢. هداية السعداء لشهاب الدين الدولت آبادي (ت ٨٤٩هـ).

٣٣. جواهر العقدين للسمهودي (ت ٩١١هـ).

٣٤. إبطال الباطل للقاضي فضل بن روز بهان.

٣٥. الفصول المهمة لنور الدين بن الصباغ (ت ٨٥٥هـ).

٣٦. الصواعق المحرقة لابن حجر المكي (ت ٩٧٤هـ).

٣٧. الأربعين لجمال الدين الشيرازي (ت ١٠٠٠هـ).

٣٨. المرقاة في شرح المشكاة لعلي القاري الهروي (ت ١٠١٤هـ)، وقد تناول آية النور بالتفصيل وأخذ برواية سعيد.

٣٩. إسعاف الراغبين لمحمد بن علي الصبّان (ت ١٢٠٥هـ): ص١٦٥.

٤٠. الفوائد المجموعة للقاضي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

٤١. تفسير روح المعاني لشهاب الدين الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ).

٤٢. إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ).

٤٣. مودة القربى للهمداني الشافعي.

٤٤. زين الفتى في شرح سورة هل أتى لأحمد بن محمد العاصمي.

٤٥. المقاصد الحسنة لشمس الدين محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ).

٤٦. ينابيع المودة للقندوزي (ت ١٢٩٣هـ): باب ١٤.

٤٧. تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي.

٤٨. نزهة الأرواح لصدر الدين الفوزي الهروي.

٤٩. شرح الديوان لكمال الدين الميبدي.

٥٠. تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): ج٢، ص٣٧٧؛ وج٤، ص٣٤٨؛ وج٧، ص١٧٣.

٥١. كفاية الطالب لمحمد بن يوسف الكنجي (ت ٦٥٨هـ): الباب الثامن والخمسون، بعد نقله للروايات قال:

فقد قال العلماء من الصحابة [وحبرهم وشيخهم - كما مرَّ بنا تلميذ علي؛ عبد الله بن عباس] والتابعين [وشيخهم سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس] وأهل بيته عليهم السلام [وقد عاصر سعيد إمام زمانه علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وأخذ عنه وكان يأتم به] والكل قالوا بتفضيل علي عليه السلام وزيادة علمه وغزارته وحِدَّة فهمه ووفور حكمته وحُسْنِ قضاياهُ وصحةِ فتواه، وقد كان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم... من علماء الصّحابة يُشاورونه في الأحكام ويأخذون بقوله في النقض والإبرام اعترافاً منهم بعلمه ووفور فضله

ورجاحةِ عقله وصحة حكمه، وليس هذا الحديث: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» في حقه بكثير، لأن رتبته عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعند المؤمنين أجل وأسمى من ذلك.

وقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة (ولما قال محفن بن أبي محفن لمعاوية: جئتك من عند أعيا الناس - وقَصَدَ علياً عليه السلام قال له: وَيْحَكَ! كيف يكون أعيا الناس! فو اللهِ ما سَنَّ الفصاحة لقريش غيره)(١).

ونقل أيضاً وكما جاء أيضاً في الصواعق المحرقة لابن حجر المكي (ت ٩٧٤هـ) - وهو غير ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) قال: (وأخرج أحمد بن حنبل؛ أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة، فقال اسأل عنها علياً فهو أعلم.

فقال يا أمير! جوابك فيها أحبّ إليّ من جواب علي.

قال: بئسما قلت، لقد كَرِهْتَ رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم يغرّه بالعلم غراً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي»)(٢).

روى العلامة نور الدين المالكي في كتابه الفصول المهمة، والعلامة الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب، عن حذيفة بن اليمان أنه لقي عمر بن الخطاب فقال له عمر: (كيف أصبحت يا بنَ اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصْبِحُ؟! أصبحتُ واللهِ أكره الحق، وأحِبُّ الفِتنةَ، وأشهد بما لم أرَهُ، وأحفظ غير المخلوق، وأصلي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء، فغضب عمر

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: من المقدمة ص٢٤-٢٥، طبع دار إحياء الكتب العربية.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر المكي: ص ١٠٧، طبع المطبعة الميمنية بمصر.

لقوله وانصرف من فوره وقد أعجله أمر وعزم على أذى حُذَيفة لقوله ذلك.

فَبَيْنا هو في الطريق إذ مَرَّ بعلي بن أبي طالب، فرأى الغضبَ في وجهه، فقال: «ما أغضبك يا عمر؟!».

فقال عمر: لَقِيْتُ حذيفة بن اليمان فسألته كيف أصبحتَ؟ فقال: أصبحتُ أكرهُ الحق، فقال عليه السلام: «صَدَقَ؛ يكرهُ الموت وهو حق».

فقال: يقول: وأحِبُّ الفِتْنَةَ، قال عليه السلام: «صَدَقَ، يُحِبُّ المالَ والولد، وقال تعالى: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ... } [1]».

فقال: يا علي، ويقول: واشهد بما لم أرَهُ، فقال عليه السلام: «صَدَقَ، يشهد بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنة والنار والصراط ولم يَرَ ذلك كله».

فقال يا علي: وقد قال: إنني أحفظ غير المخلوق؛ قال عليه السلام: «صدق، يحفظ كتابَ اللّهِ تعالى؛ القرآن وهو غير مخلوق».

قال: ويقول: وأصلّي على غير وضوء، فقال عليه السلام: «صَدَقَ، يُصَلّي على ابن عمي رسولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله وسلم على غير وضوء، وهي جائزة».

فقال: يا أبا الحسن قد قال أكبر من ذلك، فقال عليه السلام: «وما هو؟».

قال: قال: إنّ لي في الأرض ما ليس لله في السماء، قال عليه السلام: «صَدَقَ، لَهُ زوجة، وتعالى اللّه عن الزوجة والولد».

فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب)[2].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

(٢) الفصول المهمة لنور الدين المالكي: ص١٨، القسم الثالث من الفصل الأول.

ثم قال العلامة الكنجي: (هذا ثابت عند أهل النقل ذَكَرَهُ غير واحد من أهل السير)[١].

## أخبار سعيد عن ابن عباس

وقد روى سعيد أخباراً كثيرة عن شيخه ابن عباس عن شيخه وإمامه علي ابن أبي طالب عليه السلام، لاسيما المسائل التي كان يطرحها علماء اليهود والنصارى، فكانت معضلات علمية ومشكلات كلامية لم يتمكن أحدٌ من الصحابة من ردّها أو الإجابة عليها بالصواب إلاّ سيد الوصيين وأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ورواها عنه تلميذه ابن عباس كما رواها عنه شيخ التابعين تلميذه البار سعيد بن جبير رغم أنف بني أمية - الذين كانوا في سعي محموم لطمس هذا النور المحمدي الذي حفظه أهل البيت عليهم السلام، وإذا كان سعيد قد اختصه ابن عباس بعلمه فابن عباس هو القائل: (ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب)[٢].

وقد وصفت زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عائشة علياً عليه السلام بقولها: (أما إنه أعلمُ الناس بالسّنّة)[٣].

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ثَبَّتَ بالقرآن مرجعية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمر بالرجوع إليه بقوله تعالى: { ...فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ... }[٤]، وأمر أيضاً بالرجوع إلى علي عليه السلام من بعده بقوله تعالى:

(١) كفاية الطالب للكنجي الشافعي: الباب السابع والخمسون.

(٢) تفسير القرطبي: ج١، ص٢٧.

(٣) ذخائر العقبى: ص٧٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٩.

{ ...وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ... } (١)، مسنودة بقوله تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } (٢)، ومثبتة بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعلي بابها...»، وإذا كان ابن عباس قد دخل المدينة من بابها فإن سعيداً قد أحسن الأخذ عن هذا الشيخ الذي قال يوماً يصف علمه من علم علي عليه السلام: «إن علمي من علم علي كقطرة من بحر...».

كما روى ابن المغازلي في المناقب، ومحمد بن طلحة العدوي في مطالب السؤال، وشيخ الإسلام الحمويني في فرائد السمطين، والعلامة القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة، الباب الرابع عشر، في غزارة علمه عليه السلام روى عن الكلبي عن عبد الله بن عباس قال: (عِلْمُ النبي من عِلْمِ الله، وعِلْمُ علي من عِلْمِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلمي من عِلْمِ علي عليه السلام، وما علمي وعِلْمُ الصحابة في عِلْمِ علي إلاّ كقطرة بحرٍ في سبعة أبحر)٣.

وقال ابن أبي الحديد في مقدمة شرح نهج البلاغة: (ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخِذَ ومنه فُرِّعَ، وإذا رجعتَ إلى كتب التفسير عَلِمْتَ صِحة ذلك لأنّ أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقَد عَلِمَ الناسُ حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه، وقيل له: أين عِلْمُكَ من عِلْمِ ابن عمك؟ فقال: كَنِسْبَةِ قَطرةٍ من المطر إلى البحر المحيط)٤.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٣) شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج٣١ ص٤٤٥.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص١٩.

وبعد هذا يتكشف لنا مقدار علم سعيد تلميذ ابن عباس وسر رصانة أسلوبه في علم التفسير!

فالقرآن لا يمس باطنه إلاّ المطهرون وهذا هو التأويل الذي أخذه سعيد عن ابن عباس وأخذه ابن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام وأخذه علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقول علي عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السماوات فإني أعلم بها من طرق الأرض»[(١)].

أو ما جاء بصيغة أخرى: «سلوني عمّا شئتم، ولا تسألوني عن شيء إلاّ أنبأتكم به».

وكما نقل القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودة، عن موفق بن أحمد الخوارزمي والحمويني بإسنادهما عن أبي سعيد البحتري قال: (رأيت علياً رضي الله عنه على منبر الكوفة وعليه مدرعة رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم وهو متقلد بسيفه ومتعمم بعمامته صلى الله عليه - وآله - وسلم فجلس على المنبر فكشف عن بطنه وقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّ ما بين الجوانحِ مِنّي علم جَمٌّ، هذا سَفَطُ العلم، هذا لعاب رسول اللّه صلى اللّه عليه – وآله – وسلم، هذا ما زقّني رسولُ اللّه زقاً زقّاً، فو اللّهِ لو ثُنِيَتْ لي الوسادةُ فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم حتى يُنَطِقَ اللّهُ التوراة والإنجيل فيقولان صدق عليٌّ قد أفتاكم بما أُنْزِلَ فِيَّ وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون»)[(٢)].

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشافعي ص٩٢.

(٢) سنن أبي داود: ص٣٥٦؛ مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص٢٧٨؛ صحيح البخاري: ج١، ص٤٦، وج١٠، ص٢٤١؛ ينابيع المودة للقندوزي: الباب الرابع عشر.

يتبيّن لنا معنى النور المحمدي الذي أول سعيد بن جبير قوله تعالى: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ... } (١).

وما ذكرناه يجسد لنا هول الجريمة التي اقترفها الحجاج بحق سعيد؛ تلميذُ تلميذِ علي عليه السلام.

ونحن نسأل من يتشبث بظواهر الألفاظ؛ هل في تفسيرنا الآية بهذا التأويل المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه من الغموض ما يجعله تجنياً على القرآن؟ وقد فاضت آياته بما ورد من الله سبحانه وتعالى وهو يُضيفه صلى الله عليه وآله وسلم جلّ وعلا تشريفاً له، ولمن كان يتمسك بظاهر لفظ الآية نقول: الظاهر من سياق اللفظ أنها بدأت بلفظ الجلالة ثم أخبر عنه بأنه نور السماوات والأرض وما هذا الخبر إلاّ صفة واحدة تبين أن هذا النور هو علم السماواتِ والأرضِ وعطف عليه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فَمَثَّلَ لأهلِ الأرض بـ(مَثَلُ نوره...) لِتَلُمَّ مَدارِكُ البشر بعلم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي اصطفاه الله العزيز الحَكيم بعلم الغيب بقوله تعالى بحقه صلى الله عليه وآله وسلم: { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا } (٢).

وقوله تعالى فيه صلى الله عليه وآله وسلم: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى } (٣)، لم تكن الآيات تعني القرآنَ وحدَه بل تشمل الحديثَ

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الجن، الآيات: ٢٦-٢٨.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

القدسي والعِلْمَ اللّدُني والعلمَ بالعالم الأعلى وإلاّ كيف أخبرَ علياً عن المغيبات والحوادث التي تقع في المستقبل البعيد والقريب مثل إخباره عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما سيقع من حوادث مثل مَقتَل ميثم التمار وإخباره أنّ قاتله عبيد الله بن زياد وهو يصلبه على جذوع النخل، وأخبر عن مقتل جويرية وَرُشَيْد الهَجَري وعمرو بن الحمق الخزاعي على يد عمال معاوية وأعوانه وأخبر عن كيفية قتلهم واستشهادهم، ولقد أخبر عن مقتلِ ولدِهِ الحسين عليه السلام واستشهاده مع أهلِ بيتهِ وأنصاره في أرض كربلاء، وهذه الأخبار مذكورة في تأريخ الطبري، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، ومقتل الحسين ومناقب الخوارزمي وغيرهم، وإخباره أن ابن ملجم قاتله كما جاء في أسدِ الغابة لابن الأثير ولما قيل له: ألا تقتله؟ فقال: فمن يقتلني؟[(١)]. وقوله عليه السلام في معركة النهروان في مقتل ذي الثَّدْيَةِ يؤكد ما ذهبنا إليه[(٢)].

وقد ذكر ابنُ أبي الحديد في شرح النهج قائلاً: (والأخبار على قسمين: أحدهما الأخبارُ المجملة، ولا إعجاز فيها: نحو أن يقولَ الرجل لأصحابه: إنكم سَتُنْصَرونَ على هذه الفئة التي تلقونها غداً: فإن نُصِرَ جعل ذلك حُجَّةً له عند أصحابه وسمّاها معجزةً، وإن لم يُنصرْ، قال لهم: تَغَيَّرَتْ نيّاتكم وشككتم في قولي، فمنعكم اللهُ نَصرَهُ، ونحو ذلك من القول، ولأنه جرت العادة أن الملوكَ والرؤساءَ يعدون أصحابهم بالظفر والنصر ويُمَنّونَهم الدّوَلَ، فلا يدلّ وقوع ما يقع من ذلك على إخبارٍ عن غيب يتضمنُ إعجازاً.

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير: ج٤، ص٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٢، ص٢٦٥، طبع دار إحياء الكتب العربية تحت عنوان: أخبار الخوارج.

والقسم الثاني: في الأخبار المفصلة عن الغيوب كالإخبار عن الخوارج حيث قال: وفي الصحاح المتفق عليها أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بينا هوَ يقْسِمُ قِسْماً جاء رجلٌ من بني تميم يُدعى ذا الخويصرة، فقال: إعدِلْ يا محمد! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قَد عَدَلتُ»، فقال له ثانية: إعْدِلْ يا محمد! فإنك لم تَعْدِلْ، فقال صلى الله عليه وآله وسلك: «ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدلْ...»، ثم أخبر صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «سيخرج من ضِئضِئِ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...»، وبعدما وصفهم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «آيتُهُمْ رجلٌ أسود مُخَدَّجُ اليدِ، إحدى يديه كأنها ثدي امرأة»)[1].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: (وروى العوام بن حوشب عن أبيه، عن جدّه يزيد بن رُوَيم، قال: قال علي عليه السلام: «يُقْتَلُ اليوم أربعة آلاف من الخوارج، أحدهم ذو الثدية». فلما طَحَنَ القَوْمَ ورامَ استخراج ذي الثدية فاتبعته، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة، وركبَ بغلةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «اطرح على كل قتيل منهم قصبة»، فلم أزل كذلك وأنا بين يديه، وهو راكب خلفي والناسُ يتبعونه حتى بَقِيَتْ في يدي واحدة فنظرتُ إليه وإذا وجهُهُ أرْبَدَ، وإذا هو يَقول: «والله ما كَذِبْتُ ولا كُذِّبْتُ»، فإذا خرير ماء عند موضع دالية، فقال: «فتِش هذا»، ففتّشته، فإذا قتيل قد صار في الماء، وإذا رِجْلُهُ في يَدِي فَجَذَبْتُها وقلتُ: هذه رِجْلُ إنسان؛ فنزل عن البلغة مسرعاً، فجذبَ الرِّجْلَ الأخرى وجَرَرْناه حتى صار على التراب فإذا هو المخدَّج (ذو الثّدية) فكبر علي عليه السلام بأعلى صوته، ثم سجد، فكبر الناس كلهم)[2].

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٢، ص٢٧٧.

ويقول ابن أبي الحديد: (مثل هذا الخبر ، فإنه لا يحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه، من غير زيادة ولا نقصان، وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعرفه رسول الله صلى الله عليه آله من جهة الله سبحانه. والقوة البشرية تقصر عن إدراك مثل هذا...)[١].

### أسرار القرآن الكريم

نستدل بما ذكرناه أنَّ كثيراً من أسرار القرآن ظلت في صدور أهل البيت عليهم السلام وما وصلنا عن طريق أصحابهم إلاّ النزر اليسير؛ وما اختصَّ اللهُ سبحانه رسولَه صلى الله عليه وآله وسلم وأهلَ بيته عليهم السلام بقي أمراً محيراً لعقول أصحابهم قبل أعدائهم ويعترف جميع المفسرين أن هناك آياتٍ يعجز العقل العادي عن توظيفها واستثمار إعجازها مع أن الروايات قد تواترت عندنا أنَّ (المطهرين عليهم السلام) قد مسّوها وكشفوا سرها الإعجازي مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى... ﴾ [٢].

وقد روى جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء، وبدر الدين الحنفي في عمدة القارئ ومحب الدين الطبري في الرياض النظرة، والسيوطي أيضاً في تفسير الإتقان، وابن حجر العسقلاني في فتح الباري، وفي تهذيب التهذيب، رووا أنّ علياً عليه السلام قال: «سلوني! واللهِ لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ أخبرتكم، وسلوني عن كتاب اللهِ فو الله ما مِنْ آيةٍ إلاّ وأنا أعلم أبليّل نزلت أم

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.

بنهار، في سهلٍ أم في جبلٍ»[١].

وقد أكد ابن عباس هذا وعلم تلميذه سعيداً من هذا البحر الذي عَبَّ من خِضَمِّهِ وهو القائل لأهل الكوفة (تسألوني وفيكم ابن أمّ دَهمَاءَ)، يعني سعيداً.

فسعيد لم يبالغ في تأويل (نور الله) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما ورد في معجزته الكبرى - القرآن الكريم - وكيف أن القرآن نزل ثلثه في محمد وأهل بيته عليهم السلام! وأن اللهَ سبحانه وتعالى يضيفه إلى نفسه تشريفاً له؛ فإن كان سعيد يقصد بآية النور لفظها فإنها بدأت بلفظ الجلالة ثم نعته بـ(نور السماوات) وعطف عليه بـ(مثله أي (مثل نورهِ) وهذا منتهى الحب من اللهِ لخاتم أنبيائه، وإن الله سبحانه وتعالى وإنْ ذكر اسم نبيه في مواقع كثيرة بأسمائه المتعددة إلا أنه لّما أرادَ لَهُ الدرجة الرفيعة والوسيلة والفضيلة على الأنبياء كُلِّهِمْ ختم به النبوة تشريفاً له بها ولم يذكرها إلاّ مَرَةً واحدة تنزيهاً له فقال جل جلاله ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ... ﴾[٢]، وهذا التشريف بهذه الإضافة كما يبدو أعمق معنىً من تأويل الآية بغير معناها النوراني العلمي الذي لا يستبعد أن يكون من المعاني العلمية التي أشار إليها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى.... ﴾[٣].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٢٤؛ الرياض النظرة لمحب الدين الطبري: ج٢، ص١٩٨؛ تفسير الإتقان للسيوطي: ج٢، ص٣١٩؛ فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ج٨، ص٤٨٥؛ تهذيب التهذيب: ج٧، ص٣٣٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣١.

وغمض ما فيها على المفسرين المتقدمين لما فيها من دقة الله في صدر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل علياً وأولاده الأئمة المعصومين باباً إليه وهو ما لَمَّحَ علي عليه السلام إلى خَطَر مقداره بقوله عليه السلام: «... أنا النقطة تحت الباء»، وإليكَ ما ذكره ابن طلحة الشافعي.

نقل العلامة القندوزي الحنفي في كتاب ينابيع المودّة عن كتاب الدرّ المنظم لابن طلحة الشافعي قال: (إعلمْ أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن وجميع ما في القرآن في الفاتحة وجميع ما في الفاتحة في البسملة وجميع ما في البسملة في باء البسملة وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي تحت الباء، وقال الإمام علي كرم الله وجهه «أنا النقطة التي تحت الباء».

وأخرج العلامة القندوزي أيضاً، عن ابن عباس أنه قال: أخذ بيدي الإمام علي ليلة مقمرة فخرج بي إلى البقيع بعد العشاء وقال: «اقرأ يا عبد الله»، فقرأتُ: بسم الله الرحمن الرحيم، فتكلم لي في أسرار الباء إلى بزوغ الفجر)(١).

وإن بعض ما أدركه الإنسان الحديث الآن إنما طرقه القرآن لتذكير الإنسان بعظمة الخالق بالتفكر بكيفية مخلوقاته كالمغناطيس والكهرباء والطاقة وتحولاتها، وإن ظل هذا الإنسان عاجزاً عن تعليل سر الحركة الإلكترونية واختلاف سرعاتها التي يتحدد بها نوع المادة وشكلها وليس في قولي هذا كثير تكلف حين نتذكر قوله تعالى: ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (٢).

وكيف عجز المفسرون الأولون عن إعطاء التفسير الصحيح الذي يكشف السر الحقيقي والعلمي لمعنى (تسوية البنان) وأين تكمن المعجزة في ذلك؟! وَلِمَ

(١) ينابيع المودة للقندوزي: الباب الرابع عشر.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٤.

اختار الخلاق العزيز الحكيم هذا الجزء الصغير من هذا العضو الصغير من الإنسان ليقررَه على الاعتراف ببديع صنع الله ولم يضرب له مثلاً بما هو أعقد منه؛ حتى جاء العلماء المتأخرون بعد عشرات الأجيال بعد عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ليكشفوا السر الإلهي لهذه الأخاديد الدائرية الشكل التي تظهر في بَنان الإنسان من ظهوره طفلاً على وجه الأرض وتبقى معه إلى أن تصبح عظامه رميماً في جوف الأرض.

فتبين لهم أنّ البشرَ مهما بلغ عددهم، لكل منهم شفرة فيها سر يميزها عن الآخرين من جنس البشر لها ميزة خاصة بصاحب البنان من حيث دقة رسمها لا تتشابه مع رسم بنان أي إنسان آخر؛ بل ولا تتشابه مع رسم باقي بنان الإنسان أي وجدوا أنّ كل (بنانةٍ) لها شفرتها الخاصة بها.

بقي علينا أنْ نعلل كيفية قبول التفسير الأول للآية المحكمة والذي ذكر في البداية عند بحثها من أنه على الباحث أن يتحقق من وجود الروايات المتواترة الصحيحة من حيث متنها وسندها، ثم يدرس النص على ضوئها.

فهذه المسألة لابد ستكون بالغة التعقيد على الباحث المتأخر لأنها تتطلب إتباع أمور لا تخلوا هي الأخرى من تشعّبات قد تجره إلى أن يفرد كتاباً مستقلاً بذاته في تفسير آية واحدة ليلمّ ما أمكنه بالتفسير الصحيح لها كما فعل (الحسين بن مرتضى الطباطبائي في تفسير سورة النور وحدها إذْ كلفته جهداً مضنياً حتى حققها بـ(٤٠٠) صفحة ليصلَ إلى المعنى الذي ورد عن سعيد صحيح متواتر عن السلف.

وقد لا يتقبل بعض القراء هذا التعليل أو ذاك الخبر؛ وذلك لأنه يخالف معتقداته وقناعاته التي تَعَوَّدَ على قياس المستجدات أيّاً كانت عليها؛ فنقول: إن

البحوث القرآنية ليست بحوثاً مختبرية، فللبحوث القرآنية قواعد وضوابط تفرض على الباحث المتخصص اتباعها والسير على هديها متدرجاً في بحثه بموجب متطلباتها ليتوصل إلى اكتشاف الحقيقة التي يبتغيها؛ ووسائل البحوث القرآنية غير وسائل البحوث المختبرية.

فقوله تعالى: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ... ﴾ [(١)]، لا يتطلب من المسلم لله أن يخضع الآية للبحث المختبري ليصدق أو لا يصدق بما أنزل اللهُ على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمه وإيمانه بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ لكن المتشكك وغير المصدق بأن القرآنِ وحيٌ من الله سبحانه وتعالى ما عليه إلاّ أن يُخضعَ الجنين وهو في بطن أمه إلى عملية تشريحية لكي يتأكد من صحة الآية وهي تصور الخلق الإنساني في المرحلة الجنينية قبل الولادة.

كما أنّ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [(٢)]، لم يكن الهدف منه المسلم الذي عاصر نزولَ القرآن إلاّ بالقدر البلاغي الذي يصور به اللهُ عظمة الهيمنة الربانية على عملية الوجود الإنساني ما بين الخلق من الطين ماءً مهيناً يتحول إلى علقة في مستودع الرحم ثم يخلق من هذه العلقة مضغة وتتحول المضغة بعملية خلق جديدة إلى عظام ثم تكسى العظام باللحم ثم يُنشأ من هذه العظام المكسوة باللحم ثم يُنشأ من هذه العظام المكسوة

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

باللحم خلقاً آخر مصوراً في أحسن تقويم.

لِيُحَفِّزَ القوم على التفكر بهذا التصوير التفصيلي الرصين الذي لا يمكن لبشر في زمان نزول القرآن أن يتخيّله أوْ حتى أن يتصوّر مراحله في الرحم، ليقرّ وهو مرغم أنّ هذا القرآن ليس من تأليف البشر!

أما التحدي الإعجازي العلمي المكنون في هذه الآية فهو يبقى مستوراً قروناً طويلة ليظهَرَ سِرُّهُ في عصر يتطور فيه الإدراك البشري وتتطور إمكانياتُ الإنسان العلمية ووسائله ومخترعاته حداً يبعث في نفسه الزهو والإعجاز والغرور بما هو فيه يجعله لا يؤمن إلاّ بما تثبت صحته مختبرياً! فهو حين يقرأ: **{ ...فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا... }** ، يُخْضِعُ هذا المخلوق إلى المراقبة المختبرية لحظة بلحظة يصوره ويوثق صور تحوله ليقول كما قال العالم الكندي: (صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم) وأسلم لأنه كان يعمل سنوات طويلة كي يصل إلى هذه الحقيقة التي كان يظن أنها سبق علمي وإذا به يكتشف أن القرآن أشار إليها قبل هذا بأربعة عشر قرناً فتبارك الله أحسن الخالقين، والحمد لله على وحيه المعجز المبين وسلام على رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آله معدن العلم وخزنة وحيه المبين وورثة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين، ويبقى القرآن لا يمسه إلى المطهرون عليهم السلام وليس هذا من باب المغالاة بحب أهل البيت عليهم السلام.

### اختلاف البحث القرآني من حيث الأسلوب بين القدماء والمتأخرين

وأقول عوداً على بدء؛ وقد لا يتقبل القارئ المتأخر عن عصر السلف الصالح هذا التعليل وقد نوهنا أن البحث القرآني في علم التفسير يختلف عن غيره من حيث الأسلوب ولكي يبلغ المفسر مرامه عليه أن يدرس المعنى اللفظي في زمان

نزول الآية ليتأكد من معاني مفرداتها عند نزولها لئلا يكون بعضها قد تغير معناه أو انتقل استعماله إلى معنى آخر نتيجة لتطور اللغة التي - هي بدورها تتطور كالكائن الحي، كما على الباحث في علم التفسير أن يدرس أسباب النزول منه ثم يعقد مقارنات متعددة لآراء المفسرين - هذا إذا ما تحقق من النص والسند وصحتهما... إلى غير هذه الأمور.

ومع كل ذلك نقول: هل على الباحث المتأخر عن زمن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين أن يبحث ويكد ويكدح ويسهر الليالي الطوال لكي يصل إلى الرأي المقنع في تعليل الآية التي يعالجها ليستنبط معناها الحقيقي؟

والجواب على هذا التساؤل هو: كلاّ؛ فليس كل آيات القرآن متشابهات ولا كلها تتطلب البحث والتقصي العميق، فهناك إشارات توضح طريقة الدراسة للمُتخصص كما أنّ هناك كتباً أفردت لذلك، كما أن هناك توجيهات وردت في القرآن الكريم نفسه تشير إلى أن فهم المعنى اللفظي للآية المتشابهة يكفي القراء غير المتخصصين مع توصية لهم بالتدبّر لأنّه وشيجة متينة من وشائج العلم التي هي أيضاً من فروض العبادة كما أمر الله سبحانه وتعالى: { أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (١)، فهو إنما أنزل بلغتهم وقد قال تعالى: { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ } (٢)، وأن المطلوب من القارئ أن يرفع من شأنه علمياً فقال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ } (٣)، ما دام (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)(٤)، كما أمر رسول الله

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٨.

(٣) سورة ص، الآية: ٦٩.

(٤) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص٣٠ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه، الحديث رقم ١.

صلى الله عليه وآله وسلم وقوله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «لان يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي»[(١)]، وما القرآن إلا هدىً ورحمة!

وأما المعنى التأويلي والباطن وحتى السياقي فيترك للراسخين في العلم كما يقول تعالى: { مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }[(٢)].

إذن ما الذي يَدعو الباحثين المتأخرين إلى عدم الركون إلى بعض التأويلات التي تنسب إلى سعيد أوْ إلى ابن عباس أوْ إلى غيرهم من تفسير بعض الآيات؟

والجواب هو أنه إذا تركنا البحث في أسرار المتشابهات إلى المختصين والراسخين في العلم؛ فهل نترك البحث في أسرار ومعاني المحكمات، ونتقبل كل ما يرد إلينا عن الأقدمين ونسلم له وإن تضارب مع واقع القرآن وجانب المعنى اللفظي وظاهر القرآن؟!!

والردّ على هذا التساؤل قطعاً بالنفي؛ وهنا قد يردّ أحد ويقول: وما العلّة في ذلك بعد أن بينتَ الطريق إلى هذا وذاك بنفسك!

فأجيب: إن عدم اقتناعي وركوني إلى تفسير بعض ما نسب إلى سعيد من تفسير بعض الآيات؛ إنما صادر عن نظرتي إلى الجانب التاريخي من المسألة.

(١) الكافي للكليني ج٥ ص٢٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧.

فمن يدرس تساؤلات سعيد التي كان يطرحها على ابن عباس - والتي حَفِظتها لنا بعض كتب التاريخ والتفسير، - يجد أن هذا المفسر الجليل القدر الذي أوتي موهبة الإدراك الحسي والتي تدفعه إلى البحث عن علل الشرائع والأحكام لكي يقتنع بأن بعضها توقيفي يشترط في صحته الإتيان به على شكل معين في زمن معين في موضوع معين ولا يُتَقَبّلُ إلاّ بالصورة التي نزل بها التشريع؛ والبعض الآخر تُرِكَ للمسلم كيفية ووقت تأديته.

ومثل هذا المفسر المتفحص لا يمكن أن تصدر عنه بعض التأويلات التي تتعارض والمنطق القرآني وهو سعيد بن جبير الذي ما كان يسمح لنفسه أنْ تفوته فرصة سانحة لزيادةٍ من علم ما دامت مواتية لأن يستغلها في كشف غموض أبسط العلل في الشرايع طالما وَجَدَ الثقة الذي امتادَ من بحار الراسخين في العلم عليهم السلام ومَن غَيْرُ ابن عباس التلميذ الذي يُعجبه إلاّ أن يدخل مدينة (العلم صلى الله على صاحبها وعلى بابه علي عليه السلام) ليجد عنده الإجابة المرضية لتساؤله؛ فمثلاً نراه يسأل ابن عباس عن السبب الذي جعلهم يبدأون بالصّفا قبل المروة؟

فيجيبه ابن عباس: (لأنّ الله قال: **{ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ... }**[1]، فيستنتج منه قاعدة مهمة في علم استنباط الأحكام الشرعية من حيث التقديم والتأخير لحكم شرعي على حكم شرعي آخر مستنداً إلى القرآن في استدلاله.

ومما يُرَسِّخُ من يقيني أكثر فأكثر أنْ يكون بعض الروايات الموضوعة إنما ألصقت بسعيد ولم تصدر عنه؛ لأن من يطّلع على كتب التفسير والتأريخ التي مما ورد في كتب العهدين من قصص تحدثت عن موضوعات عالجها القرآن وحدد معالمها الصحيحة وترك الجانب الذي لا يخدم غرض الهداية الذي من أجله وُجِدَ

(١) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص١٦٠.

القصص القرآني، أو أحكام تشريعية وَرَدَتْ في كتب العهدين نَسَخَها القرآن الكريم أو نقضها أو كشف ما داخَلَها من تحريف.

وللاستدلال على ما ذهبت إليه من حذر سعيد تجاه كتب العهدين، أذكر مناقشة سعيد للمسألة نفسها لِيطّلعَ القارئ على الأسلوب التفسيري عند سعيد بن جبير.

يقول: (قلت لابن عباس إنّ نوفاً[١] [لوقا] يزعمُ أنّ الخِضْرَ ليس بصاحب موسى بن عمران؟! قال: كذب عدو الله، حدثني أبيُّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ موسى قام في بني إسرائيل خطيباً، فقيل له: أيّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه حين لم يردّ العلم إليه، فقال: يا ربّ هل هناك أعلم منّي؟ قال: بلى، عبدٌ لي بمجمع البحرين. قال يا ربّ كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً فتجعله في مِكْتَل - شِبْهُ الزِّنبيل يَسَعُ خَمسةَ عَشَرَ صاعاً -، فحيث تَفْقِدُهُ فهو هناك؛ فأخذ حوتاً فجعله في مِكْتَلٍ ثم قال لفتاه: إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبرني، فانطلَقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرة»[٢]، إلى آخر تفسير القصة المعروفة.

فالقارئ لتفسير سعيد لقصة موسى عليه السلام وفتاه والخضر يجد انسجاماً وتسلسلاً في التفسير، ويشعر أن التفسير إنما يصدر عن نفس راضية غير متشككة، بينما يلاحظ في أول الرواية أنّ سعيداً قد اطلع على تفسير أو نَقْلٍ مُحَرَّفٍ من الإسرائيليات لقصة موسى وفتاه والخضر ذكره أهل الكتاب فلم يقتنع به سعيد فجاء يَسأل شيخه عن الجواب ليحسم الأمر في تلك المزاعم الإسرائيلية التي دسها

(١) لعله أحد أهل الكتاب ممن عاصر سعيد وابن عباس ممن كانوا يجادلون المسلمين في الدين، أو هو لوقا - صاحب إنجيل لوقا - ويكون سعيد قد اطلع على ما يقول بحق الخضر.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج١، ص١٦٠-١٦١.

كعب الأحبار وتميم الداري ومن لفّ لفهم وأخذ عنهم مما أدخلوه على قصة موسى غير ما ورد في القرآن الكريم.

### نماذج من تفسير سعيد بن جبير

وأختم باب التفسير عند سعيد بذكر بعض النماذج المختارة من كتب التفسير والتاريخ والأمالي والسير، أقدّمها بين يدي القارئ ليحكم بنفسه على أسلوب سعيد في التفسير منها:

(ما روي عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ... ﴾ [١]، قال سعيد: إذا عُمِلَ في أرض بالمعاصي فاخرجوا)[٢].

وَفَسَّرَ قوله تعالى: (﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ... ﴾ [٣]، قال سعيد: اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي)[٤].

* وَفَسَّرَ قولَهُ تعالى: (﴿ ...وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [٥]، تتابع بعضها على بعض)[٦].

* وَفَسّر قولَهُ تعالى: (﴿ ...أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [٧]، قال: الأيدي

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٤) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٤.

(٥) سورة مريم، الآية: ٩٠.

(٦) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٤.

(٧) سورة ص، الآية: ٤٥.

القوّة في العمل، والبصر فيما هم فيه من أمر دينهم)[١].

* وفي قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ... }[٢]، قال سعيد: أي يُعطون ما يُعطون وقلوبهم وجِلَةٌ يخافونَ ما بين أيديهم من الموقف والحساب)[٣].

* وفي قوله تعالى: { ...وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ... }[٤]، قال: (ما سَنُّوا)[٥].

* وفي قوله تعالى: { وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ }[٦]، قال: (وما هُوَ باللعب)[٧].

* وفسّرَ قولَهُ تعالى: { ...رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ... }[٨]، قال: (يرأفُ بكم)[٩].

* وفي تفسير بعض الأحكام التوقيفية التي فرضها الشارع وحدّد تنفيذها بالشكل المعين؛ فسر رميَ الجمرات، فقال: (إنّما الحصى قُربان فما يقبل منه رُفِعَ وما لم يُقبل منه فهو الذي يبقى)[١٠].

* وفسّر قولَهُ تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... }[١١]،

(١) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٤.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.
(٣) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٤.
(٤) سورة يس، الآية: ١٢.
(٥) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٤.
(٦) سورة الطارق، الآية: ١٤.
(٧) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٤.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.
(٩) الدر المنثور لأبي بكر السيوطي: ج١، ص١٤٦.
(١٠) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص٢٣٥.
(١١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

قال: (قومٌ أصابتهم الجِراحاتُ في سبيل اللهِ فصاروا زُمنى فجعل لهم في أموالِ المسلمينَ حقاً)(١).

* وفي تفسير قوله تعالى: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٢)، قالوا: (الابتغاء من فَضْلِ الله هو طلب الرزق. وقال سعيد: إنّ المراد طلب العلم)(٣).

وهذا التفسير إنما استنبَطه سعيد من الآية بعدها: { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ } (٤)، ويسند رأي سعيد ويعزز صوابه ما روي في سلسلة سند أخرى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس هو بطلب دنيا ولكن عيادة مريض أو حضور جنازة أو زيارة أخ في الله)(٥).

وفضل اللهِ لا يُعَدُ ولا يُحصى لأن النعمة - وهي بعض من فضل الله لا تُعَدُّ ولا تُحصى لقوله تعالى: { ...وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا... } (٦)، فكيف إذا كانت الرحمة بعض من نعمة الله ويقول تعالى في وصف سعتها { أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ } (٧)، وكيف إذا كان (فضل اللهِ) في سورة الجمعة هو عِلْمُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي منه ما أشارت

(١) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص٣٥٨.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٣) كنز العرفان للسيوري: ج١، ص١٤٠؛ مجمع البيان للطبرسي: ج٩-١٠، ص٢٨٨.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ١١.
(٥) كنز العرفان للسيوري: ج١٠، ص١٤٠؛ مجمع البيان للطبرسي: ج٩-١٠، ص٢٨٨.
(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٧) سورة ص، الآية: ٩.

إليه الآية: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (١)، فهم في ضَلالٍ مبين بدون فضل علم رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وليس الصحابة وحدهم ولا من عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل العالمون جَميعاً إلى يوم القيامة لذا ألحقها تعالى بقوله: { وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (٢)، عندها بين تعالى أن هذه العلوم الأربعة: { ...يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ... } (٣)، { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } (٤)، وما هذه العلوم الأربعة إلا ما تحتاجه خُطبة الجمعة وليس كل علمِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث إن هناك أموراً غيبية اختص اللهُ سبحانه وتعالى رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم بها حيث قال في ذلك الاختصاص: { عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا } (٥).

وهذا ما يؤكده ما مَرَّ بنا من قول رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العِلمَ فاليَأتِ الباب»(٦).

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٥) سورة الجن، الآيات: ٢٦-٢٨.

(٦) مناقب علي بن ابي طالب لابن المغازلي ص٨٨.

ويؤكده قول أمير المؤمنين عليه السلام: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، كل باب منها يفتح ألف باب»[(١)]، وبالتأكيد فإن العلومَ الأربعة التي أشارت إليها سورة الجمعة ليست علوم رسول اللهِ كلها وإنما هي كما بيّنا بعض الفضل من (فضل الله) الذي هو أحد صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العلمية كما كان هو وأهل بيته (رحمة للعالمين) يردّ الناسُ إليها ما يجيء إليهم من أمور الدنيا؛ لئلا يقعوا في الضلال إن هم أذاعوا به - أي ردّوه إلى عامة الناس طلباً للجواب الصحيح لأنهم لا يجدونه إلاّ عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأولي الأمر - أي أمير المؤمنين عليه السلام من بعده هو وأولاده من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الخلفاء بعدي اثنا عشر...»[(٢)].

وهؤلاء هم المعنيون بقوله تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً }[(٣)]، لأنّ الذكرَ إذا كان هو العلم فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام هم مَعْدِنُ العلم.

ومن الأمثلة التفسيرية التي يستشهد فيها سعيد بالآيات والأحاديث ما رواه عن ابن عباس أنه سأله رجل فقال يا بْنَ عم رسول الله، أخبرني عن أبي طالب: هل كان مسلماً؟ فقال: وكيف لم يكن مسلماً وهو القائل:

ألَمْ تعلموا أنّ ابننا لا مُكَذَّبٌ ... لدينا ولا يَعْبَأ بقولِ الأباطِلِ

---

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج٢ ص٣٠٨.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق ص٣٨٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

ثم قال: إنّ أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف، أسَرُّوا الإيمانَ وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرّتين)[١].

وعندما يريد تجسيد المعنى التفسيري يلجأ إلى تفسير القرآن بالقرآن فيربط الآية التي يروم تفسيرها بآية تُناسب المقام، كما في قوله في خلق آدم؛ يقول: لّما نَفَخَ اللهُ تعالى في آدم الروح لم يبلغ رجليه حساً حتى استجاع فأهوى إلى عنقود من عنب الجنة فأكل منه؛ ثم قرأ سعيد ﴿خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَل﴾)[٢].

وَلَمْ يفسر قوله تعالى: ﴿...مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ...﴾[٣]، بيوم عاشوراء كما يفتري عليه (بحشل)[٤] لأن جميع المفسرين اتفقوا على أنّ يوم الزينة هو عيد مشهور عند الفراعنة كما يذكر زميله (مجاهد)[٥].

وفسر قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى...﴾[٦]، قال: يعملون بالذنب ويقولون سَيُغْفَرُ لنا ﴿...وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ...﴾، قال: الذنب[٧].

وأذكر للقارئ نموذجاً آخر عن كيفية تفسير القرآن بالقرآن وما يستعمله سعيد في الجمع بين الآيات لإعطاء صورة مفصلة عما وَرَدَ في الآية، ففي تصويره

(١) إيمان أبي طالب عليه السلام لفخار بن معد الحائري: ص٣٢٠.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٦.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٩.

(٤) بحشل، أسلم بن سهل الرزاز؛ تاريخ واسط، تحقيق: سركيس عواد: ص٨٦، طبعة بغداد لسنة ١٩٦٧.

(٥) مجمع البيان للطبرسي: ج٧، ص١٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

(٧) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨١.

لعذاب أهل النار، يقول: (إذا جاع أهل النار، استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها، فاستلخت جلودهم ووجوههم، ولو أنّ ماراً يَمُرُّ بهم يعرفهم لعرف جلودهم ووجوههم فيها. ثُمَّ يُصَبُّ عليهم العطش، فيستغيثون فَيُغاثوا بماء كالمهل، - وهو الذي انتهى حَرُّهُ؛ فإذا أدنوه من أفواههم اشتوت من حرّه وجوهُهم التي سقطت عنها الجلود ويُصهر ما في بطونهم، يمشون وأمعاؤهم تتساقط وجلودهم، ثم يُضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور)[١].

ومن غريب ما روي عنه من تفسير لقوله تعالى: { ...عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ... }[٢]، قال: (ظواهِرُها من نورٍ جامد)[٣].

وتفسيره لقوله تعالى: { ...وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ }[٤]، قال: (الصلاةُ في الجماعة)[٥].

وفي تفسيره لقوله تعالى: { ...وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا }[٦]، قال: (أَرْدَفَهُ جبريل حتى سمع صرير القلم والتوراةُ تُكْتَبُ له)[٧].

وقد ترد عن سعيد قراءة بشكل معين فيفسرها بموجب المعنى الذي تميل إليه

---

(١) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٢.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٢.

(٤) سورة القلم، الآية: ٤٣.

(٥) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٢.

(٦) سورة مريم، الآية: ٥٢.

(٧) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٦.

القراءة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا... ﴾ (١)، يقرأها: (أَخفيها) بالفتح ويفسرها بمعنى (أظهرها).

وأخيراً فهناك الكثير من أمّهات الكتب التفسيرية قد أغنت صفحاتها بِدُرَرٍ من تراث سعيد في علم التفسير بانتظار من يسعفَه الوقت ويحالفه الحظ فيجمعها في كتاب تفسير واحد يتناسب ومقام سعيد كأول تابعي صنف كتاباً في علم التفسير، ليعود كيان (تفسير سعيد بن جبير) من اللبنات نفسها التي بناه بها قبل أن يهدمه الضياع وتتفرق أجزاؤه في بطون كتب التفسير والرواية وعلوم القرآن وأتمنى أن يسعفني الحظ لذلك؛ وإن اتّفَقَ وسبقني أحد من الذين هم أشد حرصاً مني على تراث أُمتنا، وجمع تفسير سعيد كتاباً مطبوعاً تَقَرُّ بِهِ العيون فإن ذلك مما يدفعني أن أغبطه وما يَزيدني ذلك إلاّ سروراً وبهجة؛ ومثل هذا الإنسان تكون عاقبته عند الله خيراً كوالد الغلامين اليتيمين اللذين أقامَ الخضر عليه السلام الجدار ليحفظ لهما كنزهما الذي أخفاهُ أبوهما تحته والذي يقول اللهُ سبحانه وتعالى فيه: ﴿ ...وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا... ﴾ (٢)، والذي كما جاء في تفسير سعيد أنه (كان يؤدّي الأمانات والودائع إلى أهلها؛ فحفظ اللهُ تعالى له كنزه حتى أدرك ولداه فاستخرجا كنزهما)(٣).

وهذه آية من الله لأهل الدنيا وأهل الآخِرة لِيتدبّروا القرآن وليتفكروا فيه ليأخذوا منه العِبَر.

---

(١) سورة طه، الآية: ١٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٢.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٧.

## ب: أسباب النزول

ومن التُراث الذي حفظه لنا سعيد بن جبير عن شيوخه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أسباب نزول الآيات) والذي تمخض عنه (علم أسباب النزول) بعد حين.

إن أسباب النزولِ علمٌ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعملية التفسيرية بل هو مفتاح العملية التفسيرية.

والذي يحاول الولوج إلى العملية التفسيرية بدون العلم بسبب نزول الآية ووقت نزولها وفيمن نزلت يكون كحاطب في ليلة ظلماء، يخبط خبط عشواء.

وقد حفظ لنا التاريخ كثيراً من الأمْثِلَةِ المُثَلَّمَةِ من التعليلات والتأويلات الخاطئة التي ولّدها عدم العلم بسبب نزول الآية وزمن نزولها والأخذ بمعناها الظاهر فقط سواء أكانت العملية عن جهل بأسباب النزول أم عن قصدٍ وإهمالٍ مُتَعَمَّدٍ لِبناء حكم تشريعي غير سليم مَنْشَؤُهُ ما ذكرت، كالذي حكم أن الطواف بين الصفا والمروة من المستحبات غير الواجبة لأخذه بظاهر اللفظ فقط في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [1]، لعدم علمه بسبب

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

نزول الآية والذي صدر عن تصور بعض المسلمين أن الطوافَ بينهما فيه إحياء لشعائر الجاهلية؛ فنزلت الآية لِتُزيلَ هذا التصور من الأذهان.

مِنْ هذا المثل يتبينُ للقارئ الفرق بين مفسر يعلم سبب نزول الآية ووقت نزولها، وبين من هو دخيل على علم التفسير.

أما سعيد بن جبير فهو من الفريق الأول الذي أدرك هذه الحقيقة القرآنية البالغة الأهمية والتي هي قطب الرحى الذي تدور حوله عملية التفسير؛ فما رُوِيَ عن سعيد في أسباب نزول الآيات يعتبر جزءاً متمما لباقي أجزائها التي ترتكز على الشكل والقراءة والمعنى اللفظي والناسخ والمنسوخ والغرض الخاص والعام الذي من أجله نزلت الآية.

والقارئُ الحصين لا يمكن أنْ تخفى عليه حقيقة كون بعض الآيات وإن نزلت في وقت معين ولمعالجة غرض معين إلاّ أنّ حكمها يسري على العام والخاص معاً إلاّ إذا نسختها آية بعدها نزلت.

والعلمُ بأسباب نزول الآيات إنما مصدره ما نقله الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أخطر شأناً وأبعد أثراً من رفيقه علم القراءات الذي قد يعطي المفسر فرصة الأخذ بتفسير الآية حسب قراءتها كما في (يَطَّهَّرْنَ) و(يَطْهُرْنَ).

وقد يختلف مفسران في تحديد سبب نزولِ آيةٍ معيَّنَةٍ لعدم ضبط روايتها والاختلاف في صحة نقلها من مصدرها وهذه الظاهرة كثيراً ما يراها الدّارسون عند المقارنة بين اثنين أو أكثر من المفسرين في تفسير أو تأويل آية أو سورة من القرآن الكريم.

## نماذج مما رواهُ في أسباب النزول

لقد اخترت بعض الروايات التي وردت عن سعيد في أسباب نزول آيات لأضعها أمامَ ناظِرَي القارئ الكريم وأنا متيقن أنه يشاركني الرأي في جمال هذا الباب وخطورة شأنه.

ومما تواتر عن سعيد عن ابن عباس في أسباب نزول سورة الجِنّ؛ قال: كان لكل قبيل من الجن مَقْعَدٌ من السماء يستمعون فيهِ فلما رُمُوا بالشهب وحِيلَ بينهم وبين خبر السماء؛ قالوا: ما هذا إلاّ لشيء حدث في الأرض، وَشَكَوا ذلك إلى إبليس فقال: ما هذا إلاّ لشيءٍ حدث في الأرض؛ فأتوني من تربة كل أرض؛ فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون علم ذلك، فأتوه من تربة كل أرض، فكان يشمها ويرمي بها حتى أتاه الذين توجّهوا إلى تِهامة بتربة مكة فشمها فقال: مِنْ ها هنا يحدث الحدثَ.

فنظر فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بُعِثَ فانطلقوا فوجدوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم وطائفة معه مِنْ أصحابه بنخلة - واد قريب من مكة ينقسم على واديين، نخلة الشامية ونخلة اليمانية - عامدين إلى سوق عُكاظ، وهو يُصلي بهم صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا لهُ فقالوا: هذا واللهِ الذي حال بيننا وبين خبر السماء؛ فَوَلّوا إلى قومهم منذرين فقالوا: يا قومَنا، إنا سمعنا قرآناً عَجَباً يَهدي إلى الرُّشْدِ...)[١].

وعن سعيد بن جبير في أسباب نزول قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ

---

(١) الدُّرَر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر يوسف النمري، تحقيق: د. شوقي ضيف: ص٣٥-٣٦، طبع القاهرة لسنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م؛ حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٣٠٠-٣٠١.

هُدَاهُمْ... ﴾[١]، قال: (كانوا يُعطون فقراءَ أهل الذِمّةِ صدقاتِهم فلما كفر فقراءُ المسلمين؛ قالوا: لا نتصدق إلاّ على فقراءِ المسلمين؛ فنزلت الآية)[٢].

وفي أسباب نزول قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا... ﴾[٣]، روى سعيد عن ابن عباس قال: (إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لجبريل عليه السلام: «يا جبريل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، فنزلت الآية)[٤].

وكان سبب نزول قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴾[٥]، أنّ اليهود أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا أبا القاسم! نسألك عن أشياء إن أجبتنا فيها تبعناك وصدّقناك وآمنّا بك. قال: فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على نفسه، قالوا: اللهُ على ما نقول وكيل، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟ قال: «يلتقي الماءان فإذا علا ماءُ المرأةِ ماءَ الرجل أنّثت، وإذا علا ماءُ الرجل ماءَ المرأة ذكّرت». قالوا: صدقت. قالوا: أخبرنا عن الرّعد؟ قال: «هو مَلَكٌ من الملائكة مُوَكَّلٌ بالسحاب يُصَرِّفُهُ حيث شاءَ الله!»، قالوا: فما هو الصوت الذي يُسمع! قال: «زجره السحاب إذا زَجَره حتى ينتهي إلى حيث أمره»، قالوا: صدقت. قالوا: فأخبرنا ما حَرّمَ إسرائيلُ على نفسه؟ قال: «كان يسكن البدو فاشتكى فلم يجد شيئاً يلائم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٢) الدرّ المنثور لأبي بكر السيوطي: ج١، ص٣٥٧.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦٤.

(٤) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

إلاّ لحوم الإبل وألبانها؛ فلذلك حرّمها»[١]، قالوا: صدقت. قالوا: فأخبرنا من الذي يأتيك من الملائكة بالرسالة والوحي، فمن صاحبك، فإنما بقيت هذه؟ قال: «جبريل»، قالوا: ذلك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذاك عُدُوُّنا، لو قلتَ ميكائيل الذي ينزل بالقطر تابعناك، فأنزل اللهُ تعالى الآية)[٢].

وكان سبب نزول سورة المسد؛ أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم صعد ذات يوم الصّفا فقال: (يا صباحاه) فأقبلت إليه قريش فقالوا له: ما لَك! فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أنّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أو ممسيكم أكنتم تصدقوني!»، قالوا: بلى. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا جميعاً؛ فأنزل الله هذه السورة)[٣].

من هذه الأمثلة يقف القارئ على الصلة الوثيقة بين العلم بأسباب النزول للآية أو السورة وتفسيرها.

وكما ذكرت سابقاً أن العلم بأسباب النزول كان في العهد الأول يعتبر جزءاً تتضمنه العملية التفسيرية.

وهو الآن وإن صار يدرس في العهود المتأخرة كعلم مستقل إلاّ أنّه ظل شرطاً أساسياً لكل عملية تفسيرية على المفسر أن يلم به إلى جانب العلم بالقراءة الصحيحة التي تلائم المعنى المطلوب الذي نزلت فيه، وهذا ما سنطّلع عليه في البحث التالي.

---

(١) كذا جاءت مكررة في المصدر. أ. ه.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٣٠٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج٤، ص٥٦٣؛ مجمع البيان للطبرسي: ج١٠، ص٥٩٥.

## ج: القراءة عند سعيد

### مدخل إلى علم القراءات

يكاد يتفق جميع الباحثين سواء كانوا من المختصين بالدراسات القرآنية أو من المؤرخين؛ على أنّ هذا المبحث هو من أعقد البحوث القرآنية وأعمقها أثراً في مسيرة الأمة الإسلامية فيما ترك من بصمات متميزة على صفحات تراثنا، كان له شأنٌ كبير في العلاقات الاجتماعية في العالَمين العربي والإسلامي.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن موضوع القراءات وتعددها كان العامل الأول في تعدد أنماط الفكر الاجتماعي الإسلامي وتشعب مساراته ومساربه ثم بالتالي نشوء الفرق الإسلامية التي تبنّت نمطاً معيناً ينهج نهجاً معيناً من الفكر الاجتماعي الذي تبلور عن نوع معين من القراءة ثم بالتالي تحديد شكل التفاعل الاجتماعي لذي يسلكه أفرادها في علاقاتهم ضمن حدود مؤسستهم وبالتالي مع المؤسسات الأخرى التي اختارت نمطاً آخر، ثم مع المجتمعات الأخرى التي تتبنى فكراً كلياً يختلف من حيث الأسس عن الفكر الإسلامي الكلي.

من هذه النبذة المختصرة والموجزة يتبين للقارئ مقدار خطورة سبر أغوار هذا الخِضمّ العميق في بعده الفوقي المتناهي في أفقه.

فما هو موقفي من كل هذا وأنا أتصدى لدراسة بحث القراءة عند سعيد بن جبير!

هل ألجُ فيه مباشرة أم أحجم عنه متغاضياً! وأنا أدرك أنني مُراقَبٌ بأنظارٍ فاحصة متتبعة؛ منها المتطلع ومنها المتخصص المتضلع ومنها من هو مثلي يقنع بالنظرة التاريخية المتعطشة يلقيها صَوْبَ لِينةٍ صغيرة تنعم بدفئ الحياة في بركة سفح هذا الجبل الآشم من تراث أمتنا.

وأنا - في هذا المبحث - أستميح القارئ الكريم عذراً إذا ما حبوتُ متمهلاً في ولوجي هذا الدرب، لأني أدرك أنني غض العود، أخشى التعثر، أحاول جهدي بلوغ الأرب في طَرْق باب علم القراءة عند سعيد، عِبْرَ قرون عديدة من مسيرة التاريخ دون أن أسقط أو أكبو... لأن باب القراءة واسع الجوانب عالي البناء، صُنِّفت فيه المئات من المؤلفات التي اختلفت فيه وفيها الآراءُ حول القراءة.

### دور سعيد في نشوء المدارس المتخصصة بعلم القراءات

وهنا سألتزم بالإجابة عن دور سعيد في هذا الجانب مستعيناً بآراء بعض من كتبوا في هذا الموضوع بالقدر الذي يفرضه سياق البحث.

لما قام عثمان بن عفان بعملية الجمع على قراءة واحدة وأرسل نسخاً متعددة من هذه القراءة إلى الأمصار - ولم يكن حينئذ قد دخل على رسم الخط العربي الشكل والإعجام - تَصَوَّرَ عُثمانُ أنه حَلَّ بِعَمَلِهِ هذا مشكلةِ اختلاف القراءات؛ إلاّ أن هذه الجهود جاءت متأخرة، لأن أغلب الصحابة ممن تثبتوا على نوع من القراءة التي درسوا القرآن بها قد نقلوها إلى جيل التابعين وأن هؤلاء بدورهم قد درجوا على ما درسوا وهم يقرأون القرآن ويفسرونه ويستنبطون الفِقْهَ

كُلٌّ بحسب القراءة التي نشأ عليها وأحاط بها علما.

وبالتالي صادر هؤلاء التابعون الجذور الأولى التي تسقي الجيل المعاصر لها من التابعين وتابعي التابعين.

نعم صارت النسخة العثمانية هي الأساس الذي ترجع إليه هذه المدارس عند المقارنة بين قراءة وأخرى، ولم يجد الناس ضيراً في ذلك بل وجدوا فيما حفظه لهم شيوخ القراء من القراءات المختلفة أفضل مصدر يعتمدون عليه في دراسة لغتهم على النسخة العثمانية ودراسة لهجاتها على ضوء القراءات المختلفة التي ألَمَّ بها القراء من أمثال سعيد بن جبير (الذي كان إمامَ القراء في الكوفة)[١] من حيث قدرته على القراءة بقراءة ابن مسعود أو أُبي بن كعب أو زيد بن ثابت أو غيرهم بما فهمناه من اختلاف القراءات أو من حيث حفظه للقرآن عن ظهر قلب وسرعة تلاوته له بحسب متطلبات كل قراءة.

ومن يدرس ما روي عن سعيد في القراءات - نوعاً وتلاوة - تتكشف له منزلة هذا الرجل في هذا الباب من هذا العلم وأنه حقاً كان جديراً بلقب (شيخ القراء وجهبذ العلماء في الكوفة وقد كان يختم القرآن كل ليلتين)[٢].

وهذه القدرة لا تتولد عن موهبة بين عشية وضحاها، وإنما عن ممارسة ومواظبة وتحرٍ وتتبّع، نستشف ذلك من قوله عن نفسه في هذا الجانب من حياته: (ما مَضَتْ عليَّ ليلتان إلاّ أقرأ فيهما القرآن إلاّ مسافراً ومريضاً)[٣].

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر: ص٣٤٢، طبع بغداد لسنة ١٣٢٨ - ١٣٢٩هـ؛ مفتاح العلوم للسكاكي: ص٣٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٩.

(٣) الطبقات الكبرى: ج٦، ص٢٦٠.

وأمّا ما روي عنه أنه (كان يقرأ القرآن في ركعتين)[١]، وأنه كان يختم القرآن ما بين المغرب والعشاء في رمضان[٢]، ففي تصوري هما أمران لا يخلوان من مبالغة دوافعها شدة الإعجاب بهذا الرجل من جانب تلاميذه وأقرانه؛ لأننا لو حققنا في متن الروايتين نجدهما تتعارضان مع واقع الحال ومع واقع العمران من حيث التعديل، فلو تقصينا أطول ليالي الشتاء مثلاً وافترضنا أن صلاة المغرب تنتهي في الخامسة مساء وأن صلاة العشاء تنتهي عند انتصاف الليل - في الساعة الثانية عشرة وهو آخر وقتها لبقيت من عملية طرح وقت المغرب سبع ساعات من ضمنها وقت أداء صلاة العشاء وما يُحتمل من متطلبات الحياة ومشاغلها؛ فهل تكفي هذه السويعات لختم القرآن؟

وقد يردّ عليّ قائل: إنها تكفي لو تعجلنا بالقراءةِ همساً.

ولكني أقول أن هذا الرأي يبدو بعيداً عن الواقع، فكثير منا قد واظب على قراءة القرآن في رمضان (حَدْراً) - وهي أسرع من (الترتيل) ولا أحسب أن أحداً مهما تعجّل يستطع أن يتم ختم القرآن بأقل من نصف يوم إن لم يكن بأكثر، وإذا كان قد ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أنهم كانوا يختمون القرآن في رمضان أربعين ختمة فهذا يؤيد ما ذهبت إليه من أن كل ختمة تستغرق ثمان عشرة ساعة من كل يوم لثلاثين يوم بثلاثين ختمه ونطرح ست ساعات من كل يوم في ثلاثين يوم يكون مجموعها مائة وثمانون ساعة وعند قسمة الناتج على ثمان عشرة ساعة - وهو مقدار ما تستغرقه الختمة الواحدة، يظهر أنها تكفي عشر ختمات، وهذا يعني أن المعصوم عليه السلام يقرأ القرآن ليل نهار في شهر رمضان

---

(١) إيمان أبي طالب للحائري: ص٣٢١.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٤؛ تذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٧٦.

وهو الحافظ لكتاب الله عن ظهر قلب.

ولعل هذه الروايات تعتبر أقل إيغالاً إذا ما قورنت مع قول آخرين: (أنه قرأ القرآن في ركعة واحدة في الكعبة)[١].

والذي يدفع الباحث إلى عدم التسليم بصحتها ما تثيره من تساؤلات كثيرة مستنبطة من تمحيص متن الرواية، منها: هل أنه قرأ القرآن في ركعة واحدة من وقوف أم قرأه قاعداً! وكم دامت تلك الركعة - على فحوى ما بيناه قبل سطور - وهل هي ركعة الوتر من صلاة الليل! ومتى بدأ بها! أم هي صلاة الوتيرة بعد صلاة العشاء مباشرة وفي ليلة من ليالي الشتاء الطويلة لأن هذه الصلاة تُصلّى من جلوس، ومن باب الجرح والتعديل؛ هَلْ ظل الراوي يراقب سعيد كل هذه الساعات الطوال لِيُوَثِّقَ مَتْنَ رِوايته مُستمعاً لسعيد وهو يقرأ ويجهر في القراءة من الفاتحة والى سورة الناس، وقام بعدها ليعلن على الملأ ما بلغه سعيد بن جبير في القراءة مما يجعل السامع مذهولاً!!! - .

وأقول صراحة: إن إخضاع الروايتين الأخيرتين للجرح والتعديل كان الهدف منه هو تزكية سعيد وإبعاد روايات المبالغة والإيغال عن هذا العبد الصالح، ولكي يطّلع القارئ على تراث سعيد نقياً من الروايات الموضوعة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً متمثلين قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ... ﴾[٢].

من كل ما ذُكِر يتبين للقارئ ما كان عليه سعيد كمقرئ يقرأ القرآن.

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٤؛ تذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٧٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

## منزلة سعيد بين القرّاء

فما هي منزلته بين القرّاء؟

على ضوء ما فهمناه من مفهوم تعدد القراءات وما استند إليه واستتبعه من علوم لغوية ودينية استندت على ما خلّفه سعيد من قراءات؛ هل خلّف سعيد تراثاً مدوناً أم منقولاً على السماع؟

وللإجابة على هذه التساؤلات نحتاج إلى تحليل بعض الروايات عسى أن نصل إلى ما نبتغي؛ بين يدي رواية ذكرها (الزركشي) يقول فيها: (وقد ألف ابن جبير المقرئ - وكان قبل ابن مجاهد - كتاباً في القراءات وسماه (كتاب الخمسة) ذكر فيه خمسة من القرّاء لا غير)[١].

ومن تحليل الرواية نجد أنه قصد سعيداً بذلك لأن سعيداً اشتهر بأن يكنى بهذه النسبة (ابن جبير المقرئ) ولأن هذا اللقب كان هو الغالب على سعيد بن جبير في حينه وإن أظهر تَفَوُّقاً في التفسير - وألف فيه - كما أنّ لفظة القُرّاءِ كانت أكثر شيوعاً وعموماً من لفظة المُفَسِّرِين، ولأنهم افترضوا في المقرئ أنْ يفهم ويفسر ما يقرأ؛ وللتدليل على صحة ما استنتجناه أن كتب التأريخ وموسوعاته وكتب التفسير حفظت لنا مثل هذه التسمية في إشارتها إلى معركة (دير الجماجم) ودور سعيد البطولي في كتيبة القراء[٢]، والذي سيطلع عليه القارئ في الفصول اللاحقة.

وقد يسأل سائل: إن الإسلام مردّد بين (مجاهد بن جبير وبين سعيد بن جبير)

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج١، ص٣٢٩.

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٣٥٨؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج١، ص٨٢، وص١٣٠.

فكيف تزعم أن المقصود في الرواية سعيد وليس مجاهد؟

أقول: إن مجاهدَ لم يشتهر بلقب (ابن جبير) هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن مجاهداً لم يصلنا عنه ما يشير إلى أنه ألّف كتاباً في التفسير، بينما ثبت عن سعيد أنه قد ألّف في التفسير والقراءات وأن ما ألفه فُقِدَ من بعده ويؤكده قوله: (كنت آتي ابن عباس فأكتب عنه)[١].

ولما تأكد هذا صار واضحاً أثر ما كتبه سعيد في علم القراءات وما استتبع من علوم لغوية وفقهية دينية كلها تستند في رواياتها على ما ألفه سعيد وحفظه لنا من قراءات يتحدد بها المعنى الذي تبغيه الآية لولاها ما كنا استنبطنا المعنى الحقيقي أو المجازي للآية بل لكل كلمة وردت في سِفْرِه الخالد وفي السّنّة النبوية أيضاً حيث رُوِي (أنّ رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا نبيءَ الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تنبر باسمي إنما أنا نبيُّ الله»)[٢].

والعرب كانت تميز بين (النبيء) الذي هو فعيل بمعنى فاعل للمبالغة[٣] وبين (النبي) التي هي لفظ مأخوذ من النُبْوَة وهو ما ارتفع من الأرض، فمعنى النبوّة: الرفعة ومعنى النبي: (الرفيع)[٤]، ومن اختلاف القراءة نلاحظ كيف يتغير المعنى بتغير القراءة.

بهذه الدقة تظهر الأهمية التي ندرس بها علم القراءة عند سعيد، وتلك

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي: ج٥، ص٣، طبع القاهرة لسنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م؛ معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص١١٣، طبع طهران لسنة ١٣٧٩هـ.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٥، ص٣.

(٤) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص١١٣.

القراءات المختلفة التي ساعدت النحاة على حل مشكلات لغوية ما كان لهم طَوْلٌ على تعليلها لولا معرفة نوع القراءة التي وردت فيها؛ فمثلاً يقول الشلوبين - وهو نحوي مشهور -: وأما زيادة (لا) في قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ...﴾[1]، فشيء متفق عليه وقد نص عليه (سيبويه) ولا يمكن أن تحمل الآية إلاّ على زيادة (لا) فيها، لأن ما قبله من الكلام وما بعده يقتضيه ثم يستدل عليه بقراءة ابن عباس وعاصم والحميدي: (ليعلم أهل الكتاب)[2]، ثم يقرنها بقراءة ابن مسعود وسعيد بن جبير (لكي يعلم)، ويقول: وهاتان القراءَتان تفسير لزيادتها وسبب النزول يدل على ذلك أيضاً، وهو أن المشركين كانوا يقولون: إن الأنبياء مِنّا، وكفروا مع ذلك بهم فأنزل الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ...﴾)[3].

هذه القراءات هي التي كان يسميها بعض علماء اللغة بـ(القراءات الشاذة) قياساً على اعتبار أنّ القراءة في مصحف عثمان - وهو الذي بين أيدينا الآن نقرأه مُعْجَماً ومُشَكّلاً - هي القاعدة الأساس في القراءة.

وكل قراءة فيها زيادة أو نقيصه أو تقديم أو تأخير أو اختلاف في الهيئة دون المادة أو في المادة والهيئة أو في المادة دون الهيئة أو في هيئة الجملة في الإعراب أو في اللهجة - كتغيير نوع الحرف - تُعتبر جميعاً في عرفهم قراءات شاذة أما التصرف في القراءة (مدّاً أو إمالة أو وقفاً أو ترجيعاً) فهو وإن اعتبروه من القراءات إلاّ أنه لم يدخل عندهم في باب القراءات الشاذة، ويدل على ذلك ما

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج٣، ص٧٩.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج٣، ص٧٩.

سمعه القاسم بن أبي أيوب من سعيد بن جبير وهو يردد قوله تعالى: { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ... } [١]، بِضْعاً وعشرين مرة)[٢]، أو قوله تعالى: { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ } [٣]، فقد رَجَّعَ فيها وَرَدَّدَها مرتين أو ثَلاثاً[٤].

ولكن لا يطرب ويردد كمن جاء بعده؛ وقد سُئِلَ بهذا المعنى (ابن اياس) - أحد تلاميذه - إن كان سعيد يطرب ويردّد كما يفعل من جاء بعده؟ قال: معاذَ الله؛ إلاّ إنه كان إذا مرّ على مثل قوله تعالى في حم المؤمن { إذ الأغلال في أعناقِهِمْ والسَّلاسِلُ يُسحبون } ، مَدَّها شيئاً[٥].

وكان سعيد يسكُت على { بِكْرٌ } ثم يقول { عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ } في قوله تعالى: { بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ } [٦])[٧].

أو ما رُوي عن ابن شهاب قوله (كان سعيد بن جبير [لّما] يؤمّنا يرجع صوته بالقرآن)[٨]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على جواز القراءة بهذه الصيغة من التلاوة - وهو ما يسمى بـ(أسلوب القارئ) - أي طريقته في التلاوة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٢.
(٣) سورة غافر، الآيات: ٧٠-٧٢.
(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٢-٢٧٣.
(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٣.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٦٨.
(٧) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص٧٨.
(٨) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٣.

**(نماذج من القراءات المقارنة)**

بعدما تبين لنا دور سعيد في نشوء علم القراءات وما تشعب عنه من علوم لغوية؛ نحاول في هذا الباب أن نضع بين يدي القارئ جزءاً يسيراً من هذه الثروة اللغوية التي حفظها لنا اللغويّون والنقاد من الضياع ليطلع بنفسه على تطور لغة العرب القرآن ليتأكد من خطأ الرأي القائل بأن (علم فقه اللغة العربية) علم ابتكره المتأخرون وأنهم أول من ابتكر الدراسات المقارنة في اللغة العربية.

من هذه النماذج ما ورد عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: { ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (١).

قرأها سعيد بن جبير (...مِنْ أفاضَ الناسِ...) قال ابن خالويه - النحوي - في شرح هذه القراءة: يعني آدمَ عُهِدَ إليه فنسي(٢).

ومن سورة آل عمران قوله تعالى: { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } (٣)، قرأها سعيد بن جبير (بِما كُنْتُمْ تَعَلَّمُونَ الكِتابَ) بفتح التاء والتشديد، وعنه أيضاً (...بِما كُنْتُمْ تَدَرَّسُونَ) بفتح التاء والتشديد، وقرأها ابن حيوة (... بِما كُنْتُم تَدَرَّسُونَ)(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٩.

(٢) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: برجشتراسر: ص١٢، طبع القاهرة لسنة ١٩٤٣م.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.

(٤) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص٢١.

ومن سورة النساء قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ (١)، قرأها سعيد (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ) ومثله قرأ مجاهد(٢).

ومن سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)، قرأها ابن عباس ومجاهد وسعيد (... يُخافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا) بِضَمِّ الياء في (يُخافون)(٤).

ومن سورة المائدة أيضاً قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ ﴾ (٥)، قرأها الأعوج: (شَهَادةٌ بَينِكُمْ) بالتنوين.

وقرأها الشعبي والأشهب العقيلي: (شَهادَةً بَيْنَكُمْ).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام والسلمي: (وَلاَ نَكْتُمُ شَهادَةً ءالله) (شهادةً ألله) بغير مد. عن سعيد بن جبير والشعبي.

وقد حُكي (شَهادَةً أَلله) بالتنوين ووصل الألف، (وَلا نَكْتُمْ) بجزم الميم عن

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٢) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص٢٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٤) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص٣١.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

الشعبي[١].

ومن سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [٢].

قرأها ابن عباس: (خالِصُهُ) بالهاء، كناية. وقرأها أيضاً: (خالِصٍ) بغير هاء.

وقرأها الزهري: (خالِصَةً) بالنصب.

وقرأها سعيد: (خالصاً) بالنصب[٣].

ومن سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [٤].

قرأها الإمام علي عليه السلام وابن عباس: (حَتّى يَلِجَ الجُمَّلُ).

وقرأها سعيد: (الجُمَلُ) بالتخفيف.

وابن عباس أيضاً وعكرمة: (الجُمْلُ) بإسكان الميم.

وأبو السمال: (الجَمْلُ) بفتح الجيم وإسكان الميم.

وابن عباس أيضاً: (الجُمُل) بضمتين.

وأبو حيوة: (في سِمِّ الخياط).

---

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

(٣) مختصر في شواذ القرآن الكريم لابن خالويه: ص٤١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

وأبو السمال أيضاً: (فِي سُمٍّ) وعنه أيضاً (فِي سِمٍّ)[١].

ومن سورة الأعراف أيضاً قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[٢].

قرأها اليماني: (إنَّ الذين يُدْعَوْن مِنْ دونِ اللهِ).

وقرأها سعيد: (إنَّ الذين يَدَّعونَ من دونِ الله عبادٌ أمثالَكم) بنصب اللام في (أمثالَكم)[٣].

ومن سورة التوبة قوله تعالى: { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[٤].

قرأها سعيد: (... وعِمارَةً المَسْجِدَ الحرام...) بالنصب.

وقرأها أبو وجزة ويزيد بن القعقاع: (سُقاةَ الحاجِّ وعَمَرَةَ المسجد الحرام)[٥].

ومن سورة يوسف قوله تعالى: { قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ }[٦].

(قَالوا نَفْقِدُ صُواعَ المَلِكِ، وَلِمَنْ جاءَ بِهِ حِمْلُ بَعيرٍ وأَنا به زَعِيمٌ».

---

(١) مختصر في شواذ القرآن الكريم لابن خالويه: ص٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٤.

(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص٤٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٩.

(٥) مختصر في شواذ القرآن: ص٥٢.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٧٢.

وقرأها أبو هُريرة وجماعة: (نَفْقِدُ صَاعَ الملك).

وقرأها يحيى بن يعمر: (نَفْقِدُ صَوْغَ المِلك) بالغين المعجمة وقرأها عبد الله ابن عون وأبو حيوه: (نَفقِدُ صُوغَ الملك) برفع الصاد والغين المعجمة.

وقرأها سعيد بن جبير: (نَفْقِدُ صُواغَ الملك).

وقرأها ابن قطيب: (نَفقِدُ صِواغَ الملك).

وقرأها أبو رجاء: (نَفقِدُ صِواغَ الملك).

وقرأها أبو رجاء: (نَفقِدُ صَوعَ الملك) بعين غير معجمة)[١].

ومن سورة يوسف أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [٢].

قرأها سعيد بن جبير وعيسى: (مِنْ إعاءِ أخيهِ).

وقرأها الحسن: (مِنْ وُعَاءِ أخيه)[٣].

ومن سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [٤].

قرأها أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام ويحيى بن يعمر: (اغفرْ لي

(١) مختصر في شواذ القرآن: ص٦٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٦.

(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص٦٥.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٤١.

وَلِوالِدَيْ) بسكون الياء.

وقرأها سعيد بن جبير: (وَلِوالِدِيْ) يعني أباه.

وقرأها الحسن بن علي عليهما السلام: (اغفر لي ولوالدَيْ).

وفي بعض المصاحف: (اغفر لي ولذريتي).

وفي بعض آخر: (اغْفِرْ لِيَ وَلوُلْدِي) بضم الواو - والوُلْدُ والوَلَدُ سَواء؛ مثل السُّقْمُ والسَّقَمُ، وقال آخرون: الوُلْدُ جمع وَلَدْ.

وقرأها أُبيّ: (اغفر لي ولأبَوَيَّ) وقال هي في الإمام ولأبوي)[١].

ومن سورة النحل قوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٢].

قرأها سعيد بن جبير (أتى أمْرُ اللهِ فَلا يَسْتَعْجِلُوهُ) بالياء[٣].

ومن سورة الإسراء قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[٤].

قرأها ابن عباس: (لَيُفْسَدَ في الأرضِ) ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأها عيسى بن عمر: (لَتَفسُدُنّ في الأرضِ)[٥].

وقرأها أبو العالية وسعيد بن جبير: (في الكُتُبِ لَتُفْسِدُنَّ).

---

(١) مختصر في شواذ القرآن: ص٦٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ١.

(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص٧٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤.

(٥) مختصر في شواذ القرآن: ص٧٤.

ومن سورة الإسراء أيضاً قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[(١)].

قرأها سعيد بن جبير والجحدري وحماد الأسدري عن أبي بكر: (الذِّلِّ) بكسر الذال[(٢)].

ومن سورة الكهف قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[(٣)].

قرأها ابن الزبير وأبو رزين وسعيد بن جبير وأبو رجاء: (أنْ يُضِيفُوهُما) بالتخفيف.

وقرأها الزهري ويحيى بن يعمر (أنْ يَنفاضّ).

وقرأ ابن مسعود (يَنْقاضَّ) بالضاد طولاً؛ وتقول العرب: إنقاصَّتْ سِنُّهُ أي انشقّتْ طولاً[(٤)].

ومن سورة مريم قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾[(٥)].

قرأها طلحة (أثاثا ورِيا) بالقصر والتخفيف.

وقرأها سعيد بن جبير (أثاثاً وزِيّاً) بالزاي.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

(٢) مختصر في شواذ القرآن: ص٧٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٧٧.

(٤) مختصر في شواذ القرآن: ص٨١.

(٥) سورة مريم، الآية: ٧٤.

وحكاه البَزّي بالمد (ورِياءً)[١].

ومن سورة طه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾[٢].

قرأها سعيد بن جبير (أكادُ أخْفيها) ومثله قرأ أبو الدرداء وقرأها أُبيّ (أكادُ أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها)[٣].

ومن سورة الأنبياء قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[٤].

قرأها سعيد بن جبير (آتينا بها) ورُوي عن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام: معناه (جازَينا بها) ويكون مفعول (آتينا) محذوفاً وتقديره (آتيناها بها للجزاء)[٥].

ومن سورة الحج قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[٦].

قرأها أبو هريرة وأبو زرعة (وتُرى الناسَ)، بضم التاء.

---

(١) مختصر في شواذ القرآن: ص٨٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١٥.

(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص٨٧؛ أمالي المرتضى: ص٣٣٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٤٨.

(٥) مجمع البيان للطبرسي: ج٧، ص٥٠.

(٦) سورة الحج، الآية: ٢.

وقرأها أبو نهيك وعيسى (سَكارَى) بالفتح.

وقرأها سعيد بن جبير (وَتَرَى الناسَ سُكْرَى وَما هُمْ بِسُكْرى)[١].

ومن سورة النور قوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٢].

قرأها سعيد بن جبير (مِنْ بَعْدِ إكراههنَّ لَهُنَّ غفورٌ رَحيم).

والحجة أن اللام في (لَهُنَّ) متعلقة بغفور أي غفور لهنّ[٣].

ومن سورة النور أيضاً قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٤].

قرأها سعيد (أو ما ملكْتُمْ مفاتحه) وقال تفسير مفاتحه القهرمان وعن قتادة

---

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص١٠٣.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

(٣) مجمع البيان للطبرسي: ج٧، ص١٣٩.

(٤) سورة النور، الآية: ٦١.

(... مفتاحَه)[(١)].

ومن سورة النمل قوله تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾[(٢)].

قرأها سعيد بن جبير: (أَنَّها كانَتْ مِنْ قومٍ كافرين)[(٣)].

ومن سورة سبأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٤)].

قرأها سعيد بن جُبير والإمام جعفر بن محمد عليه السلام: «بَلْ مَكَرٌّ الليلِ والنّهارِ».

وقرأها راشد - الذي نظر في المصاحف للحَجَّاج بن يوسف الثقفي - بل مكر الليل والنهار.

وقرأها يحيى بن يعمر (بَلْ مَكْرُ الليلَ والنهارَ) بالنصب[(٥)].

ومن سورة فاطر قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[(٦)].

---

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٠٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٣.

(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص١٢٢.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٣٣.

(٥) مختصر في شواذ القرآن: ص١٢٢.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٣٥.

قرأها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والسلمي وسعيد بن جبير (ولا يمسنا فيها لغوب)[(١)].

ومن سورة فصلت قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [(٢)].

قرأها ابن عباس وسعيد بن جبير: (طَوْعَاءَ أو كَرْهَاءَ قالتا...)[(٣)].

ومن سورة الطور قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [(٤)].

قرأها سعيد بن جبير (وَأَتْبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ...).

وقرأها الحسن وابن كثير (وما لِتْنَاهُمْ...).

وقرأها يحيى: (وما التناهُمْ).

وذكرها هارون (وما وَلَتْناهُمْ).

وقرأها الأعرج (وما إِلَتْناهُمْ).

(قال ابن خالويه: يكونُ هذا الحرف من لاتَ يَلِيتُ وَوَلَتَ يَلِتُ وألاتَ يُلِيتُ وألِتَ، ومعناه (نَقَصْناهُمْ) (وقيل: ألَتَ: غَلَّظَ، وقام رجل إلى عمر فوعظه، فقال له: لا تَألِتْ أميرَ المؤمنين؛ أي تُغَلِّظْ عليه)[(٥)].

---

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص١٢٤.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٣) مختصر في شواذ القرآن: ص١٣٣.

(٤) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٥) مختصر في شواذ القرآن: ص١٤٦.

ومن سورة النجم قوله تعالى: { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى }[١].

قرأها سعيد بن جبير واليماني: (الذي وَفَى) بالتخفيف.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أتعلمون ما وفى؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنه وفى أربع ركعات كان يصليها من أول النهار»[٢].

ومن سورة المنافقين قوله تعالى: { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ }[٣].

قرأها ابن عباس (فأزَّكّى وأكُونَ مِنَ الصّادِقينَ).

وقرأها سعيد بن جبير (فأتَصَدَّقَ وَأكونَ...)[٤].

ومن سورة القلم قوله تعالى: { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ }[٥].

قرأها ابن عباس وابن أبي إسحاق والسمال (نُونِ وَالْقَلَمِ).

وقرأها سعيد بن جبير (نُونَ)[٦].

ومن سورة نوح قوله تعالى: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاّ تَبَارًا }[٧].

(١) سورة النجم، الآية: ٣٧.

(٢) مختصر في شواذ القرآن: ص١٤٧.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ١٠.

(٤) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص١٥٧.

(٥) سورة القلم، الآية: ١.

(٦) مختصر في شواذ القرآن: ص١٥٩.

(٧) سورة نوح، الآية: ٢٨.

قرأها سعيد بن جبير والجحدري (اغْفِر لِيَ وَلِوالِدِيْ)[١].

ومن سورة المدثر قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴾ [٢].

قرأها سعيد بن جبير: (صُحُفاً مُنْشَرَةً)[٣].

ومن سورة المرسلات قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾ [٤].

قرأها ابن عباس: (بِشِرَار كالقَصَر).

وقرأها سعيد بن جبير: (... كالقِصَر).

وقرأها ابنُ مسعود: (... كالقُصُرْ)[٥].

ومن سورة الزلزلة قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [٦].

قرأها سعيد بن جبير: (يُوْمَئِذٍ تُنْبِئُ أخْبارَها)[٧].

من كل هذه المقارنات بين النسخة العثمانية وقراءة سعيد مقارنة مع بعض القراءات الأخرى نرى الدور الذي تتسبب قراءة معينة في ظهور معنىً لا تظهره قراءة أخرى وما يترتب على كل قراءة من حكم أثّر كثيراً في البحوث الدينية واللغوية بعد حين.

---

(١) مختصر في شواذ القرآن: ص١٦٢.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٥٢.

(٣) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ص١٦٥.

(٤) سورة المرسلات، الآية: ٣٢.

(٥) مختصر في شواذ القرآن: ص١٦٧.

(٦) سورة الزلزلة، الآية: ٤.

(٧) مختصر في شواذ القرآن: ص١٧٧.

ولبحث كل القراءات المقارنة بين ما تركه لنا سعيد وبين ما تركه غيره لابد من القيام بعملية جرد مضنية في بطون كتب التفسير الكثيرة وكتب القراءات التي اختصت بهذا الجانب من العلوم القرآنية إلى جانب بحوث أخرى اهتمت برسم الخط القرآني حتى وإن كان مأخوذاً في الأصل عن النسخة العثمانية فما كتب وضُبِطَ على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النَّجُود الكوفي التابعي عن أبي عبد الرحمن عبدِ الله بنِ حَبيب السُّلمي عن عثمان بنِ عفّانَ وعلي بن أبي طالب وزَيد بن ثابت وأُبيٍّ بنِ كَعْب عَن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد لا يتطابق من حيث الرسم والضبط والشكل مع رواية اعتمدت قراءة معينة وإن كان المضمون العام من حيث اللفظ والمعنى واحداً في المصاحف العثمانية؛ فأنت تجد القرآن الذي بين يديك قد أُخِذَ هِجاؤه مما رواه علماءُ الرسم عن المصاحف التي بَعَثَ بها عثمان بن عفّانَ إلى البصرة والكوفة والشامَ ومكة، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختص به نفسه، وقد روعي الضبط ورسم الحروف في المصاحف المتداولة التطابق كما نقل عن أبي داود سليمان بن نجاح وغيره كالإمام التّنَسِيّ في كتابه (الطّراز في ضبط الخَرّاز) وبقي النَسّاخون يميلون على الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشارقة بدلاً من علامات الأندلسيين والمغاربة إلى الآن.

ولكن ظلت كتب التفسير تأخذ بالقراءات المختلفة كما اختلفت في عَدِّ آياته وبيان أوائل أجزائه وأحزابه وأرباعها حتى وجدنا كتباً اختصت حِصراً في بيان هذه الأمور من حيث الشكلُ والضّبْطُ والعَدُّ حتى لكل حرف من حروف القرآن؛ فالإمام الشاطبي في كتابه (ناظِمَةُ الزُّهر) وهو من الكتب المدونة في علم الفواصل

يأخذ بطريقة الكوفيين في عد آيِ القرآن الكريم (٦٢٣٦) آية ويقول: طريقة الكوفيينَ عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمي عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد ذكر تقسيماته للأجزاء والأحزاب وأرباع الأحزاب كما فعل السفّاقسي في كتابه (غيثُ النفع) والشيخ محمد المتولي في (تحقيق البيان) وصاحب كتاب (إرشاد القراء والكاتبين) أبو عيد رضوان المخللاتي وهذه الأمور البسيطة وقد ألفت فيها الكتب فكيف بالقراءات التي ذكرنا في أول البحث كيف أنها كانت سبباً في نشوء الفرق الإسلامية، ذكرت هذا لأبين مشقة التصدي للبحث عن كتاب تفسير سعيد بن جبير بين المئات من الكتب الطوال التي احتفظت بهذا السِّفر الجليل منثوراً بين سطورها التي فاقت الملايين تقريباً لا حصراً تنتظر متخصصاً لَوْذَعِيّا يتصدّى لهذا العمل الذي يتطلب وقتاً وعافية وصبراً وقدرة على التحمل ليجمع حبات خَرْدَلٍ نثرت على صفحات كتب التفسير.

### د: الحديث عند سعيد

لقد بينتُ في الفصل الأول من دراسة سعيد أنه أخذ العلمَ عن كثير من ثُقاة الصحابة والتّابعين[١]، وأشَرْتُ إلى العلاقة الوطيدة التي كان تربط بينه وبين شَيْخِهِ ابن عباس، وهو الذي كثرت رواية سعيد عنه، وحدّث في حضرته وبإذنه[٢].

وللقارئ أن يتصور بنفسه كيف بلغت ثقة ابن عباس بقابليات سعيد وذكائه حتى يجعله يجيز لسعيد أنْ يحدّثَ في حضرته، وسعيد يتمنّع خجلاً وهيبة ويتهيّب من الإقدام على ذلك فيقولُ لشيخه: (!!! أحَدِّثُ وأنت ها هنا!!!) فيرد عليه ابن عباس بما يرفع عن عزمه ومعنوياته ويُشعره بدعمه له والأخذ بيده؛ (إنْ أصَبْتَ فذاك وإن أخطأتَ علّمتك)[٣].

---

(١) إيمان أبي طالب لفخار بن معد الحائري: ص٣٢١؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٠؛ الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): ج٣، ص١٣٥؛ سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ): ج٣، ص١١٣؛ حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): ج٤، ص٢٩٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٦؛ شذرات الذهب لابن العماد عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ): ج١، ص١٠٨، طبع بيروت.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ): ج٦، ص٢٥٦؛ الإكليل للهمداني: ج٢، ص٢١٥-٢١٦.

وهذا يَعني أنّ سعيداً قد حَصَلَ على أعلى درجات الإجازة لأن إجازة ابن عباس له في التحديث بين يديه (إجازة شفهية)[١]، تأكيد كبير على ثقته بسعيد واعتماده عليه.

وينتقل سعيد من مرحلة التلمذة والتعلم إلى مرحلة المشيخة والتدريس، حيث يرحل عن مكة عائداً إلى الكوفة لِيَتَبَوَّأ مركزاً مرموقاً بين شيوخها.

ولم يتوقف ابن عباس عن دعمه ورعايته والتعريف به وهو في الكوفة؛ نستدل على ذلك من قول ابن عباس لأهل الكوفة لَمّا كانوا يقصدونه في مكة في مواسم الحج وغيرها ليسألوه عن بعض المسائل الفقهية والتفسيرية: (تسألوني وفيكم ابنُ أمِّ دهماء)[٢] - وهو لقب لقبه به ابن عباس تحجباً -.

ويبلغ السؤدَدُ والعلم بسعيد أن يتصدر إلى إمامة المصلين في الكوفة وهي مكانة ما كان يشغلها إلاّ مَنْ كان من عيون العرب[٣].

وما أحسب أن حكامَ ذلك العصر يسمحون لِمِثل هذا المولى الأسود أن يتبوأ هذه المكانة ويبلغ هذه المنزلة الرفيعة لو لم يُحِطْ بما عجز عنه غيره من الإحاطة به من العلم من أقرانه في مِصْرٍ مُهِمٍّ من أمصار الإسلام مثل (الكوفة) ولو لم يكن ثقة ثبتاً فقيها[٤]، باتفاق المسلمين على ذلك[٥]، ولو لم يكن جليل

---

(١) الإجازات العلمية للدكتور عبد الله الفياض: ص٢١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ): ج٢، ص١١٥.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٥) مجمع البيان للطبرسي: ج١٠، ص٥٥٩.

القدر مُتأكّداً مُتَمَحِّصاً[١]، مستقيماً غيرَ مُتزلزلِ الإيمان[٢].

وهي صفات يعتمدها علماء الجرح والتعديل ويضعون صاحبها في الصفوة المميزة من الطبقة الأولى من (الرواة والمُحَدِّثين) ويُعَوّلونَ كثيراً على الرواية التي ترد عن سعيد. ولهذه الصفات نفسها سعى (الوضّاعون) إلى اعتمادها لجعل رواياتهم الكاذبة تبدو صحيحة من حيث (السند) وراحوا يلفقون الروايات الكاذبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وصحبه ويخترعون لها سلسلة (سند) تنتهي إلى سعيد بن جبير وشيوخه الأجلاّء ليضفوا عليها سيماء الصدق وصفة الصحة؛ مستغلين كثرة الأسماء التي ذكرها المؤرخون وأصحاب كتب الحديث والمسندات عمن رووا عن سعيد!

وليت الأمر توقف عند حدّ تلفيق الروايات المدَبَّجَة المحبوكة بإتقان وإلصاقها بسعيد لِتُحَقِّقَ الغرض الذي وضعت لخدمته؛ وإنما نجد بعض الحاقدين لم يتورّعوا عن اتهامه بـ(الإرجاء) والأدهى والأمرّ من ذلك أن هؤلاء أنفسهم إنما كانوا يستندون في بناء ادعائهم هذا على رواية وردت على لسان واحد ممن رَوَوْا عنه، ليأتيَ المحققون بعد زمنٍ لِيُثْبِتُوا أنَّ مَنْ اتهمه بالإرجاء كان هو مُرجئاً وأن سعيد بن جبير (منع أيوب من مجالسته - أي مجالسة (طلق) لأن (طلق) كان مرجئاً)[٣].

وسعيد كان من الأتقياء الموالين لآل البيت عليهم السلام، وهذا ما كان يعرفه عنه أصحابه من القراء، ولذا كان إذا ما أحرجته بعض الأسئلة يضطر للإجابة بالرمز

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٩.

(٢) مجمع البيان للطبرسي: ج١٠، ص٥٥٩.

(٣) تاريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): ج١٣، ص٣٧٤، طبع القاهرة لسنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م.

معتمداً على فطنة المقابل ومتحاشياً غضب البيت الأموي، وإذا صادف وكان جوابه للسائل مغضباً وشكاه لإخوانِهِ القراء؛ انبرى هؤلاء للاعتذار عنه وشرحوا السبب الذي دفع سعيداً إلى عدم الإجابة لمعرفتهم بمعاناته وحرصاً منهم عليه(١).

وهذا يبين مدى اعتزازهم به وثقتهم بحسن طويّته وصدق حديثه، وليس كما نعته به البعض من أنه (من جملة الضعفاء) (وأنه كان يلعب الشطرنج استدباراً) ولا ينفي عنهم تجرؤهم على هذا العبد الصالح استدراكهم بـ(نعم) ومن ثَمَّ الاعتراف بعد هذا البهتان بأن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام مدحه وأثنى عليه(٢)...، مع أن الإمام جعفراً عليه السلام أعلم من غيره بما ينقل عن آبائه وبما يراه هو في سعيد، فلقد كان عليه السلام يتألم عندما يتذكر ما حَلَّ بسعيد على أيدي قاتليه.

ولم يكتف هؤلاء البهّاتون بما ذهبوا إليه بل بَنَوْا حكماً على سعيد بـ(التضعيف) بحجة (عَدَمْ شيوع رواية منه عن أئمة زمانه)(٣)، وفاتَ عليهم أنّ سعيداً لم يلتق بإمام زمانه علي بن الحسين عليهما السلام إلاّ في أيامه الأخيرة في مكة وظل ملازماً له ويأتم به والإمام عليه السلام يُثني عليه ويأنس بصحبته(٤).

ولما قبض الإمام زين العابدين عليه السلام وعُيِّنَ خالد بن عبد الله القَسري

(١) مستدرك الحاكم النيسابوري لأبي عبد الله بن حمدويه (ت ٤٠٥هـ): ج٣، ص١٣٧، طبع حيدر آباد لسنة ١٣٣٤هـ.

(٢) روضات الجنات لمحمد باقر الخوانساري: ص٣٠٩؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٦.

(٣) روضات الجنات للخوانساري: ص٣٠٩.

(٤) الرجال للكشي: ص١١٠، طبع كربلاء المقدسة؛ الاختصاص للشيخ المفيد: ص٢٠٥، طبع طهران لسنة ١٣٧٩هـ؛ رجال الطوسي: ص٩٠-٩١؛ جامع الرواة للأردبيلي: ج٤، ص٣٥٩؛ الاحتجاج للطبرسي: ص٣٥٥؛ منتهى المقال للحائري: ص١٤٦.

والياً على الحجاز، أمسك بسعيد وبعث به إلى الحجاج ليلقى حتفه على يديه، فكيف يتيسر لسعيد - وهو مطارد منذ ثورته مع القراء على الأمويين سنة (٧٢هـ) مع ابن الأشعث حتى يوم قُبِضَ عليه عام ٩٥هـ - أنْ يُحدِّث الناسَ عن إمام زمانه علي بن الحسين عليهما السلام؟

مثل سعيد لا يمكن ولا يصح ولا يليق أنْ يُتَّهَمَ جُزافاً ويُعْتَبَرَ من الوضاعين افتراءً وبهتاناً مستندين على روايات شاذة وغريبة نقلها لنا بعض المغرضين المشككين بالكثير من الروايات المتواترة عن الثقاة من أئمة المسلمين وما خلّفوا من تُراث.

ولو كان سعيد من الوضاعين - كما اتهمه من ظل يتعاطف مع الأمويين - فَلِمَ نَراهُ يمتنع عن الحديث في (أصبهان) في أول رحلة رحل إليها مع إلحاح أهلها عليه في ذلك وامتنع عن ذلك حتى عاد إلى الكوفة فحَدَّثَ؛ وَلَمّا سُئِلَ في ذلك، قال: انشر بَزَّكَ حيث يُعرف)[1] - يقصد مكانته عند الكوفيين - فنحن نعرف وكل الباحثين المختصين بعلم الجرح والتعديل وعلم الرجال وَقْعَ هذا الرّد في بيئة الكوفة العلمية آنذاك! وكيف كانت منزلة (ابن أمّ دهماء) بين محدّثيها.

وليس ذلك عيباً في سعيد أنْ تَحْرِمَه الظروف القَسرية من الرواية المباشرة عن إمامِ زمانِهِ علي بن الحسين عليه السلام وهو الذي روى عن شيوخه أصدق ما قيل في حق أئمة أهل البيت عليهم السلام، وما عُرِفَ عنه أنّه فرط بحقهم أو أخفى حُبَّهُ لهم أو المنافحة عنهم.

كاد سعيد في مرة من المرّات أن يفقد رأسَهُ بسببهم لّما وصل إلى أذُنِ الحجاجِ

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٣.

- في أول ولايته على العراق - من قول سعيد (أنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلام وِلْدُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم).

أحضره الحجاج وأمره أنْ يثبت بالدليل القاطع ما قاله في الحسن والحسين عليهما السلام أو يُعَرِّض نفسه للهلاك! فما تراجع سعيد وما اعتذر بل قرأ عليه قوله تعالى: { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ... }(١).

مستشهداً بـ(عِيسَى) كواحد من أبناء إبراهيم عليه السلام لأن مريم عليها السلام هي من وِلْدِ إبراهيم عليه السلام.

إنّ سعيد بن جبير قد عايَشَ مأساة إمامه الحسين عليه السلام أيام كان تلميذاً صغيراً - في الرابعة عَشَرَة مِنْ عمره - يطلب العلم في الكوفة، وكان لواقعة الطف الأثر الكبير في جيل سعيد وتوجههم الديني المنضبط حيث جعلته لا يترك قراءة القرآن إلا مريضاً أو مسافراً(٢).

### نماذج مما رواه سعيد من الحديث الشريف

بين يدي القارئ بعض الروايات المختارة من الحديث مما رواه سعيد لأدحض الافتراءات التي وُجِّهَتْ إلى سعيد مِنْ قِبَلِ مَنْ حاول التقليل من شأنه وتضعيفه كمُحَدِّث، وأترك الكثير مما روي عند أهل المسانيد المعتبرة مسنوداً إلى سعيد عن شيوخه بانتظار من يحقق هذه الروايات في كتاب مُميّز فيما رواه سعيد.

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٨٤-٨٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٠.

## سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ذكر المجلسي في (بحار الأنوار) والفتال النّيسابوري في (روضة الواعظين) وابن شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب) والعامري في (الشيصبان) والطبرسي في (أعلام الورى) ما رواه سعيد بن جبير عن أبي خالد الكابلي قال: أتيت علي بن الحسين عليهما السلام على أن أسأله؛ هل عندك سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما أبصرني قال: «يا خالد أتريد أن أرِيَك سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله»! قلت: واللهِ يا بن رسول الله ما أتَيتُ إلاّ لأسألك عن ذلك ولقد أخبرتني بما في نفسي. قال: «نعم»، فدعا بِحُقٍّ كبير وسَفَطٍ فأخرج لي خاتم رسول الله ثم أخرج لي درعه وقال: «هذا دِرْعُ رسولِ الله»، وأخرج سيفه فقال: «هذا والله (ذو الفقار)»، وأخرج عمامته وقال: «هذه (السَّحاب)»، وأخرج رايته وقال: «هذه (العُقاب)»، وأخرج قضيبه وقال: «هذا (السّكب)»، وأخرج نعليه وقال: «هذان نعلا رسول الله»، وأخرج رداءَه وقال: «هذا كان يرتدي به رسول الله ويخطب أصحابه فيه يوم الجمعة»، وأخرج لي شيئاً كثيراً، قلت حسبي، جعلني اللهُ فداك)[1].

## في الحشر

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (قام فينا النبي صلى الله عليه وآله يخطب فقال: «إنكم محشورون حفاة عراة غُرلاً { ...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ... } [2] وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم وإنه سَيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا ربّ أصحابي فيقول ما تدري ما أحدثوا

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج١٢، ص١٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

بعدك فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) قال: فَيُقالُ: إنّهُمْ لا يزالوا مرتّدين على أعقابهم»)(٢).

## في الصبر على الأذى

وقوله تعالى: ﴿ ...إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣)، ما رواه سعيد عن أبي عبد الرحمن السُّلمي عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ليسَ أحدٌ وليسَ شيءٌ أصبرَ على أذى سَمِعَهُ من الله؛ إنهم لَيَدّعون له وَلداً وإنه ليعافيهم ويرزقهم»(٤).

## في الختان

يروي سعيد عن شيخه ابن عباس يحدد فيها سِنَّهُ وقت قُبِضَ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول سعيد: سُئِلَ ابنُ عباس، مِثْلُ مَنْ أنتَ حين قُبِضَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أنا يومئذ مختون.

قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يُدْرِك(٥).

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١١٧-١١٨.

(٢) صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ): ج٤، ص٩١، طبع القاهرة لسنة ١٣١٥هـ، ١٩٣٢م).

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٤) صحيح البخاري: ج٤، ص٤٦.

(٥) صحيح البخاري: ج٤، ص٦٨.

## في باب التوكل على الله

ويروي سعيد عن ابن عباس قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أمَّتي سبعون ألفاً بغير حساب، هم الذين لا يَسْتَرقُونَ ولا يتطيّرون وعلى ربهم يتوكلون»[١].

وسبعون ألفاً من الأرقام الشائعة الاستعمال في الدلالة على الكثيرة، ولا يتعين بها العدد نفسه، بل إن السبعين أيضاً تدل على الكثرة كما ورد في قوله تعالى: { ...إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ... }[٢].

روى سعيد عن ابن عباس قال: سُئِلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أولاد المشركين! فقال: «اللّهُ أعلمُ بما كانوا عاملين»[٣].

وروى سعيد عن ابن عباس أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ سَمِعَ النِّداءَ فلم يأته فلا صلاة له إلاّ من عُذر»[٤].

## الخلفاء اثنا عشر خليفة

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يكون في هذه الأمة اثنا عَشَرَ خَلِيفَةً»[٥].

---

(١) صحيح البخاري: ج٤، ص٨٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٣) صحيح البخاري: ج٤، ص٩٨.

(٤) تاريخ واسط لبحشل: ص٢٢٤.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري: ج٢، ص٢٠٤، مادة حرب، طبع القاهرة لسنة ١٣٨٣هـ.

### مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَثَلُ أهْلِ بَيْتي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوح مَنْ رَكِبَ فِيها نَجا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا هَلَك»[(١)].

### الخلفاء والأوصياء أوّلهم وآخرهم عليهم السلام

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « إنَّ خُلَفائِي وَأَوْصِيَائِي وَحُجَجَ اللهِ عَلى الخَلْقِ بَعْدِي لاثنا عَشَرَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ وِلدِي»[(٢)].

### ومما رواه عن ابن عباس عن (زمزم)

روى سعيد عن ابن عباس عن أُبّي بن كعب عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لمّا رَكَضَ جبريل عليه السلام زَمْزَمَ بِعَقِبِهِ الماءُ فَجَعَلَتْ (هاجَرُ) تجمعه بالبطحاء تكفيه به»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «رَحِمَ اللهُ هاجَرَ لو تركتها لكانت عَيْناً مَّعِينا»[(٣)].

وَحَدَّثَ عن عبد الله بن عمر: (أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه - وآله - وسلم لَمّا دُفِعَ عَشِيَّةَ عَرَفَة سَمِعَ وَرَاءَهُ زَجْراً شَديداً وَضَرْباً فالتفَتَ إليهم فقال: «أيُّها الناسُ؛ السَّكِينَةَ فإنَّ البِرَّ ليس بالإنصياع»[(٤)].

---

(١) القصد والأمم ليوسف بن عبد البر القرطبي: ص١٨، طبع النجف؛ حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٣٠٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٢، ص٢١٠.

(٣) تاريخ واسط لابن أسلم الرّزّاز بحشل: ص١٩٦.

(٤) الإصابة لابن حجر العسقلاني: ج٣، ص١٣٥.

### الوصيُّ والخليفةُ بعد رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنَّ عَلِيّاً عليه السلام وَصِيِّي وَخَلِيفتي، وَزَوْجَتَهُ فاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِساءِ العَالَمِينَ ابْنَتي، والحَسَنَ وَالحُسَيْنَ سَيِّدَيْ شَبابِ أهْلِ الجَنَّةِ وَلَدايَ؛ مَنْ والاهُمْ فَقَدْ والاني وَمَنْ عاداهُمْ فَقَدْ عاداني وَمَنْ ناوأهُمْ فَقَدْ ناوأنِي وَمَنْ جَفَاهُمْ فَقَدْ جَفَانِي وَمَنْ بَرَّهُمْ فَقَدْ بَرَّنِي؛ وَصَلَ اللهُ مَنْ وَصَلَهُمْ وَقَطَعَ اللهُ مَنْ قَطَعَهُمْ وَنَصَرَ اللهُ مَنْ أعانَهُمْ وَخَذَلَ اللهُ مَنْ خَذَلَهُمْ. اللّهُمَّ مَنْ كانَ لَهُ مِنْ أنْبِيائِكَ وَرُسُلِكَ ثِقْلٌ وَأهْلُ بَيْتٍ؛ فَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ أهْلُ بَيْتي وَثِقْلي؛ فَأذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهيراً»[١].

### حديث حزب الله

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِعَلِيّ عليه السلام: «يا عليُّ شِيعَتُكَ هُمُ الفَائِزونَ يَوْمَ القِيامَةِ؛ فَمَنْ أهَانَ واحِداً مِنْهُمْ فَقَدْ أهَانَكَ وَمَنْ أهَانَكَ فَقَدْ أهَانَنِي وَمَنْ أهَانَني أدْخَلَهُ اللهُ نَارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها وَبِئْسَ المصير. يا عليُّ أنْتَ مِنِّي وأنَا مِنْكَ رُوحُكَ مِنْ رُوحي وَطِينَتُكَ مِنْ طِينَتِي وَشِيعَتُكَ خُلِقُوا مِنْ فَضْلِ طِينَتِنا فَمَنْ أحبَّهُمْ فَقَدْ أحَبَّنَا وَمَنْ أبْغَضَهُمْ فَقَدْ أبْغَضَنَا وَمَنْ عاداهُمْ فَقَدْ عَادانا وَمَنْ وَدَّهُمْ فَقَدْ وَدَّنَا، يا عَلِيُّ؛ إنَّ شِيعَتَكَ مَغْفُورٌ لَهُمْ على ما كان فيهم من ذنوب وَعيوب. يا علي؛ أنا الشفيع لشيعتك غداً إذا قُمْتُ المقامَ المحمود فَبَشِّرْهم بذلك. يا علي؛ شِيعتُك شِيعَةُ اللّه وأنصارُك أنصارُ اللّه، وأولياؤُك أولياءُ اللّه، وحِزبكَ حِزبُ اللّهِ، يا علي؛ سَعِدَ من تولاّك وشقي من عاداك. يا علي؛ لكَ كنزٌ في الجنة وأنت ذو قَرنيها»، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وأهل بيته الطاهرين الأخيار المنتجبين الأبرار[٢].

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج٢، ص١٣١-١٣٢، طبع النجف الأشرف لسنة ١٣٧٨هـ.

(٢) أمالي الصدوق: ص١٤، طبع النجف الأشرف لسنة ١٣٨٩هـ، ١٩٧٠م.

### أشراط الساعة

روى سعيد بن جبير عن أبي هريرة[١] مرسلاً، - لأنه لم يدرك أبا هريرة - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التخوت»، قال: يا رسولَ اللهِ، وما الوعول وما التخوت؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الوعول وجوه الناس، والتخوت الذين كانوا تحت أقدام الناس»[٢].

### أنفاس أهل النار

(لو كان في هذا المسجد مائَةُ ألف أو يَزيدون، وفيه رجل من أهل النار، فتنفَس وأصابهم نفسه لأحترق المسجد ومن فيه)[٣].

### الحجر الأسود

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يجيء الحجر يوم القيامة وله عينان يُبصر بهما ولسان ينطق به يَشهد لِمَنْ استلمه بحق»[٤].

هذه بعض من مقتطفات الحديث، وهي لا تمثل إلاّ غيضاً من فيض مما ورد عن سعيد بن جبير في باب الحديث، ولكي يتحقق مصداق ما يتصوره القارئ من غزارة الحديث النبوي الذي رواه سعيد، نُثبّتُ أسماء المحدثين المشهورين ممن أخذ

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: الفصل الأول، باب شيوخه، ج٤، ص١٤.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر: الفصل الأول، باب شيوخه؛ حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٣٠٧.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٣٠٦.

الحديث عن سعيد ممن لمعت أسماؤهم في سماء الرواية ممن تتلمذوا على يد سعيد بن جبير، نذكرهم على سبيل القصر لا الحصر:

## رُوَاتُهُ وتَلاميذه

بما أن سعيداً التابعي المشهور بالرواية عن بعض الصحابة والتابعين، فمن البديهي إذا كانَ ثِقَةً ثَبْتاً أن نجد الكثير من الرواة ممن يعتز بالرواية عنه من أقرانه من التابعين وتابعي التابعين، وإنّ أبرز من حفظوا الحديث عنه ونقلوا لنا تفسيره ونتاجه الفكري وفقهه وفتواه وآراءَه في السلوك الاجتماعي هم:

ابن خيثم[١] ولعله أبو عبد الله عثمان بن خيثم.

أبو إسحاق السبيعي[٢].

أبو أيوب (الأعرج)[٣].

أبو الزبير المكي[٤].

أبو جرير[٥].

أبو سنان[٦].

أبو شهاب موسى بن نافع[٧].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٢) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي: ص٣٨.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٢.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٩.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٤.

(٧) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٠.

أبو عمر بن العلاء[١].

أبو معشر[٢] (والأرجح هو أبو بشر جعفر بن إياس)[٣].

أبو هاشم[٤].

آدم بن سليمان[٥].

إسحاق مولى عبد الله بن عمر بن هلال بن يَساف[٦].

إسماعيل بن زربي[٧].

إسماعيل بن عبد الملك[٨].

أشعث بن الشعثاء[٩].

أصبغ بن زيد[١٠].

الأعمش والحكم بن عيينة - أو عتيبة -[١١].

الربيع بن أبي راشد[١٢].

---

(١) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٩.

(٢) تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ج١، ص٧٧.

(٣) سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي: ج٣، ص٢٢٦؛ حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٣.

(٤) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٨.

(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٧.

(٧) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٨) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٩؛ غاية النهاية لابن الجزري: ص٣٠٥.

(٩) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(١٠) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٤.

(١١) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٩.

(١٢) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٤.

الربيع بن أبي صالح[١].

القاسم بن أبي أيوب الأصبهاني[٢].

المغيرة بن النعمان[٣].

المنهال بن عمرو[٤].

أيوب[٥].

بكير بن شهاب[٦].

بكير بن عتيق[٧].

ثابت بن عجلان[٨].

جعفر بن أبي المغيرة الأصبهاني[٩].

جعفر بن أبي وحشية[١٠].

حبيب بن أبي ثابت[١١].

---

(١) تاريخ واسط لبحشل بن أسلم الرّزاز: ص٩٩.

(٢) تاريخ واسط: ص٨٧؛ حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٩.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٤) غاية النهاية لابن الجزري: ص٣٠٥.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٩؛ غاية النهاية لابن الجزري: ٣٠٥.

(٦) غاية النهاية لابن الجزري: ص٣٠٥.

(٧) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨١.

(٨) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري: ج٣، كتاب السؤدد، ص٢٥٠؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١٢.

(٩) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٧.

(١٠) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(١١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ص٣٠٠.

حبيب بن أبي عمرة[١].

حِجْر الأصبهاني[٢].

حَصين بن عبد الرحمن[٣].

حماد بن أبي سليمان[٤].

داود بن أبي هند[٥].

زر بن عبد الله المرهبي[٦].

سالم الأفطس[٧].

سعيد بن عبيد[٨].

سلمة بن كهل وسماك بن حرب وطلحة بن مصرف[٩].

ضرار بن مرة الشيباني[١٠].

عبد الله بن سعيد بن جبير - ابنه -[١١].

---

(١) دلايل النبوّة لأبي نعيم: ج٢، ص١٢٣.

(٢) ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: ج١، ص٣٢٤.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨١.

(٤) تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ج١، ص٧٦.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٤.

(٦) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٨؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١٢.

(٧) أمالي الصدوق: ص١٤.

(٨) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢١١.

(٩) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(١٠) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٤.

(١١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

عثمان بن مردويه[١].

عطاء بن السائب[٢].

عطاء بن دينار[٣].

عمرو بن أبي عمرو[٤].

عبد الله بن عثمان بن خيثم[٥].

عبد الكريم الجزري[٦].

عبد الملك بن أبي سليمان[٧].

عبد الملك بن سعيد بن جبير - ابنه -[٨].

عمرو بن دينار[٩].

عمرو بن ذر[١٠].

عمرو بن سعيد[١١].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص٢٠.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٤.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٥) سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي: ج٣، ص٢٢٦.

(٦) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٣.

(٧) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٣.

(٨) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٩) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٩.

(١٠) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٦.

(١١) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٥.

عمرو بن مُرّة[(١)].

فرقد[(٢)].

قيس بن مسلم الجدلي[(٣)].

كثير بن تميم[(٤)].

محمد بن سوقة[(٥)].

مسلم البطين[(٦)].

مطر الوراق[(٧)].

معاوية بن إسحاق[(٨)].

منصور بن المعتمر[(٩)].

مولى المطلب[(١٠)].

وائل بن داود[(١١)].

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٢) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٧.

(٣) الاختصاص للشيخ المفيد: ص٣.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٥.

(٥) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨١.

(٦) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٢.

(٧) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٩.

(٨) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٦.

(٩) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(١٠) الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني: ج٣، ص١٣٥.

(١١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ص٢٥٠، كتاب السؤدد.

وبرة بن عبد الرحمن[١].

وفاء بن إياس - ورقاء -[٢].

وكيع[٣].

وهب بن منبه[٤].

هشام بن حسان[٥].

هلال بن خباب[٦].

يزيد بن هزاري[٧].

يعقوب[٨].

يعلى بن حكيم[٩].

يعلى بن مسلم[١٠].

وكثير غير هؤلاء ممن لم يتيسر لنا إحصاؤهم.

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج١، ص٨، طبع القاهرة لسنة ١٣١٥هـ، ١٩٣٢م.

(٣) الدر المنثور للسيوطي: ج١، ص١٦٠.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٠.

(٥) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٩.

(٦) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٥.

(٧) ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: ج١، ص٣٢٤.

(٨) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٣.

(٩) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٧.

(١٠) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١١.

## هـ: آراء سعيد الفكرية وسلوكه الاجتماعي

كان للبيئة الحضارية المتطورة في الكوفة أثر واضح في شخصية سعيد؛ حيث تميز بسعة الأفق التفكيري والنظرة السليمة الحكيمة الفاحصة وهو يتفاعل ضمن مؤسسته الصغرى - البيت - ومؤسسته الكبرى في إطار مجتمعه آنذاك؛ وسلاحه الشخصي في عملية التفاعل فِطرةٌ نقية وعقل تحليلي ذو موهبةٍ خلاقة ومبدعة؛ ساعداه كثيراً وأعاناهُ على ممارسة عملية الاحتكاك بهذا المجتمع وبغيره من المجتمعات واختيار أسلم سبل الأخذ والطرح والتأثير والتأثر والتكيف لما يستجد عليه من مشاكل التفاعل الاجتماعي في بوادر نشأته الأولى حتى مرحلة بلوغه قِمَّة السلم الفكري في مجتمع توارث أعظم الحضارات تميز دون باقي الحواضر بالتأثير الغالب على التأثر، في نقلة عمودية مضنية في عالم الفكر الجديد على أهل الأرض رفعته إلى مصاف أبرز العلماء في هذا الباب من الفكر الاجتماعي؛ ارتكزت هذه النقلة في مسار مراحلها على بعد أفقي علمي أسهم إسهاماً فعالاً في رفعه إلى أعلى درجات السلم الاجتماعي وبعدُ، فلا عجب إذن حين نَشْرَعُ في تحليل جوانب شخصيّته أنْ نَجِدَهُ قد جُبِلَ على عدم الإيمان بالدّجل ولا بالشّعوذة منذ نشأته ولما كانت مثل هذه التصورات لها مصاديقها في التفاعل الاجتماعي؛ نراه

وكأنه قد أعِدَّ لِدَفْعِ تأثيرها عليهِ وكشف عقمها بوسائل سهلة في مضمونها صعبة في تنفيذها ضمن مجتمع حضاري كان يرى في الفرد الذي يتصف بالشخصية المزدوجة شخصاً مُتَحَضِّراً يُحسن التعايش ضمن مؤسسة المجتمع الكبرى وما تحويه من مؤسسات متنوعة في بنيتها الاجتماعية غير البدائية.

وهكذا نشأ سعيد؛ فهو مثلاً يذكر لنا من أيام طفولته حادثة عرضت له أو قل مشكلة صغيرة في حجمها كبيرة في مدلولها تبين البوادر الأولى التي أنشأ عليها شخصيته وكيف أنه كان شخصية انتقائية فهو لم يأخذ من مجتمعه ولم يتأثر إلاّ بما كان سليماً من العرف والقيم الاجتماعية ويرفض ويطرح بل ويهزأ بالهزيل والعقيم والمريض منها وخاصة ما يتعارض مع ما درسه من القرآن والسّنّة.

### رأيه في الرُّقية

فهو يتذكر جيداً كيف تخلص من واحدة من أبسط المشاكل التي يتعرض لها الفرد في مسيرته الاجتماعية؛ لقد لدغته عقرب وأقسمت أمه عليه أنْ (يَسْتَرْقيَ) فما العمل وقد أحرجه قسم أمُه عليه وعدم إيمانِهِ بمثل هذه الوسائل العلاجية!!!

أعطى سعيد يَدَهُ التي لم تُلْدَغْ للراقي وكره أن يحنث اليمين[١].

وأخذه مرّة (صُداع) في مكة؛ فقال له رجلٌ ممن عنده (هل لك أن نأتيك برجل يرقيك من هذه الشقيقة؟ قال: لا حاجة لي في الرُّقي[٢].

وكان يرى في (التنجيم) كهانة والنظر إلى القدر زندقة[٣].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٥.

(٢) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٠.

(٣) ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: ج١، ص٣٢٤.

## رأيه في خُطبة الجمعة، - مظاهرة إسلامية -

ورأي سعيد في خطبة الجمعة أنها مظاهرة إسلامية يحسن بالمسلمين أن يغنموا فوائدها. ومحاضرات أئمّتها من كبار الفقهاء في شرح علوم الدين أنوارٌ على مسار الدرب الطويل للمؤمنين. ويقول: (لأنْ أضْرَبَ على رأسي أسواطاً أحبٍّ إليَّ مِنْ أن أتَكَلَّمَ والإمام يَخْطُبُ يوم الجمعة)[١].

وهذا يكشف لنا قدرته على التركيز والاستيعاب ويجسد الصورة التي يُفتَرَضُ أن يكون عليها المستمع، وكيف على المرء أن لا يفوت فرصة يُتاح له فيها أخذ العلم بلا مشقة.

ولسعيد آراء عميقة ومدركة للنفس الإنسانية استقاها من القرآن الكريم والتدبر في آياته ومن التبحّر في دراسة نفسه ومراقبته لمجتمعه وإدراكه لِحَقيقةٍ ظن علماء الاجتماع المتأخرون أنهم أول من أدركها متجاهلين عمداً أوْ مِنْ غير عَمْدٍ إشارةَ القرآنِ الكريم إلى كون الغرائز البَشرية أموراً لا عقلانية وأن الإنسان العاقل يجب أن لا يخضعها لامتحان أو يضعها على محك رغباتها ليمتحن قدرته على التحمّل، كما جاء في تفسير سورة يوسف وفي سورة وآيات أخر.

## رأيه في النفس البشرية

فسعيد كان يفهم سعة المعنى في قوله تعالى: { ...إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ... }[٢]، ويرى أنَّ النفس عرضة لغوايَة الشيطان إذا ما تواجدت أسباب الغواية وظروفها.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

لذا كان لا يشجّع على انفراد الرجل بامرأة ممن يهفو القلبُ لَهُنَّ، ويضرب بنفسه مثلاً لِيعطيَ العبرة لهم كي لا يعتقدوا أنّ مَنْ أوتي حظّاً من العلم لا تؤثر فيه الغواية فيقول: (لئن أؤتمن على بيت من الدر أحب إليّ من أن أؤتمن على امرأةٍ حسناء)[١].

**رأيه في الخَشيَةِ**

وكان يرى أن الخَشْيَةَ هي (أن تَخْشى اللهَ تعالى حتى تَحُولَ خَشْيَتُكَ بينك وبين معصيتك، فتلك الخَشية؛ وإلاّ كانت رِياءً)[٢].

**رأيه في العبادة**

ويرى أنَّ ذِكْرَ اللهِ لَيس في كثرة التسبيح وقراءة القرآن بل في طاعته (فمن أطاعَهُ فقد ذكره)[٣]، وذلك هو صلب التقوى وصراط الدين المستقيم إلى الهداية الحقّة ولذا نجده لا يرى التورية في الدين ولا يبالي بحياته في سبيل ما يؤمن به وإن كان في تركها حتفه.

قيل لما أُتِيَ به وبعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشخير إلى الحجاج - وكانوا قد اشتركوا في ثورة ابن الأشعث سنة ٧٢هـ، وهذه الرواية حين أمسك بهم خالد بن عبد الله القسري سنة ٩٥هـ، وبعث بهم إلى الحجاج وطرح الحجاج عليهم هذا السؤال:

(أكافِرٌ أنت أم مؤمن؟) - فمن قال كافر نجا ومن قال مؤمن هلك - فكفّر

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٦.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٦.

الآخران نفسيهما؛ أما سعيد فقد أبى؛ وقال: ما كفرتُ بالله منذ آمنت به)[١].

لأنه كان يفهم التقية وينظرها بمنظار أهل البيت عليهم السلام؛ وليس كما يراها الحسن البصري - المعتزلي - وغيره؛ فإذا كانت التقية على حساب العقيدة ومما يشوّه إسلام المرء فهي ليست بتقية[٢].

كان سعيد يرى أنّ على المرء أن يتحيّن الفرصة ويعرف كيف يستغل الظرف الملائم لإعلاءِ كلمة الحق، وقد كان مصداقاً لما يقول فما أن واتته سانحةُ الأيامِ للثورة على الأمويين، لم يتردد ولم يتوان وإنما بادر للانضمام إلى ثورة ابن الأشعث، فإذا بنا أمام بطل عقائدي كانت خُطَبُهُ في المعركة وقودَ آلتها وزاد مقاتليها؛ حتى حَوَّلَ (كتيبة القراء) في (معركة دير الجماجم) إلى قلعة مُدَمِّرَةٍ تسحق أيَّ كتيبة يَدْفَعُ بها الحجاج ضدها، مما اضطره على دفع ثلاث كتائب مَرّة واحدة ضد كتيبة القراء دون جدوى؛ وسعيد يشدُّ من عزم القراء منادياً.

(قاتلوهم على جورهم في الحكم وخروجهم من الدين وتَجَبُّرِهِمْ على عباد الله وإماتتهم الصلاة واستذلالهم المسلمين)[٣].

فلا تقية في الإسلام إذا كانت هناك فتنة؛ وفي الفتنة يتبين من يعبد الله ممن يعبد الطاغوت[٤].

وهذه النظرة عند سعيد إنما تنبع من فهمه الصحيح لمعنى الحياة والموت في الإسلام؛ فهو يرى أن الحياة الدنيا طريق يسلكه المرء إلى عالم ثانٍ يُبنى نوعُ حياتِهِ

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج١٣، ص٢٥٧؛ طبع القاهرة لسنة ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري: ج٦، ص٣٥٨، طبع القاهرة لسنة ١٩٦٤م.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٠.

ويُحَدَّدُ جزاءُ الفرد فيه على ما يكسبه في هذه الحياة، وهذه النظرة صارت عند سعيد المرتكز الذي تصدر عنه آراؤه، وهذا ما نُحِسُّهُ من قوله.

**في الموت**

(لَوْ فارَقَ ذِكْرُ الموتِ قلبي، خَشِيتُ أنْ يَفْسِدَ عَلَيَّ قلبي)(١).

لأنه كان ينظر إلى الحياة الدنيا بعين واعيةٍ فهي في عينه قصيرة وهي إنما امتحان للمرء وليس متعة كما يحسبها الغافلون: (فما هي إلاّ جمعة من جمع الآخرة)(٢)، في نظرة (وَأنّ بقاء المسلم كل يوم غنيمة، وعلى المرء الجد في الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره)(٣)، ومن هذا الإحساس نفهم ما يعنيه بقوله (ما فرِحت في يسر قط ولا حزِنت في عسر قط)(٤).

فهو إن يضحك فإنما يضحك ساعة يُواجه الموت بين يدي الحجاج و(مِنْ جُرْأةِ الحجاج على الله وحلم الله عنه)(٥). وإنْ يَبكي فإنما يبكي لسماعه صوت العود يُعْزَفُ به بين يدي الحجاج وحين يسأله الحجاجُ عن سبب بكائه - ظنّاً منه أن سعيداً جزع من الموت - أجاب سعيد الحجاجِ بصراحته المعهودة؛ إنه إنما تذكر قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (٦))(٧).

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٩.

(٢) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨٠.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) تاريخ واسط لبحشل بن أسلم الرّزّاز: ص٢٠١.

(٥) مروج الذهب لأبي الحسن المسعودي: ج٣، ص١٠٢، طبع القاهرة لسنة ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م.

(٦) سورة طه، الآية: ١٠٢.

(٧) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٣-٢٩٤.

هذا الفكر السليم وهذه الرؤيا الواضحة ليست فلسفة متشائمة عند سعيد ولا آمن بها ولا قرأ في المستقبل ليطّلع على آراء (نيتشه)؛ وإنما هي رؤيا صادرة عن مؤمن ذي لبٍّ وعقلٍ متنورٍ عرف ربَّه حق المعرفة، يرى (أنَّ اللهَ تعالى ليرحم يوم القيامة حتى ليقول؛ من كان مسلماً فليدخل الجنان)[١].

ومن نفس النظرة النيّرة ينطلق رَدُّهُ لَمّا سُئِلَ: مَنْ أبعد الناس؟ قال: (رَجُلٌ اجترح الذنوب، فكلما ذكر ذنوبه احتقر عمله)[٢].

وكانت نظرةُ سَعيد للعلم تنبع من هذه المعرفةِ بالله ومن الخَشية الساكنة في أعماقه المتدفقة في سلوكه فهو يرى في الجهل هلاك الناس.

## رأيه في المال

وأما رأيه في (المال) فلا يختلف عن نظرته الكلية للحياة الدنيا تلك النظرة التي تسلّح بها من كثرة تدبّره في آيات القرآن الكريم الذي نزّله الله سبحانه وتعالى تبياناً لكل شيء، بهذا المفهوم سلك في الحياة ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ... ﴾[٣]، فهو لا يعارض جمع المال إذا كان بالطرق التي أحلها الله، ولكنه لا يرى خيراً في شيء جمع من أجل الدنيا إلاّ ما طاب وزكا[٤].

(وإنَّ مِنْ إضاعة المال أنْ يرزقك اللهُ رزقاً حلالاً فتنفقه في معصية الله)[٥].

---

(١) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٤) وفيات الأعيان لابن خِلّكان: ج٢، ص١١٤.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨١.

### زهده

كان سعيد وثيق الارتباط بالآخرة شديد الحذر من الدّنيا ونعيمها الزائف وحبائلها الخفية المترصدة للبشر، فهو يتعامل معها بكل حذر وفطنة.

سُقِيَ مرّة شَرْبَةً من عسل في قدح فشربها ثم قال: (واللهِ لأسألَنَّ عن هذا) فلما قيلَ له: لِمه؟ فقال: (شَرِبْتُهُ وأنا أسْتَلِذُّهُ)[١]، لأنه خَشِيَ من نفسه لئلا تطمَع، فيفلت زمامها من يده وهو الذي شد وثاقها وأحكم إسارَها بِزُهْدِهِ وسمو غايته.

هذا الزهد في الدنيا وزينتها أكسبه زينة أجلّ منها وأسمى؛ زينة دائمة يتمناها أهل الدنيا أن تكون فيهم ولكن هيهات فالقلب الذي يملؤه غرور الدنيا لابد وأن يصير مرتعاً لِلْكِبْرِ والنفاق والرياء والصّلف.

### رأيه في الخضاب

وسعيد كان حسن الرأي لطيف العبارة صريح القصد؛ سُئِلَ مرّة عن (الخِضاب) بالوسمة فقال بوجه باسم: (يَكسو اللهُ العبدَ النّورَ في وجهه ثم يطفئه بالسواد)[٢] وسأله مسلم البطين مرّة: (الشكر أفضل أم الصبر؟) قال: (الصبر، والعافية أحَبُّ إليّ)[٣].

وسُئِلَ عن أولادِ المؤمنين قال: (هُمْ مع خير آبائِهِمْ فإن كان الأب خيراً من الأم فهو مع الأب وإن كانت الأمُّ خيراً من الأب فهو مع الأم)[٤].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٧.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٢.

(٤) المصدر السابق نفسه.

أجوبة لا تخلو من دعابة ومرح وصفاء نفس ونقاء سريرة ما دامت في حدود ما أحلّ اللهُ، فإن أخذت الغفلةُ أحَدَهُمْ ونسي أنَّ اللهَ أقربُ إليه من حبل الوريد وأغوته نفسُه أنْ يغتابَ أحداً في مجلس سعيد، هَبَّ في غضب وبادره بقوله: (إذا أرَدْتَ ذلكَ ففي وَجْهِهِ)[١].

أما رأيه في الأمومة فيستقيه من الحديث الشريف: (المرأةُ في حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرابط في سبيل الله، فإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد)[٢].

ولسعيد نظرة مشرقة في كيفية تأدية الفروض العبادية وباقي العبادات التوقيفية.

ففي رمضان لا يريد أن تمر لياليه كباقي الليالي لأنه يرى أن ليالي رمضان ليست كسائر الليالي.

إنها ليال يعيشها المؤمن في ضيافة الله وفي ظل رحمته ومغفرته والأجدر به أن يحتفل بهذه الهدية السنيّة، ولذا (كان يوصي بعدم إطفاء الأسرج في الليالي العشر الأواخر من رمضان لأن العبادة فيها تعجبه)[٣].

آراء تهتدي بهدي العقيدة وتستنير بنور القرآن وتنبت في هذا القلب المتبصر وفي ثنايا هذه الفطرة النقية فكيف لا ينفذ نورها في القلوب العطشى للحقيقة مما يجعل حزب النفاق يستشيط حنقاً عليها ويعمل لإخماد هذا الضياء وإطفاء جذوتها وإذا بالسحر ينقلب على الساحر وإذا بالحجاج يفنى ذكراً وجسداً - إلاّ مِنْ سوء

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦١؛ تذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٧٦.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٨.
(٣) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٨١.

العاقبة - وإذا بسعيد ذي النفس المطمئنة تُكتب له شهادة الخلود على مر العصور ويتحول قبره إلى مزارٍ يذكّر الزّائرين بِعِظَمِ البشرى في الدنيا والآخرة وأنّ العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

### الفتوى عند سعيد

قصدتُ من وضع هذا الباب بعد باب (آراء سعيد الفكرية) لكي أوفّر على القارئ عناء مناقشة بعض الروايات التي نقلت عن سعيد، وما تستدعيه المناقشة من مطالب كبيرة وقد اختصرهًا بتزكية سعيد لنفسه بنفسه لكي يشاركني القارئ في تدبر ما يتسلح به سعيد من وضوح الرؤيا وسلامة النيّة وصدق العقيدة التي تسقط الافتراءات التي ألصقت به لأنه يوالي أهل البيت عليهم السلام ولا يوالي الحزب الأموي الحاكم حتى ضحّى بحياته ثمناً لهذا الولاء.

فلقد قيل (إنّ سعيداً كان لا يستطيع أن يكتب مع ابن عباس في الفتيا، فلما عَمِيَ ابن عباس؛ كَتَبَ فبلغه ذلك فغضب)[(١)].

هذا نص ما أورده ابن خلكان في (وفيات الأعيان) كما نقله عنه بنصه صاحب (روضات الجنات) (الخوانساري) ومن المحزن حقاً أنّ عالماً فاضلاً مثل الخوانساري يطمئن إلى رواية آحاد أوردها مؤرخ جُبِلَ على التشكيك في سيرة كثير من المحدثين الثقاة - وهوَ مَنْ طعن في صحة أعظم مصادر تراث أمتنا الفكري مثل ابن خلكان ويكفي أن نعلم أنّ ابن خلكان هو من مؤرخي دولة بدر الدين لؤلؤ في الموصل والذي عُرِفَ عنه كرهه لآل البيت، وهو أول من حاول بعد ستة قرون أن يشكك في صحة نسبة (نهج البلاغة) إلى الإمام علي

---

(١) روضات الجنات للخوانساري: ص٣٠٩.

عليه السلام مدّعياً أنه من تأليف الشريف الرضي الذي توفي في القرن الخامس الهجري (٤٠٦هـ)، متناسياً أو متغاضياً عمّا حفظته بطون الكتب من هذا السفر الإسلامي الجليل الأعظم رمز من رموز الأمّة الرضي بقرون وكفانا بكتب الجاحظ المتوفى في (٢٥٠هـ) وحدها دليلاً، فالجاحظ وحده يكاد يكون ما أخذه عن (نهج البلاغة) أكثر من ثلثي ما جمعه الشريف الرضي وقد يكون أغلب ما جمعه الشريف الرضي هو من كتب الجاحظ المعتزلي وهذا ما حققه صاحب كتاب (شرح نهج البلاغة) ابن أبي الحديد المعتزلي.

وللتأكيد على أن رواية ابن خلكان عن سعيد غير مُمَحَّصَةٍ وأنها مَزعُومَةٌ، هو ما تواتر عن سعيد نفسه (أنَّ ابن عباس كان يَكرَهُ كُتّابَ الحديث)[(١)]، المجهولين الذين يعتاشون على هذه الغنيمة العلمية لأغراض هي معروفة عند ابن عباس وسعيد، ولا ندري ما هي الدوافع التي جعلته يكره هؤلاء ويُقَرِّبُ سعيداً!

وكل ما نعرفه أن سعيداً كان يعرف ذلك عنه ومع ذلك فقد تواتر عنه أنه (كان يأتي ابن عباس ويكتب عنه)[(٢)].

كما أن ما ذكره ابن خلكان يتعارض مع ما ثبت عن ابن عباس من استغرابه من مجيء أهل الكوفة لسؤاله وفيهم ابن أم دهماء[(٣)]، وهو نص ظاهر الدلالة على ثمة ما يدعو لغضب ابن عباس لو أن سعيداً كتب في الفتيا.

وأما الحكم الذي أصدره الخوانساري من أنّ سعيداً اجتهد في (الفتيا) دون اتباعه المأثور عن أهل البيت عليهم السلام مستنداً في حكمه على قول ابن خلكان

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٥٨.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

وبحجة (عدم شيوع رواية منه عن أئمة زمانه[١] - وهو ما عللناه في باب الحديث - فلا يخلو هذا الحكم من عدم تمحص الدقة التي نتوخاها من عملية الجرح والتعديل؛ وكان عليه أن يستدل ولو بمسألة واحدة يستشهد بها على أن سعيداً اجتهد وخالف أهل البيت عليهم السلام مع أن الخوانساري نفسه كان يعلم أن أهلَ البيت عليهم السلام كانوا ينصحون أصحابهم وأولياءَهم بالحذر حتى مما يصل منسوباً إليهم وبالتثّبت من كل ما يرد عنهم (بعرضه على كتاب الله فإن خالف كتاب الله فليضربوا به عرض الجدار) وهذه النظرية كان لها شأنٌ عظيم في كشف الكثير من الروايات التي يروجها وُعّاظ السلاطين وينسبونها إلى أهل البيت عليهم السلام وهي تعارض كتاب الله لغرض دنيء هو إبعاد الناس عنهم غيظاً وحسداً.

وحتى لو افترضنا صحة رواية أن سعيداً كتب في الفتيا بعد أن عمي ابن عباس وغضب ابن عباس، وتذرّعنا بدليل أن سعيداً سبق وأن تولى قضاء الكوفة وهو أمر يتطلب الكتابة في الفتيا - أوْ لا يتطلب!!! - وأنه سبق وأن كان كتاباً لعبد الله بن عتبه بن مسعود حين كان على قضاء الكوفة[٢]، فأين هي مخالفة كتاب الله وأين هي مخالفة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ومن كل هذا يخرج الدارس للفتيا عن سعيد بن جبير بحقيقتين بارزتين لتتميز بهما فتياه.

فهو إما أن يسند قضاءَه وقوله في حكمه برواية عن شيوخه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإما أن يقرن حكمه وفتياه بآية من كتاب الله.

---

(١) روضات الجنات للخوانساري: ص٣٠٩.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ: ج٣، ص٦٣، طبع القاهرة لسنة ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

ولو لم يكن سعيد (ثقة ثبت فقيه ممحّص)[١]، كما حققه علماء الجرح والتعديل؛ لما وجدنا المحدّثين الثقاة يرضون بأن يؤمَّهم في الصلاة رجل مشكوك في ثقته وعدالته وصحة فتواه؛ وهو الذي ما كان يأخذ حتى بفتوى الصحابي ما لم يتأكد منها ويمحصها.

فلقد جاء مرة إلى ابن عباس يسأله عما سمعه عن ابن عمر من (أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حَرَّمَ نَبيذَ الجر...).

فرد عليه ابن عباس قائلاً: (صدق ابن عمر) فأعاد سعيد قائلاً: (فأيُّ شيءٍ الجر؟) قال: (كل شيءٍ يصنع من مَدَر)[٢].

ومما يوضح أن سعيداً كثيراً ما يربط بين فتواه وفتوى ابن عباس لاستناد المسألتين إلى علة واحدة ودلائل متجانسة ومن سنخ واحد؛ ما أفتى به في أدب السلوك الاجتماعي الإسلامي.

(قال رجل لسعيد بن جبير: المجوسي يُوليني خيراً فأشكره، ويسلم عليَّ فأرد عليه! فقال سعيد: سألتُ ابن عباس عن نحو هذا فقال لي: لو قال لي فرعون خيراً لرددتُ عليه مثله)[٣].

### الزواج المنقطع - مُتْعَةُ النساء -!!!

ومن الأمثلة على زيادة تحفظه في الفتيا وبالغ تتبعه للأحداث التي طرأت على بعض الأحكام الشرعية من ناسخ أو منسوخ مما نزل في كتاب الله وثبت حكمه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستمر الصحابة يعملون به في

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٤، ص١١.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٧.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٨، كتاب الحوائج، ص١٦٥.

أيام أبي بكر إلى منتصف أيام عمر حين منعه باجتهاد منه، ما رواه سعيد في مُتعة النساء عن ابن عباس قال: (تمتّع رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم فقال عروة: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما يقول عُرَيّة؟ قال: يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهُمْ سيهلكون أقول: قال رسولُ الله صلى الله عليه - وآله - وسلم ويقولون: قال أبو بكر وعمر)(١).

### فتواه في شهادة أهل الكتاب عند الضرورة

(وَلَمَّا أفتى بجواز شهادة أهل الكتاب على المسلمين في السفر إذا كانت الشهادة على الوصية، ولم يتيسَّر الشهود من المسلمين؛ ولّما طُلِبَ منه الدليل الاستنباطي لهذا الحكم استدلَّ بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ... ﴾ (٢))(٣).

وتتجلّى قيمة فتواه حين يَردُّ على السائل ذاكراً لَهُ نَصَّاً مِنْ نصوصِ السُّنَّةِ النبّويّةِ لِيُزيلَ الشّكَّ الذي يُساور قلبَ السائل وليُطْلِعَهُ على كنوزها الجَذّابة.

سأله رجل عن الكسب قال سعيد: (سُئِلَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيُّ الكسب أطيب؟ قال: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وكل بَيّعٍ مبرور»(٤).

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص٣٣٧؛ كتاب مختصر العلم لأبي عمر: ص٢٢٦؛ تذكرة الحفاظ للذهبي: ج٣، ص٥٣؛ زاد المعاد لابن القيّم: ج١، ص٢١٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

(٣) البيان للسيد أبي القاسم الخوئي: ص٣٦٣.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٣، كتاب السؤدد، ص٢٥٠.

ومن فتواه التي لا تخلو من مرح إلى الغرض قوله لِمَنْ سأله عن قُبلة الصائم؟ فقال: (لا بأس بها، وانها لبريد سوء)[١].

فبين للسائل من طرف خفي وبأسلوب الدعابة ما تسببه من تنبيه للجوارح - لأن الصائم من صامت جوارحه -.

وله في تشميت العاطس قوله (مَنْ عَطَسَ عنده أخوهُ المسلم فلم يُشَمِّتْهُ، كان دَيْناً يأخذه به يوم القيامة)[٢]. - وهو أن يقول له: يرحمكم الله -.

وكان يرى أن الفروض توقيفية وأنَّ الأعمال بالنّيات لا بالأداءِ وعلى المرءِ أن يؤدّيها بالصورة التي أمَرَ بها الشارع لا كما يحلو له؛ فلما سأله (أبو شهاب الكوفي) وهو في مكة عن أناس - تركهم أبو شهاب بالكوفة - يوترون قبل أن يناموا مخافة أن لا يستيقضوا للوتر، فيرزقهم الله قياماً من الليل فيصلون شفيعاً مما بدا لهم ثم يعيدون وترهم؟

قال سعيد: هذا من البدع؛ إذا أنت أوترتَ قبل أن تنام ثم رزقك اللهُ قياماً بعد وَتْرَكَ، فصَلِّ شفيعاً ما بدا لك ولا تُعِدْ وَتْرَكَ واكتفِ بالذي كان)[٣].

وَلَمَّا سأله إسماعيل بن عبد الملك عن فريضة من فرائض الحدّ؟ قال: يا بن أخي، إنه كان يقال من أحبَّ أنْ يَتَجَرّأ على جراثيم جهنم فليتجرأ على فرائض الحدّ)[٤].

معنى هذا مأخوذ من (الحَدِّ): (والحَدّ الحاجزُ بَيْنَ الشّيئَيْنِ الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخَر، يُقالُ حَدَدْتُ كذا جَعَلْتُ له حَدّاً يُمَيِّزُ. وَحَدُّ الدارِ ما يَتَمَيَّزُ بِهِ عن

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ص٢٨٠.

(٤) حلية الأولياء: ص٢٨٩.

غيرها، وَحَدُّ الشيء: الوَصْفُ المحيطُ بمعناهُ المُمَيِّزُ له عن غيرِه، وحَدُّ الزِّنا والخَمرِ سُمِّيَ بِهِ لكونِهِ مانِعاً لمتعاطِيهِ عن مُعاوَدَةِ مِثْلِه ومانعاً لِغَيْرِهِ أنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَهُ، قال اللهُ تعالى: **{ ...تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا... }** [١].

وقال تعالى: **{ ...تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا... }** [٢].

وقال عزّ وجل: **{ ...وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }** .

وقوله تعالى: **{ ... وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }** [٣].

وقال تعالى: **{ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ... }** [٤].

وقوله سبحانه وتعالى: **{ الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ... }** [٥].

لأنهم ستقع عليهم البينةُ في الالتزام بها لأن عدم الالتزام بالحدود يُوقِعُهُمْ في (المحادَدَةِ) وهي مخالفة (الحدود) قال تعالى: **{ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... }** [٦].

وقال تعالى: **{ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا... }** [٧].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٩٧.

(٦) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٦٣.

لأنّ المحادِدَ يُخالفُ (الحُدودَ) وَيَتَعَدَّ عليها وهذا ما أراده سعيد بن جبير من اختصار بيان (فرائض الحَدّ) حيث قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا... ﴾[(١)].

وقال الراغب في مفرداته: (فالحَدُّ: الحكمُ والحدودُ: الأحكام وقيل حَقائِقُ مَعانيهِ؛ (وجميعُ حدودِ اللهِ على أربعة أوجه: إمّا شيءٍ لا يجوز أن يُعَدّى بالزيادةِ عليه ولا القصور عنه كأعداد ركعات صلاة الفَرْض، وإما شيءٍ تَجُوزُ الزيادةُ عليه ولا يجوزُ النقصانُ عنه، وإمّا شيءٌ يجوزُ النقصانُ عنه ولا تجوز الزيادةُ عليه).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴾[(٢)]، أي يُمانِعون فذلك اعتباراً بالممانعة - وهم المنافقون الذين يعصون رسولَ اللهِ ويخالفون سُنَّتَهُ؛ واللهُ تعالى يقول: ﴿ ...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا... ﴾[(٣)].

وإمّا أنْ تكون الممانَعَةُ مُحادَدَةً بالحديد - وهي التي يَلْجَأ إليها الكفار - والحديدُ معروفٌ، قال عزّ وجل: ﴿ ...وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ... ﴾[(٤)]، وَحَدَّدْتُ السِّكِّينَ رَقّقْتُ حَدَّهُ وَأَحْدَدْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ حَدّاً، ثم يُقالُ لكل ما دَقَّ في نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ الخِلْقَةُ أوْ مِنْ حيثُ المعنى كالبصر والبصيرةِ حديدٌ، فَيُقالُ هو حَديدُ النَّظَرِ وحديدُ الفَهْم؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ...سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ... ﴾[(٥)])[(٦)].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٥.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ١٩.

(٦) مفردات في غريب القرآن للراغب كتاب الحاء باب (حد).

وكان شرح (فرائض الحد) هو مِنْ لَطائف الرَّمز في الفتيا عند سعيد أردنا تِبيانه وقد ختمنا به (الفتيا) عند سعيد مرتبطة بشيوخه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك الكثيرُ والكثيرُ جِدّاً مِنْ فتياه وما حفظه لنا من فتيا شيوخه ومن الفتاوى العَبقة بنفحات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا زال مخبوءاً في بطون الكتب بانتظار من يُحققه في بحوث مستقلة تكشف لنا السُّنَّةَ النبوية الحقَّةَ!

**الصَّلاةُ عند سعيد بن جبير**

صلاةُ سعيد، فرائضه ونوافله وكيف يؤدّيها:

لقد أفردتُ لها هذا الباب لا لأزعم أن سعيداً ابتدع بدعة خاصة به تميز صلاته عن غيره؛ وإنما لكي تكتمل الصورة الكلية التي كانَ عليها هذا العبد الصالح في عبادته ولقد رأيته أن ذلك لا يتم إلاّ بمراقبته وهو بين يدي الله.

قال حصين: (رأيت سعيد بن جبير صلّى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح، فأتيته فصليتُ إلى جنبه وسألته عن آية من كتاب الله فلم يجبني فلمّا صلّى الصبح قال: إذا طَلَعَ الفجر فلا تتكلم إلاّ بِذِكْرِ الله حتى تصلي الصّبح)[١].

وهذا الجواب نابع من قوله تعالى: { ... إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا }[٢]، ومن قوله تعالى: { تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ(٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ }[٣].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ص٢٨١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٣) سورة القدر، الآيتان: ٤-٥.

وهذا الوقتُ له جلالته عند سعيد لأن الملائكةَ شهود على الفارِّين فيه إلى اللهِ لقوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[١]، فسعيد يعتبر القيام بين يدي الله حتى يصلي الصبح عملية (فِرارٍ) بين يدي الله سبحانه وتعالى من يَفِرّ بين يدي الله في مثل هذه الساعة وهو بمنزلة سعيد يجد الحديث مع إنسان آخر إشراكاً مستنبطاً امتناعه عن الإجابة قبل إتمام فرض الصبح إكمالاً لحدود قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[٢].

وإن ينتهي سعيد من أداء فريضة العشاء فهل يترك النوافل وعظيم أجرها وهو الذي نذر نفسه لله؟ لا... فهو لا يكتفي بما فرضه الله على العباد للتقرب إليه والفوز برضاه، بل يسعى بنفسه للفرار إلى الله ما دامت العافية مركبة والنوافل عدّته ويتهيّأ لها من بعد العشاء ويباشرها.

يقول القاسم بن أبي أيوب: (إنّ سعيد بن جبير كان يصلي بعد عشاء الآخرة أربع ركعات، فكلمته وأنا معه في البيت فأبى أن يكلمني)[٣].

وأترك للقارئ أن يتصور سعيداً - في الكوفة - وهو واقف يصلي عند باب الطاق وهو معتمر بعمامة قد أرخى طرفها شبراً من ورائه[٤].

ولقد ناقشنا ما مَرَّ - في باب القراءة - ما روي عن سعيد (أنه قام ليلة في جوف الكعبة فقرأ القرآن في ركعة)[٥].

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥١.

(٣) تاريخ واسط لبحشل بن اسلم الرزاز: ص٨٧.

(٤) تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ج١، ص٧٧.

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٧٦.

أمّا صورة سعيد وهو يصلي آخر ركعتين وهو يتوجه بروحه إلى الله قبل أن ينالَ الشهادة ذبيحاً؛ فإني آليتُ أنْ أبحثها في إطارها المناسب حين أبحث قصة إلقاء القبض على سعيد من قبل خالد بن عبد الله القسري والي الأمويين على الحجاز وتسليمه إلى الحجاج في واسط لِيَذبَحَ سَعيداً السعيد بالاستشهاد على النطع وقد ملأه دماً عبيطاً وهو يَفرّ إلى ربّه بروحه وجسده ذبيحاً غير خائف ولا آبه ببطش الحَجّاج بن يوسف الثقفي!

### الدُّعاءُ عند سعيد

حَفِظَ لنا سعيد بن جبير جَوامعَ الكَلِمِ مِن دعاءِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخذ بَعْضَها عن ابن عباس والبعض الآخر عن باقي شيوخه، وكان يتميز عن غيره من مشايخ التابعين بمجاهدته وسعيه الحثيث لدراسة أسرارها ومعرفة كنهها إلى أو توصّلَ إلى كشف ما انطوت عليه من كنوز؛ فقال مقولته التي صارت مفتاحاً ومبدأً لمن يتمنى استجابة الله سبحانه لدعائه. يقول سعيد: (إنّ الإجابة تكون عند حلاوة الدعاء)(١).

ولذا لّما أخِذ إلى الحجاج قال: (ما أراني إلاّ مقتولاً؛ وسأخبركم؛ أني كنت أنا وصاحبين لي دَعَونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا اللهَ الشهادة، فَكِلا صاحبي رُزِقها وأنا أنتظرها)(٢).

ولّما طال انتظاره ساوره الشك بعبادته، وحزن وتألم، ولم يفرح إلاّ ساعة تبين أنّه ملاق ربه شهيداً، وهو يصف ذلك قائلاً: (ما زال البلاءُ بأصحابي حتى رأيت

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٧٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

أن ليس للهِ فِيَّ حاجة حتى نزل بِيَ البلاء)[١].

وهذا القول لا يصدر إلاّ عن يقين راسخ بالله، وقد أدرك سعيد أنّ إجابة الدعاء لا تتهيّأ إلاّ لمن عرف الله حق قدره، فأوكل أمْرَهُ إليه وأخلص النيّة في توكله؛ فكان يدعو: (اللهم أسألك صدق التوكل عليك وحسن الظن بك)[٢].

### التوكل على الله

وكان يرى في التوكل على الله أول طرق الإيمان.

وهذا اليقين بعزة الله وهيمنته على الكون بما فيه قد آمن به سعيد منذ أن حق عليه أداء الفرائض. لقد أحَسَّتْ والدته بخطر دعائه.

(كان عنده ديك يقوم سعيد إلى الصلاة على صِياحِهِ فلم يَصْحُ ليلة من الليالي، فأصبح سعيد ولم يُصَلِّ؛ فَشَقَ عليه ذلك فقال: (ما له قطع الله صوته!).

فما سُمِعَ ذلك الديك يصيح بعدها، فقالت له أمه: أيْ بُني لا تَدْعُ على شيءٍ بعدها)[٣].

وظل سعيد يقتدي بابن عباس وما سمعه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «وإنّ منكم رجالاً لو أنّ أحدهم أقسم على الله لأبَرَّهُ»[٤].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨١.

(٢) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٧٤.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: ج١، ص٣٢٤.

فكان سعيد عند ثقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان ذلك الرجل.

وكان تعامل سعيد مع الله سبحانه وتعالى تعامل الواثق من كرم الله وسعة استجابته لمن توكل عليه وأخلص في الدعاء بين يديه.

تجده يلهج بذكر الله في كلِّ شأنٍ وكل حينٍ؛ فإن فرغ من طعامه توجه بالدعاءِ لرازقه: (اللهم أشبعتَ وأرويتَ فهنّئنا، وأكثرتَ وأطَبْتَ فَزِدْنا)[١].

كان يستنبط أعمق المعاني وأدَقّها وأصدقها تعبيراً في كل كلمة من كلمات القرآن الكريم؛ فهو يرى في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شيءٍ ﴾، سِعَةَ الرّحمةِ وشمولَها لكل شيء، فيقول: (لو أنّ رَجُلاً في شِعْبٍ مِنْ شِعَبِ جهنم يُنادي مقدار ألف عام (يا حنّان يا منّان) لقال رَبُّ العِزّةِ لجبريل عليه السلام: (أخْرِجْ عبدي من النار) فيأتيها فيجدها مطبقة، فيرجع فيقول: يا رَبِّ (إنّها عليهم مُؤصدة) فيقول تعالى: (يا جبريل ارجع ففكّها فأخْرِجْ عبدي من النار...)[٢].

وكان آخر ما دَعا سعيد بن جبير في الحياة الدنيا دعاؤُهُ على الحجّاجِ لّما هَمَّ بقتله حيث قال: (اللهمَّ لا تُسَلِّطْ الحجاجَ على أحدٍ من بعدي)[٣].

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٩، كتاب الطعام، ص٢٢١.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٨٥.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٤؛ رجال الطوسي: ص٩١؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٥؛ الاحتجاج للطبرسي: ص٣٥٦.



# الفصل الثالث

# صلة سعيد بمشاهير عصره

صلته بمشاهير عصره في مكة

صلته بمشاهير عصره في الكوفة

إسهامه في ثورة ابن الأشعث

عاصرَ سعيدُ كثيراً من الأشخاص المشهورين في التاريخ ممن كان لهم أثرهم في تاريخ العالم الإسلامي، سواء كان أثرهم بما ينفع الناس أو جُفاءً مما يعافه المجتمع الإسلامي.

ولستُ بصدد ذكر تراجم هؤلاء لأنه خارج عن هدف البحث، ولكن سأخصّ بالذكر من اتصل منهم بسعيد أو اتصل به سعيد.

وأهم شخصيتين تعاصرتا ولا من جامع شَبَهٍ يجمع بينهما إذا حَكّمنا المقاييس والموازين الإسلامية، وهما؛ علي بن الحسين عليهما السلام والحجاج بن يوسف الثقفي.

ولنطلع من خلال هذا الفصل على الكيفية التي تم بها اتصال سعيد بن جبير بكل منهما، وما هي العلاقة التي كانت تجمع بين سعيد وبين كل منهما؟ ومتى انتهت؟ وبأي حال؟

وحسب التّدرّج الزمني للأحداث التاريخية، نكتشف أنّ اتصال سعيد بالحجاج كان مُبَكِّراً أي كان قبل اتصاله بإمام زمانه علي بن الحسين عليه السلام.

وما علينا الآن إلاّ أن نُحَدِّدَ متى عرف سعيد بن جبير؛ الحجاجَ بن يوسف الثقفي، وأين؟ وما نوع العلاقة التي كانت بينهما؟

## في مكة المكرمة

لقد عرفنا في الفصل الأول أن أغلب دراسة سعيد كانت في مكة المكرمة وفي حلقة ابن عباس خاصة حيث كانت تجمع العشرات ممن كانوا يفدون إلى مكة المكرمة لأخذ العلم عن (حَبر الأمة) وكان من هؤلاء الحجاج ابن يوسف الثقفي - ولم يكن حينئذ بالشخصية التي اشتهر بها في العصر الأموي، وإنما كان طالب علم حالُهُ حالَ سعيد بن جبير وأقرانه، ويَتَحَدّثُ عنه الرواة؛ أنه في تلك الفترة كان في حالٍ يُرثى لها من الفقر لأنه كانَ يَعتاشُ بأرغفة الخبز التي يأخذها أجراً لِتَحْفيظه الأطفالَ سُوَرَ القرآن القِصَار هكذا كان يَسِدُّ رَمَقَهُ أيامَ الدِراسةِ - ولعله كان مُحِبّاً للعلم في حينه؛ وسعيد يشير إلى ذلك وهو يستعرض أيام حياته فيقول: (لقد رأيته يُزاحِمُني عند ابن عباس)[1].

إنّ سعيداً يُصَوِّرُ الحجاج في تلك الفترة تلميذاً مُنافساً يزاحمه في الظفر بأقرب مجلس من ابن عباس لِيتسنى له سماع حديث الشيخ بوضوح وليتمكن من سؤاله.

ولكننا لو نظرنا للصورة من زاوية أخرى ونحن ندرس حياة ابن عباس؛ كما لم نجد أنّه اهتم ابن عباس به مثلما اهتم بسعيد؛ ومن هذا الدليل وما قبله نستنتج أن الحجاج كان دون أدنى ريب شخصاً مغموراً أيام عرفه سعيد في حلقة ابن عباس العلمية.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد الزهري: ج٦، ص٢٦٧.

ولكن مَسْرَى الحوادث - بعد ذلك - سَيُرينا أنّ الحجاج وإن ترك التعلم واتّجه للعمل ضمن دائرة المؤسسة الأموية فإنه بقي يستذكر ويذكر أيام تلك المرحلة من حياته جيّداً، ويتذكر معالم من عاصرهم وعايشهم بوضوح جعلته على إدراك تام لما سيكون عليه سعيد من بناء فكري، مستخلصاً حُكْمَهُ مِمّا كان يراه عند سعيد من ذكاء وقابلية ومواظبة وحرص على استيعاب العلم، وكان مصداقُ صحة استنتاجه محمولاً على تلك الأوليات في حكمه.

ولذا وجدنا الحجاج بعد أن انضمَّ إلى المؤسسة الأموية العسكرية وبعد أن ترأَسَ الحملة على الحجاز من قِبَلِ الأمويين لقمع حركة عبد الله بن الزبير حين أحجم قائدها عن ضرب الكعبة بالمنجنيق بعد أن احتمى ابن الزبير داخلها فتقدم الحجاج من رجل البريد من قبل عبد الملك بن مروانٍ يبدي استعداده لضرب الكعبة إنْ وُلِّيَ قائداً للحملة فرحب عبد الملك بهذه الجرأةِ على بيتِ الله الحرام الذي قال تعالى في حرمة حِماه: { ...وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا... }[١]، وإذا بالحجاج يصير قائداً لحملةٍ انضم إليها جندياً مرتزقاً مغموراً لا يَجِدُ قُوتَ يومه.

(وبعد أن ضرب الكعبة بالمنجنيق للوصول إلى الإمارة لم ينس أنْ يرغم أهل مكة على تجديد البيعة لعبد الملك ابن مروان، ولم يغفل أنْ يأخذَها من سعيد بن جبير وهو في مكة)[٢].

وسعيد حينئذٍ نجمٌ ساطعٌ بين التابعين يعلو في سماء مكة المكرمة بمنزلته العلمية بعد وفاة ابن عباس عام ٦٧هـ في الطائف.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٢) تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري: ج٦، ص٤٩٠؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠.

## سعيد يرحل إلى الكوفة

لم يطل المقام بسعيد بمكة المكرمة، وفيها الحجاج صار أميراً بعد أن كان جندياً مغموراً وإذا به يتسلط على رقاب الناس يحصي الأنفاسَ على الناس بعد أن أحرق بيت الله أمامَ أعينهم ببادرة لم يسبق لها مثيل ليثبت أنّ ولاءَهُ للسلطان فوق الولاء لله ولِيَطْمَئِنَّ عبد الملك أنه عند حسن ظنّه وأنه طوع يده.

وهذا ما دفع سعيداً إلى العودة إلى مدينته ومسقط رأسه الكوفة، خاصة وقد بدأت حلقات الدراسة تملأ جوانب وأركان وفضاءات مسجد الكوفة وهي تعج زاخرة بالدارسين زاهرة بالمعلمين؛ وقد شعر بأن وجودَهُ في الكوفة سيكون أفضل وأنفع من الناحية العلمية والسياسية.

وفي الكوفة نجد سعيداً وهو ينشر علمه وتأبى نفسه أن يتكسب بالعلوم الدينية وتعليمها لطالبيها؛ ولذا نراه يستغل قابليته ومعرفته وكفاءته في القضاء والمعاملات وشؤون الكتابة فيعمل كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود - وكان الأخير يشغل منصب قاضي الكوفة -[١]. وليتفرغ بعد العمل كاتباً، لِينضمَّ إلى

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ج٣، ص٦٣.

باقي شيوخ التابعين من طبقته[١]، معلماً وناقداً خَبيراً[٢]، بعلوم القرآن من قراءة وتفسير ورواية وفِقه[٣].

ويستمر بالعمل كاتباً عند عبد الله بن عتبة بن مسعود حتى قدوم الحجاج والياً على العراق.

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم: ص٣٢٩.

(٢) رجال الطوسي: ص٩٠.

(٣) إيمان أبي طالب لفخار بن معد الحائري: ص٣٢١؛ الاتقان للسيوطي: ج٢، ص١٨٩.

## الحجاج والياً على العراق

قدم الحجاج والياً على العراق من قبل عبد الملك بن مروان (يملك منه سلطات واسعة)[1] تتناسب وتفانيه في سبيلهم، والغرض من تسليم الأمويين ولاية العراق للحجاج إنما جاء مكافأة له على قتل عبد الله بن الزبير وهو داخل بيت الله الحرام، وهدمه الكعبة المشرفة لينهي حركة ابن الزبير بهذه الطريقة التي كانت وسيلة الحجاج لنيل رضا الأمويين، مبيناً من خلالها أنه لا يمنعه شيء ولا حتى البيت الحرام عن تحقيق مآربه - وهذا ما يصبو إليه الأمويون في عُمّالهم - ولِذا وَلاّهُ عبد الملك على العراق وخولّه أن يفعلَ ما يشاء بهم ما دام ذلك فيه إعادة سيطرتهم على هذا البلد غير الموالي لهم، فاتّفقت مطامح الحجاج المحروم الجاه والعز مع رغبات سلطان كان هو الآخر لم يصدق كيف دالت دولة الإسلام، (وبدأت أول مذبحة للعراقيين على يد الحجاج).

يذكر ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة): بعد أن قَتَلَ الحجاجُ عبد الله ابن الزبير وجماعته (بَعَثَ برؤوسهم إلى عبد الملك وذلك لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الأولى، سنة ثلاث وسبعين.

قال أبو معشر: ثم أقام الحجاج بالمدينة عاملاً عليها وعلى مكة والطائف ثلاث سنين، يسير بسيرته كما يقولون.

---

(١) المحاضرات لعبد الله الفياض: ص٩٤، طبع بغداد لسنة ١٩٦٧م.

قال فلما مات بشر بن مروان، - وكان والياً على الكوفة والبصرة - كتب إليه عبد الملك: أن سِرْ إلى العراقيين، وَاحْتَـلْ لقتلهم، فإنه قد بلغني عنهم ما أكره. واسْتَعْمَلَ عبد الملك على المدينة (يحيى بن حكيم بن أبي العاص).

قال: وذكروا أن عبد الملك لمّا كتب إلى الحجاج يأمره بالسير إلى العِراقيين ويحتال لقتلهم، توجّه ومعه ألف رجل من مُقاتِلَةِ أهلِ الشامِ وحُماتِهِمْ، وأربعة آلاف من أخلاط الناس وتقدَم بألفي رجل، وتَحرّى دخول البصرة يوم الجمعة في حين أوان الصلاة، فلما دَنا من البصرة، أمرهم أن يتفرقوا على أبواب المسجد، على كل باب مائة رجل بأسيافهم تحت أرديتهم وعهد إليهم أنْ إذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد، والواقعة فيهم، فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقَه رأسه إلى الأرض. وكان المسجد له ثمانية عشر باباً، يُدخَلُ منها عليه، فافترق القوم عن الحجاج فَبَدَروا إلى الأبوابَ، فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة.

ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل، وخلفه مائة، كل رجل منهم مرتد بردائه، وسيفه قد أفضى به إلى داخل إزاره.

فقال لهم: إنّي إذا دخلتُ فسأكلّم القوم في خُطبتي وسيحصبونني فإذا رأيتموني قد وضعتُ عمامتي على ركبتي، فضعوا أسيافكم، واستعينوا بالله، واصبروا إنّ الله مع الصابرين؛ فلما دخل المسجد، وقد حانت الصلاة، صعد المنبر فحمد الله ثم قال: (أيها الناس إن أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عزّ وجل في بلاده، وارتضاه إماماً لعباده، وقد وَلاّني مِصْرَكم، وقسمة فيئِكم، وأمَرَني بإنصافِ مظلومكم، وإمضاءِ الحكمِ على ظالمكم، وصرفِ الثوابِ إلى المحسنِ البريء، والعقاب إلى العاصي المسيء، وأنا مُتّبِعٌ فيكم أمرَهُ، ومنفذ عليكم عهده،

وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاة، ومن خليفته المكافأة وأخْبِرُكم أنه قلّدني بسيفين حين تولّيته إيّايَ عليكم، سيف رحمة، وسيف عذابٍ ونقمة، فأمّا سيف الرحمة فسقط مِنّي في الطريق، وأمّا سيف النقمة فهو هذا.

فحصبه الناس، فلمّا أكثروا عليه خلع عماته، فوضعها على ركبته، فجعلت السيوف تبري الرقاب، فلما سمع الخارجون الكائنون على الأبواب وقيعة الدّاخلين. ورأوا تسارع الناس إلى الخروج، تلقّوهم بالسيوف، فردعوا الناس إلى جوف المسجد ولم يتركوا خارجاً يخرج، فقتل منهم بضعة وسبعين ألفاً، حتى سالت الدماء إلى باب المسجد، وإلى السكك).

وفيها قال أبو معشر في رواية تولية الحجاج على العراق التي مرت بنا: (لما قدم الحجاج البصرة، صعد المنبر، وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه. قال: فنعس على المنبر؛ وكان قد أحيا الليل، ثم تكلم بكلام - يعني الخطبة مادّةَ الذكر - فحصبوه، فرفع رأسه ثم قال: (إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها... فهابوه وكفوا؛ ثم كلمهم فحصبوه وأكثروا، فأمر بهم جنداً من أهلِ الشام، وكانوا قد أحاطوا به مِنْ حوله ومن حول أبواب المسجد...).

والروايتان تتمِّمْ كلٌّ منهما الأخرى وتكشفان دموية الحجاج وسيده ولا مبرر لها إلاّ الحقد على أهل العراق بسبب كونهم من رعايا دولة آل الزبير - تحت حكم مصعب بن الزبير - ليس إلاّ، ولكنهم في عرف عبد الملك كلهم مصعب وكلهم زبيريون فسلط الحجاج عليهم بسيف (النقمة) فعبد الملك في عرف الحجاج أمير استخلفه الله أو ليس قَدْ آلتْ إليه من أبيه مروان بن الحكم - خيط باطل، طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم نفاهما هو وأبوه الحكم إلى الطائف، حتى

حكم ابن عمه عثمان وأعادهما على المدينة مُعَزَّزَيْنِ مُكَرَّمَيْنِ - ومروان هو الآخر لم يصدق يوماً أن يكون خليفة لولم يرفض معاوية بن يزيد الخلافة، فالمصالح الباطنة والظاهرة مشتركة بين عبد الملك والحجاج!

بعد قتله سعيداً:

يــا رُبَّ ناكِــثِ بَيْعَتَــيْنِ تَرَكْتَــهُ　　وَخِــضابُ لِحْيَتِــهِ دَمُ الأَوْداجِ[١]

ويحاول الحجاج الظهورَ بمظهر الأمير الحكيم العادل الذي لا يرغب في سفك الدماء للوصول إلى مآربه بل يحاول كسب رضا الناس وهدم جدار الصمت والعزلة الذي فصل بينه وبينهم من أوّل أيام ولايته؛ فبعث يطلب سعيد بن جبير إمام قراء الكوفة[٢]، وشيخ مفسريها وخليفة ابن عباس، ويسلمه مئة ألف درهم يوزعها في أهل الحاجة[٣]، متيقناً ومعتمداً على ما عُرِفَ به سعيد من زهد وأمانة وتقوى وخبرة بأهل الكوفة كمحاولة من الحجاج لكسب قلوب القراء الذين كانوا يمثلون أخطر جهاز إعلامي ضدّ الأمويين في بيئة تميزت برفض الأمويين والثورة عليهم كلما هيأت الفرصة لذلك.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٦، ص٤٩٠؛ شرح ديوان جرير لمحمد بن إسماعيل الصاوي: ص٩٠، طبع القاهرة لسنة ١٣٥٣هـ.

(٢) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي: ص٣٨؛ تأسيس الشيعة للسيد حسن الصدر: ص٣٤٢.

(٣) وفيات الأعيان لابن خِلّكان: ج٢، ص١١٥.

## سعيد يصبح إماماً وقاضياً

لم يتوقف دهاء الحجاج عند الحد السابق بل حاول كسب الموالي وهم ألدُّ أعداء النظام الأموي الذي فرض الجزية عليهم بعد أن رفعها الإسلام عنهم(١).

وَلِيموِّهَ الحجاج الغرض الحقيقي، عين سعيد بن جبير إماماً للجماعة في المسجد الجامع في الكوفة؛ فكان أولَ مولىً يتولى مثل هذا المنصب، إذ كان وقفاً على العرب(٢).

ولم يكتفِ الحجاجُ بذلك بل ظل يُكثِرُ مِنْ استدعاء سعيد بن جبير فيجلسه بين رؤوس العرب مِنْ جُلاّسِهِ ليتسامروا(٣)، محاولاً بمكره هذا جَرَّهُ إلى صف الأمويين من جانب وإضفاء الصبغة المتدينة على سلوكه ساعياً لإسناد منصبه؛ ولّما لم يجد فيه رُوحَ الولاء والمساومة سعى إلى أسلوب آخر من المكر محاولاً إغراءَهُ بالمنصب؛ فولاّهُ القضاء(٤).

وهو منصب كانت تترك فيه الحرية للقاضي في تطبيق أحكام الشريعة

---

(١) المحاضرات لعبد الله الفياض: ص٩٥-٩٦.

(٢) المعارف لابن قتيبة: ص١٩٧.

(٣) المصدر السابق نفسه..

(٤) المصدر السابق نفسه.

الإسلامية فيما يشجر بين الناس اعتماداً على عدالة القاضي حيث لا يحق للوالي التدخُّل في شؤون القضاء؛ إلاّ أنّ هذه الحيلة باءت بالفشل لأنها استفزّت الأمويين وحَفّزَت أعـواهم لأن يَضِجّوا مُحْتَجِّينَ على فِعْلَةِ الحجاج وخطورة تسليمه مَنْصِبَ القضاء لغيرهم كون هذا المَنْصِب يُعَدُّ أخطرَ مَنْصِبٍ بعد مَنْصِبِ الوالي.

وهذا التمييز الطبقي يكشفَ لنا خطأ الحكم الذي ذهب إليه بعض الباحثين من أنّ (بعض الموالي كانوا يتسببون أحياناً في خلق روح الكراهية والعداء نحوهم[1]، مستشهدين بقصة سعيد بن جبير مع الحجاج، وكيف كان الحجاج يُحْسِنُ مُعاملة ابن جبير ومع ذلك خرج عليه مع ابن الأشعث[2]، وسبب الخطأ ليس في إطلاق هذا الحكم العام الذي لا يخو من مصداق بل الخطأ في سوء اختيار الشاهد وسوء الاستدلال والتعليل، ولو اختار الباحث مثلاً من (البرامكة) مع (هارون الرشيد) لَما بَعُدَ عن الصواب؛ أمّا أنّ الظالم إذا ما قَرَّبَ أحَدَ الأتقياء ووضعه في المَنْصِبِ الذي هو أهل له يكون قد أحسن إليه وعليه إذن أن يجاريه ويسكت على ظلمه وأن يكون تبعاً له، فهذا ما لا يرضاه منطق العدل؛ ولقد فات على الباحث إدراك حقيقة تقريب الحجاج بِهِ كسب رضا أهل الكوفة وهم رؤوس أهل العراق.

ولما أدرك الحجاج أنَّ فعلته أثارت فتنةً مزعزعةً لكيانِ حكمه تراجع وأخذ برأي القاضي السابق - شريح القاضي وكان قد طلب من الحجاج إعفاءه؛ فامتنع الحجاج قائلاً: (لا أعفيك أو تبغيني رجلاً). فأشار عليه شريح بأبي بُردة بن أبي

---

(١) الموالي في العصر الأموي لمحمد الطيب النجار: ص١٤٣، طبع القاهرة لسنة ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

(٢) الموالي في العصر الأموي للنجار: ص١٤٣.

موسى الأشعري ولكن الحجاج عين سعيداً بدله[١].

إلاّ أنّ الفتنة جعلته يعود عن رأيه ويستقضي أبا بُردة بن أبي موسى الأشعري - وهو عامر بن عبد الله بن قيس -[٢]، وشرط عليه أنْ لا يقطع أمراً ما لم يأخذ برأي سعيد[٣]، وأنْ يَتَّخذهُ كاتباً ووزيراً[٤].

وسعيد يقبل على مضض أن يكون مستشاراً في القضاء خَشية أن يتضاعف البلاء على الأمة فيما لو تركه بيد مَنْ يجهل أسراره.

وتمر الأيام وسعيد يَتحيّن ساعةَ الخلاص مما هو فيه؛ حيث كان يعيشُ في صراع بين ما يحتّمه واجبه الديني من مناهضة الظلم وإحقاق الحق وبين فقدان الحَوْلِ وقلة الجماعة وخنوع البعض - ولكن إلى حين - إذ تهيأت لسعيد فُرصة الجهاد في وقت تبلور وَنَمى عند الناس الاستعداد والدافع للثورة؛ وذلك لّما أراد الحجاج أن يضرب عصفورين بحجر حيث دفع أهل العراق لقتال (رتبيل) ملك الترك حين أعدّ منهم جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث، فأتاح لسعيد الفُرصة المواتية بأن جعله على الجند[٥]. وقد رصد الحجاج لهذه الحملة مبالغ طائلة تستوجب منه أن يشرف عليها رجل أمين مثل سعيد بن جبير.

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج١٢، كتاب السلطان، ص٦٢، طبع القاهرة لسنة ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

(٢) تاريخ الكوفة لحسين بن أحمد النراقي: ص٢٢٩، طبع النجف الأشرف لسنة ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.

(٣) المعارف لابن قتيبة: ص١٩٧؛ عيون الأخبار: ج١٢، ص٦٢.

(٤) البيان والتبيين للجاحظ: ج٣، ص٦٣.

(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠.

## سعيد يسهم في ثورة ابن الأشعث

في مبدأ ربيع الأول سنة ٨٢هـ ٧٠١م[١]، ثار العراقيون على الحكم الأموي مُغتَنِمِينَ الفُرصة بعد أن (استقطبت الأمور بينهم لأمور كثيرة منها ما لَهُ علاقة بالشؤون الإدارية ومنها ما له علاقة بالشؤون العسكرية[٢]، ومنها لدوافع دينية.

أما قائد الثورة فقد يكون ثار لدافع شخصي طمعاً بالعراق كما فعل ابن الزبير قبله؛ مُستغلاً ذكاءَه وَفطنته في توجيه دقّة الأمر لصالحه بشكل يبدو فيه وكأن ثورته إنما لإعادة الأمور إلى أصحابها.

ولأي من هذه الأسباب؛ فلقد أعلن الثورة ونادى بعزل الحجاج.

وقد صور سعيد حال أهل العراق وهم يعانون من حكم الأمويين تصويراً دقيقاً - وهو يخطب في قرّاء الكوفة يحثّهم على قتال بني أمية (وهم مَنْ تجبّر في الدين وأماتَ الصلاة واستغلوا الضعفاء)[٣].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٣٥٨؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨١؛ الدولة العربية وسقوطها ليوليوس فِلهاوزن: ص١٩٣، طبع دمشق لسنة ١٣٧٦هـ، ١٩٥٦م.

(٢) المحاضرات لعبد الله الفياض: ص٩٥-٩٦.

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٣٥٨.

## ظروف الثورة

لقد كان عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس قائداً ذكياً في ثورته؛ سواء أكان يسعى لتحقيق أغراضه أم لصالح الشعارات التي رفعها المحاربون الثائرون الساخطون على الحكم الأموي؛ ودليل ذكائه يظهر من تقديره وحسن تصرفه خلال المعركتين اللتين خاضهما ضد الحجاج.

اغتنم ابن الأشعث غياب الحجاج عن الكوفة فنادى بخلعه وأيَّدَه المحاربون ومنهم سعيد بن جبير[١].

وقدم الحجاج بجيشه من البصرة ودارت بين الحجاج وابن الأشعث المعركة في منطقة تسمى (الزاوية) في محرم الحرام عام ٨٢هـ[٢].

وكاد ينتصر ابن الأشعث وكادت أحلام وآمال أهل العراق بالخلاص من جور الأمويين تتحقق بعودة سؤددهم ومجد عزهم المسلوب؛ فلقد انهزم الحجاج أمام جيش أهل العراق في بداية المعركة؛ إلاّ أن انهزام ميمنة ابن الأشعث على يد (سفيان بن الأبرد الكلبي)[٣] - أحد قواد الحجاج - كان سبباً في تغيير كفّة المعركة فخارت العزائم وتوالت الهزائم في صفوف جيش ابن الأشعث.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

## الحجاج ينكث الأمان

وقد نادى الحجاج بالأمان فاجتمع إليه من المنهزمين من جيش ابن الأشعث (١١ ألفاً) فنكث الأمانَ وقتلهم صبراً[١].

ثم عاد الثوار فلملموا صفوفهم وَقَوَّوْا عُدَّتَهم وزادوا من عددهم بعودتهم إلى الكوفة، وعسكر الحجاج بدير (قُرّة) قريباً من الكوفة[٢]. على الضفة اليُمنى من الفرات ليسهل عليه الاتصال بالشام والتّموّن منها عن طريق (عين التمر) و(الفلاليج).

وخرج ابن الأشعث بجيش عظيم بلغ مئتي ألف مقاتل اجتمع فيهم الكثير من أهل الكوفة والبصرة والقرّاء وأهل الثغور والمسالح[٣]، واحتل معسكراً حصيناً قريباً من (دير الجماجم) - ولعله المسمى بـ(دير الجلجلة)[٤].

وبلغ مسامع عبد الملك بن مروان ما أعدّه ابن الأشعث للجولة الثانية من المعركة، فبعث بولده (عبد الله بن عبد الملك) مع أخيه (محمد بن مروان) يعرضان

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) الدولة العربية وسقوطها ليوليوس فلهاوزن: ص١٩٣.

على أهل العراق عَزْلَ الحجاج حقناً للدماء وأمرهما أن يُعيدا للعراقيين جرايَةَ العطاء كما يجرى على أهل الشام، واشترط على نفسه بأن يُوَلّي عبد الرحمن أيّ بلد ينزله؛ وإلاّ كان القتال، والحجاج يكون أمير الجماعة[١].

ولما بلغ ذلك عبد الرحمن بن الأشعث أدرك نجاح خطته فخطب في القوم يحثهم على القبول، لأنه أدرك أن الأمويين إنما رضخوا لهم لما هم فيه من عزّة وقوّة وهيبة؛ وقال: (واللهِ لازِلتم عليهم جُرَآءَ وعندهم أعزاء أبداً ما بقيتم إنْ أنتم قبلتم...)[٢].

ولكن الثوارَ - وخاصة كتيبة القراء - أصروا على الاستمرار في القتال لإسقاط السلطة الأموية في العراق، بعد أن وجدوا الضعف قَدْ دَبَّ في صفوف جيش الحجاج - مع ما وصلته من الإمدادات الكثيرة -.

ولم يَرَ ابن الأشعث بُدّاً من موافقة الثوار بعد أن تكشف لديه أن كتيبة القرّاء كانت هي القدوة والطليعة التي يسير الثوار بهدي رجالها.

فهؤلاء الأخيار الأتقياء أمثال (سعيد بن جبير وابو البحتري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى...)[٣] لم يكن إسهامهم في الثورة طمعاً في المنصب أو لمُساواتهم في ا(الجِرايَةِ) مع أهل الشام، بل حضروا القتال للجهاد وطلباً للآخرة؛ وهذا الموقف من قِبَل هؤلاء القراء ثبت وتأكد من خلال جَرَيانِ أحداثِ المعركة؛ فلقد كانت كتيبة القراء تحارب بروح معنوية عالية، كان لها أثر كبير في رجحان كفة الثوار مما حفّز الحجاج لأن يعبئ ثلاث كتائب وبعث عليها (الجراح بن عبد الله

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨٢.

الحكمي) - قائداً - فحملوا على القراء ثلاث حملات كل كتيبة تحمل حملة ثم تزوغ لتحمل الثانية والقراء لم يبرحوا، بل صبروا وحاربوا ببسالة وثبات[١].

وسعيد بن جبير يقاتل ويحرض الثوار على الاستبسال وهو يُبَيِّن لهم أهداف الثورة وشعارها لئلا يَضِلوا أو يخوروا: (... قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيّة ويقين، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء وإماتتهم الصلاة)[٢].

وإذا بالنداء يصل إلى شغاف القلوب لبلاغته وإصابته كَبِدَ الحقيقة التي كان يعيشها المسلمون تحت وطأة نير الحكم الأموي فيستبسل المقاتلون.

ويندفع إلى القتال باقي الكتائب العراقية بعزم وقوّة وبعضهم يخبر بعضاً عن بسالة كتيبة القراء وشجاعة شيوخها وعلى مقدمتهم قدوهم سعيد بن جبير.

ولما وجد الحجاج أن المعركة تميل إلى غير صالحه وأنّ كتيبة القراء ترهق قطعاته، وتضطره إلى تغيير خططه الحربية فيجند لها ثلاث كتائب على حساب باقي الجبهات دون جدوى حيث أن هذه الكتيبة لم تضعف ولم تتراجع بل بعثت العزم في باقي الكتائب للقتال بجرأة وشجاعة فائقة دوّخت جيش الحجاج وأوقعت في صفوفه الهوان والضعف والتشتت؛ عمد الحجاج إلى كسر شوكة كتيبة القراء لِيفلّ من عزم باقي المقاتلين فدفع جماعة من أعوانه لِينفَردوا بقائد كتيبة القراء (جبلة بن زحر ابن قيس الجعفي) ويقتلوه[٣].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٣٥٨.

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٨٢.

ونجحت الخطة؛ إذ أثَّرَ مقتل (جَبَلَة) تأثيراً كبيراً في عزيمة القراء لأنهم فقدوا التوجيه القيادي الذي يعتمد عليه أسلوب القتال حينذاك، فصاروا يتحركون في المعركة بصورة تفتقر إلى التوزيع والتنظيم؛ مما جعل كتائب الحجاج تتفوق عليهم وتكسر شوكتهم.

وترتب على انكسار شوكة (كتيبة القراء) انهيار في معنويات باقي الثوار، يُضاف له ما تخلل المعركة من مساومات ووعود ورشاوي لبعض قواد الكتائب الأخرى لتحريضهم على التخلي عن ابن الأشعث.

وبدأ انهيار جيش ابن الأشعث بهرب قائد ميسرة ابن الأشعث (الأبرد بن قرّة التميمي)[١] فتخاذلت الميسرةُ كلها، وبعدها بدأت قطعات الثوار تنهار الواحدة تِلو الأخرى وتشتّتت في ميدان المعركة؛ فأسِرَ مَنْ أسِرَ وهَرَبَ من استطاع الهرب.

أمّا الأسرى فقد أقام الحجاج محكمة دموية تقضي بشأنهم[٢]؛ ذهب ضحيتها الآلاف من الثوار نتيجة عدم أخذهم برأي قائدهم وقد كانت المبادرة بأيديهم.

وأما سعيد بن جبير فكان يعلم بما تنطوي عليهِ سريرة الحجاج؛ فلم يسلم نفسه وهرب بعد أن قُتِلَ ابنُ الأشعث[٣].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.



# الفصل الرابع
# اختفاء سعيد وعزلته

**تنقّله بين الأمصار**

**التقاؤه بإمام زمانه السجاد عليه السلام**

جمع الحجاج الأسرى وانتقم من الأحياء وقتلهم صبراً - وكان عدد من وثق بأمانه الكاذب أحد عشر ألفاً - وبعث من العيون من يفتس عن سعيد بن جبير ليأتي به إليه حياً أوْ مَيِّتاً؛ ولكنه لم يعثر عليه ولم يقف له على أثر؛ لأن سعيداً كان عالماً محبوباً عند الناس، ولقد استطاع سعيد بما وهبه الله من ذكاء أن يختار الأماكن المناسبة الأمينة لِيختفيَ فيها، كي لا تطاله عيون جلاوزة الحجاج أو تناله أيديهم. وكانت الأيام التي أعقبت المعركة مساعدة لسعيد على الهرب.

فالعراقيون لم يَنْسَوْا بَعْدُ أرواحَ الضحايا التي أبادها الحجاج صبراً؛ فكيف يهون عليهم التفريط بالبقية ممن نجا مِنْ بطش الحجاج ما دام لا يبتغي إلاّ التخفي والابتعاد عن عيون بني أمية. وإذا أخذنا بنظر الاعتبار منزلة سعيد وشهرته وتقواه ازْدَدْنا قناعة باحتمال مساعدة الكثيرين منهم له بالحماية والإجارة والمال ولوازم الترحال ليبلغ الوِجهة التي يقصدها.

# سعيد ينتقل بين الأمصار

## إلى أصبهان

مرّت الأيام على سعيد عصيبة وهو يقاسي مرارة فشل الثورة بعد أن تحوّلَ النصر إلى هزيمة وهو يعاني الكبْتَ ولوعة فراق الديار والأهل والأصحاب، متوجهاً إلى أصبهان.

وأصبهان هذه قد سبق أن دخلها سعيد قبل أن يلجأ إليها هارباً!

ولعله كان قد زارها لغرض غير (الحديث).

فالروايات تشير إلى أنه: (لمّا كان بأصبهان يسألونه عن الحديث فلا يُحدّث؛ فلما رجع إلى الكوفة حَدَّثَ، فلما سُئِلَ في ذلك قال: انشر بَزَّكَ حيث تُعرف)[١].

والدليل على أن سعيداً قد زار أصبهان من قبل، هو ما في هذه الرواية التي مرّت علينا من إشارة صريحة على عدم التحدث، بينما نجد روايات كثيرة رواها جماعة من أهل أصبهان بالتواتر عن سعيد منهم (جعفر بن أبي المغيرة وحُجر الأصبهاني ويزيد بن هزاري والقاسم بن أبي أيوب)[٢].

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٣.

(٢) ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: ج١، ص٣٢٤.

وهذه الروايات موثقة تكشف لنا حقيقة أنّ سعيداً قد بدأ الحديث في أصبهان لما دخلها هارباً، وأما الزيادة الأولى فلم يحدث فيها، ولعلها كانت له فيها إقامة قصيرة حيث تشير الروايات إلى أنه ارتحل عنها إلى العراق وسكن قرية سنبلان.

وبديهي فإنه ليس من المعقول أن يترك سعيد أصبهان بعد لجوئه إليها هرباً من بطش الحجاج ويعود إلى العراق ليكون تحت طائفة عيون الحجاج؛ كما لا يمكن أنْ نُسَلِّمَ بما ورد في الرواية الأولى من أنه (لّما رجع إلى الكوفة حدّث) إلاّ عَلى أنها كانت قبل اشتراك سعيد في الثورة، وإلاّ كيف يعقل أن يقع ذلك ويفلت سعيد من ملاحقة الحجاج وهو ذلك العلم الجهبذ المعروف، والذي لم يَفْتُرْ سَعي الحجاج يطلبه حثيثاً.

هذا شيء وهناك أشياء أخرى تدل على أن الحجاج قد علم عن طريق جواسيسه وضعاف النفوس ممن جعلوا من التقرب إلى السلطان عبادة فكان مثل هؤلاء عوناً للحجاج يخبرونه بمكان سعيد؛ حيث نجد فيما ورد عن المؤرخين أن الحجاج يكتب إلى عامله على أصبهان: (إنَّ سعيداً عندك فخذه)[١].

فيتحرج عامل الحجاج من القبض على سعيد فيطلب من سعيد راجياً إياه أن يترك أصبهان ويتحول عنه[٢].

ويبدو من واقع الحال والمعرفة بالرجال أنّ سعيداً حين لجأ إلى أصبهان كان مطمئناً إلى عاملها وطيبته وحماية أهلها، إذ تشير المصادر التأريخية إلى أنّ أهل أصبهان (بعد لجوء سعيد إليهم صاروا يَفِدون عليه لأخذ العلم عنه حيث كان

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

يصلي في المسجد المعروف بمسجد جُلجلة بن بديل التميمي)[(١)].

ومن كل ذلك يتبين للقارئ أن سعيداً لما هرب إلى أصبهان إنما كان عن معرفة سابقة بها؛ كما يتوضح له أيضاً الغموض الذي بدت عليه بعض الأخبار المروية عن هذه المرحلة من حياة سعيد وكأنها متعارضة والتي أوقعت بعض المؤرخين في الاشتباه والخلط في سرد الحوادث ودفعت البعض الآخر إلى الإحجام عن إعطاء الحكم القاطع في ذكر أخبار سعيد كقولهم: (لما هرب إلى أصبهان... ربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدّث)[(٢)].

وبالاستدلال المذكور نفسه نستطيع أن نطرح جانباً ما جاءت به بعض الأخبار التي ذهبت إلى (أنّ سعيداً لما انهزم ابن الأشعث لحق بمكة)[(٣)]، وذلك لأسباب عديدة منها: أن الفترة بين هرب سعيد من وجه الحجاج عام (٨٢هـ) وبين إلقاء القبض عليه عام (٩٥هـ) تبلغ ثلاثة عشر عاماً؛ وقد صَوَّرَ سَعيدُ ذلك أدقّ تصوير في يوم (عَرَفَه) قبل القبض عليه بيوم واحد لّما سُئِلَ عن المدة التي هرب فيها عن وجه الحجاج وفارق أهله فقال: (خرجت عن امرأتي وهي حامل فجاءني الذي في بطنها وقد خرج وجهه)[(٤)].

ومثل هذه المدة الطويلة لا يعقل أن يقضيها سعيد في مكة والحجاج لا يدري ولا يحرك ساكناً وعيونه تترصد أهل المواسم من المعتمرين والحاجّين! يضاف إلى ذلك الأدلة التاريخية التي مرّت علينا والتي تثبت أنّ سعيداً حدّث في أصبهان وكان

---

(١) ذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم: ج١، ص٣٢٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج٩، ص٩٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٣؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٣.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٠؛ تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٤، ص١٢.

له رواة عديدون وما خلق له هذا الأمر من مشاكل مما تسبب في انكشاف مكمنه وتوجه العيون إليه والحديث عنه في مجالس أصبهان الخاصّة والعامّة، وإلاّ كيف نفسر كتابة الحجاج إلى عامل أصبهان في شأنه لأخذه؟ وليس هذا فحسب بل لهذا الدليل ما يعضده ويتممه.

## في أذربيجان

حيث وجد سعيد أنّ بقاءه في أصبهان فيه خطر عليه وحرج على عاملها الذي آواهُ وأحسن إليه؛ تَنَحّى عنه وأتى إلى آذربيجان[١] - وهذه المدينة كانت قد فُتِحَتْ في حكومة عمر بن الخطاب وتولاّها الأشعث بن قيس والد عبد الرحمن بن الأشعث [٢].

وكانت كثير من القبائل العربية قد نزحت إليها في ولاية (الأشعث بن قيس) فأسكنَ حاضِرهَا (أردبيل) أهل العطاء والديوان ومَصَّرَها وبَنى مسجدها الجامع[٣].

واختارها سعيد مسكناً وملجأً له لسنين طويلة[٤] يتنقّل بين أمصارها مطمئناً إلى الحماية من قبل أهل عبد الرحمن بن الأشعث وقبيلته؛ يؤدي رسالته في نشر العلوم الدينية.

ثم رحل سعيد إلى خراسان لفترة وجيزة ولكنه لم يمكث فيها مدّة طويلة إذ عاد إلى أذربيجان؛ لأنه كان لا يسأله أحد هناك عن شيءٍ من العلم فكان يقول:

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠.

(٢) فتوح البلدان لأبي الحسن البلاذري: ص٣٢٤، طبع القاهرة لسنة ١٩٥٩م.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨.

(إنّ مِمّا يهمّني ما عندي من العلم وددتُ أنّ الناسَ أخذوه)[١].

وطال مقام سعيد في أذربيجان، ومرارة الحسرة والشوق إلى مكة المكرمة تحزّ في نفسه وهو الذي تعوّد أنْ يَفِدَ إلى مكة مرتين في العام، مرّة للحج وأخرى للعمرة أيام كان في الكوفة.

وفي يوم من الأيام طفح كيل الصبر عند سعيد حيث تاقت نفسه إلى مكة فدفعه الوجد والشوق إلى ترك الحيطة والحذر وشدّ الرحال إلى بيت الله الحرام فخرج من أذربيجان بقصد العمرة إلى مكة فإذا به يتشبث بها ويختارها مقاماً دائماً ولم يفارق بيت الله الحرام إلاّ إلى حتفه.

### في مكة المكرمة

وصل سعيد إلى مكة المكرمة في ولاية عمر بن عبد العزيز على الحجاز - أيام خلافة الوليد بن عبد الملك -[٢].

وكان قد لجأ إليها الكثير من أهل العراق ممن فرّوا إليها هرباً من ظلم الحجاج وعدوانه، لجأوا إلى الحجاز بعد أن اطمأنّوا إلى واليها (عمر بن عبد العزيز) وحمايته لهم[٣].

ومن هؤلاء (من اشترك في ثورة ابن الأشعث إلاّ أنهم كانوا يستخفون فلا يخبرون بأسمائهم[٤]. حذراً وخَشية أن يصل أمرهم إلى أعوان الحجاج فيظفروا بهم،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٩، ص٩٨.

(٢) العبر لابن خلدون: ج٣، ص٦٥، طبع القاهرة لسنة ١٣٨٤.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨.

أو خَشية التفريط بالحماية التي يتمتّعون بها هم وإخوانهم من الذين لجأوا إلى (عمر ابن عبد العزيز) الذي منع الحجاج عنهم[١].

من هذا الواقع نستشف أسباب الثورات على الحكام من قبل سعيد وأمثاله فالحجاج كان والياً للأمويين على العراق وكان جائراً فثار عليه أهل العراق وكان عمر بن عبد العزيز والياً للأمويين على الحجاز ولكنه عدل وأتقى الله فكان ملجأ للهاربين من جور الحجاج.

---

(١) العبر لابن خلدون: ج٣، ص٦٥.

## سعيد يتصل بإمام زِمانه علي بن الحسين عليهما السلام

في الحجاز كان سعيد بن جبير يتمتع بحماية خاصة من قبل (الوالي على الحجاز عمر بن عبد العزيز)، حيث تواترت الأخبار على: أن سعيد بن جبير كان يأتمّ بعلي بن الحسين عليه السلام وكان علي بن الحسين عليهما السلام يثني عليه، وأنه كان من أصحابه(١).

وَلَّما كنّا نعلم الظروف التي كان يعيشها الإمام عليه السلام والعيون التي كانت مبثوثة حوله من قبل الحكام الأمويين بالتعاقب من أيام (يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك) لِما له من شأن عظيم في الأمة؛ أمكننا أن نستنتج مما ورد عن اتصال سعيد بن جبير بعلي بن الحسين عليه السلام إنما على علم من (عمر بن عبد العزيز) وبتغاض منه متعمد.

نستدل على ذلك من كتاب يبعث به عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بن عبد الملك عام (٩٣هـ) يقص عليه أفعال الحجاج بالعراق وما هم فيه من ظلمه وعدوانه(٢).

---

(١) رجال الكشّي: ص١١٠، طبع كربلاء؛ رجال الطوسي: ٩٠-٩١؛ الاختصاص للمفيد: ص٢٠٥، طبع طهران لسنة ١٣٧٩هـ؛ منتهى المقال للحائري: ص١٤٦، طبع طهران لسنة ١٣٠٠هـ؛ جامع الرواة للأردبيلي: ج٤، ص٣٥٩؛ الاحتجاج للطبرسي: ص٣٥٥.

(٢) مقدمة العبر لابن خلدون: ج٣، ص٦٥.



# الفصل الخامس

# الحجاج ينشط في البحث عن سعيد

القبض على سعيد في مكة

سعيد في الطريق إلى واسط

قِصّة سعيد والراهب

وصل للحجاج خبر عن ظهور سعيد في صحبة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وائتمامه به فَجُنَّ جُنون الحجاج إذ وجد في ذلك تحدّياً من سعيد له، وهو الذي كان يرى في خُطَبِ سعيد أيام ثورة ابن الأشعث تصدر من لسان أحدّ كثيراً من سيوف ابن الأشعث عليه في دير الجماجم، فبعث العيون والجواسيس لكي يتقصّوا أثره ويعلموا مكان تواجده؛ ولم يألوا جهداً حتى حدّدوا له البيت الذي يسكن فيه(١).

ولكن الحجاج سكت على ضِغْنٍ ومضض، وأحجم عن أن يُقدِم على التعرض لسعيد بسوء وهو في كنف عمر بن عبد العزيز وحمايته؛ وظلّ متربصاً به الدوائر يتحين الفرصة ليظفر به وينال منه.

ثم تطورت الأمور إلى الحد الذي جعل الحجاج يتمادى في غيّه ويصل في حقده إلى حَدِّ تأليب (الوليد بن عبد الملك) على (عمر بن عبد العزيز) ويدفعه إلى عزل عمر بن عبد العزيز(٢)، خاصة بعد أن بلغه أن (عمر بن عبد العزيز) قد كتب كتاباً إلى (الوليد بن عبد الملك) يصف له فيه ظلم الحجاج وعدوانه، فازداد حقده

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٩٠.

(٢) مقدمة العبر لابن خلدون: ج٣، ص٦٥.

على (عمر بن عبد العزيز) - والحقد طبع متأصل في الحجاج باعترافه حين وصف نفسه لعبد الملك مرّة قائلاً: (أنا لجوج حسود حقود)[١] -.

ولكن الحجاج كما وصف نفسه مال إلى طبعه من اللجاجة والحسد والحقد وراح يكيد لعمر بن عبد العزيز عند الوليد بن عبد الملك بما أوتي من دهاء وقوة عبارة وسوء وذمة؛ فكان مما كتب إلى الوليد في عمر: (... إنّ كثيراً من المُرّاق وأهل الشقاق قد انجلوا عن العراق ولحقوا بالمدينة ومكة ومنعهم عمر، وذلك وهن...)[٢].

فاستجاب له الوليد وعزل (عمر بن عبد العزيز) عن ولاية الحجاز وَوَلّى مكانه (خالد بن عبد الله القسري) - وكان يوصف بأنه رجل سوء لا يؤتمن -[٣].

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج٣، ص٢٥٤.

(٢) مقدمة العبر لابن خلدون: ج٣، ص٦٥.

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٩٠؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠.

## القبض على سعيد في مكة

ولما بلغ أهل العراق ممن يتخفّون في مكة أنّ (خالد بن عبد الله القسري) صار والياً على الحجاز؛ جاء (مجاهد)[1] - عثمان بن عاصم الملقب بأبي حصين - إلى سعيد يرجوه أنْ يَضْعَنَ عن الحجاز خوفاً عليه من بطش خالد بن عبد الله القسري بعد أنْ ذهب من يحميه ولكن سعيداً أبى، وَرَدَّ قائلاً لمجاهد: (يا أبا حصين قدْ واللهِ فررت حتى استحييت من الله! سيجيئني ما كتب الله لي...)، فَرَدّ عليه مجاهد: (أظنك واللهِ سعيداً كما سمتك أمك...)[2].

وقدم خالد بن عبد الله القسري إلى الحجاز ومعه (عثمان بن حيان المرّي) واستلم ولايتها، ومعه أمر من الوليد بإخراج من بالحجاز من العراقيين من أهل العِراقَيْنِ وحملهم إلى الحجاج بن يوسف[3]. بعد أن كثر إلحاح الحجاج على الوليد راجياً إياه (أن يأخذ له في أهل العراق ممن لجأ إلى مكة والمدينة)[4].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠؛ تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي لأحمد بن يعقوب بن واضح الأخباري اليعقوبي: ج٣، ص٣٤، طبع النجف الأشرف لسنة ١٣٥٨هـ.

(٤) تاريخ الرسل والملوك: ج٦، ص٤٨٨.

فبعث خالد بن عبد الله القسري عثمان بن حيان المـرّي إلى المدينـة لإخـراج من بها من العراقيين[١].

فجلبهم هذا مكبّلين بالقيود، وتكفّل خالد مَنْ بمكّة من العراقيين؛ ولم يطـل به البحث عن سعيد فقد (وَشى به واشٍ فأخبرهم أنه يطـوف بالكعبـة، - وكانـت أيام عيد الأضحى - فقبض عليه مع عشرة من أصـحابه وأكملـوا الطـواف وهـم مقيّدون داخل الكعبة)[٢].

ولم يقاوم سعيد وهو في ثياب الإحـرام - وهـي لأمثالـه مـن الأتقيـاء كيـوم الحشر - فأوكل أمره إلى الله وأتمّ الطواف على تلـك الحـال ليؤخـذ بعـد ذلـك إلى والي الحجاز - خالد بن عبد الله القسري -.

فتحققت في سعيد وصحبه نبوءَةُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: (يُؤتى بقوم من ها هنا، يُقادون إلى حظـوظهم في الـسَّواجير) فقـال الجـاحظ وهو يشرح الحديث؛ (فأوتِيَ بسعيد بن جبير إلى الحجاج وفي عنقه سـاجور، وهـي زمارة القيد)[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٣، ص٣٤.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٤.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ: ج٣، ص٦٣.

## سعيد في الطريق إلى واسط

بعد أنْ تَمَّ القبض على سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار وطَلْق، مِنْ قبل خالد بن عبد الله القسري؛ أبقى منهم عمرو بن دينار وعَطاء لأنهما مكيّان وبعث بسعيد ومجاهد وطلق إلى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق)[١].

أما (طلق) فقد مات في الطريق وبقي سعيد ومجاهد مع الحرس.

والظاهر أنّ الحراس بعد موت (طلق) تكفل كل جماعة بأسير؛ لأننا لم نسمع عن (مجاهد - عثمان بن عاصم الملقب بأبي حصين -) شيئاً وهو في الطريق إلى الحجاج، بل كلُّ ما تذكره لنا الروايات المتوفرة هو أنه (حُبِسَ حتى مات الحجاج)[٢].

أمّا سعيد فقد نزل به حرسيّاهُ في مكان قرب (الرّبذة) وكان الوقت ليلاً فانطلق أحد الحرسين لحاجة وظل الثاني مع سعيد وهو مقيد القدمين.

وتَذْكُرُ بعض الروايات أنّ هذا الحارس غلبه النوم من التعب ووعثاء السفر ثم استيقظ بعد بُرهة مذعوراً يتبرّأ من دم سعيد، يعرض على سعيد الهرب، وسعيد

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠؛ تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨.

لم يُجِبْهُ إلى طلبه[١] حفاظاً على حياة الحارسين من بطش الحجاج ورغبة من سعيد عن الهرب.

ولما قدموا إلى الكوفة سمح الحرسيان لسعيد أن يبيت في داره؛ وعلم قراءُ الكوفة بذلك فدخلوا عليه فوجدوه يداعب بُنيّةً له وهي في حجره، وهم يحادثونه حتى طلع الصباح.

ولما قام إلى مصيره رأت الطفلة القيد في رجله فبكت؛ فَشَقّ على سعيد ذلك وقال لها مواسياً (أي بُنَيَّة لا تَطَيَّري)[٢].

وسار سعيد مع الحَرَسِيَّيْن وأهل الكوفة يشيعونه حتى عَبَرَ جِسْرَ الفرات باتجاه واسط ليلقى الحجاج[٣].

هذا ما كان من أمر سعيد بن جبير وهو في طريقه إلى الحجاج، وهو ما نُرَجِّحُهُ لاتفاق أغلب الروايات وتواترها في ذلك ولأنه من خلال التمحيص ينطبق مع واقع الحال وما ثبت عن سعيد وَمَلَلِهِ مِن الفرار وعدم مُبالاته عندما حذّره (مجاهد)، حتى قُبِضَ عليه وهو يطوف مع أصحابه بالكعبة، وتوفر الروايات في ذلك من عدة طرق.

أما ما رُوِيَ من روايات حول كيفيّة أخرى تم فيها القبض على سعيد بمساعدة (الراهب) وعدم دخول سعيد إلى داخل فناء الدير، وقصة حراسة اللبوة والأسد لسعيد وهو خارج الدير فهي روايات لا تتطابق مع واقع الحال ويرفضها منطق العقل؛ وإن تصورها البعض أنها من كرامات هذا الولي الشهيد

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) تاريخ الرسل والملوك: ج٦، ص٤٨٩؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠.

(٣) المصدر السابق نفسه.

قبل استشهاده فأقول؛ إنه قد مَرَّ القارئ الكريم على فصل (نتاجهِ الفكري) ما لسعيد من كرامات منها كرامة كونه مستجاب الدعاء منذ نعومة أظفاره إلى اللحظة التي دعا فيها على الحجاج أن لا يسلّطه الله على أحدٍ من بعده، وكرامة كهذه إذا ما قورنت بهذه الرواية لهي أعظم منزلة عند الله وأمضى تأثيراً في النفس وأقرب إلى حكم العقل، وأرسخ للعِبْرَةِ عند المؤمن حين يدرس تراثه الفكري ويجد أن شهيداً مظلوماً دعا على ظالمه فقتله الله بعده شر قتلة كما سنبين ذلك بعد هذا الفصل.

## قصّة سعيد والراهب واللبوة

إنّ هذه الرواية وإن بَدَتْ منسجمة ومقبولة عند البعض؛ إلاّ أنّها لا تصمد للمناقشة والتحليل وتبدو مليئة بالتناقضات التي تجعلها بعيدة عما ثبت عن سعيد وموقفه من الهرب ومع ما جرى له حقّاً وهو في الطريق إلى سيف الحجاج المتعطش للدماء.

ولا نريد طرح الرواية من البحث قبل ذكر تفاصيلها ومناقشة ما جاء فيها من أحداث ومقارنتها مع واقع الحال مع الإشارة إلى بعض الحقائق التي تدل على أنّ الرواية قد تغاضت وتغافلت عن حقائق كثيرة؛ لتعرض علينا بأسلوب قصصي شيق لا يخلو من إثارة بديعية سادت في العصور المتقدمة.

يقول الراوي: (- إنّ الحجاج بن يوسف لّما ذُكِرَ له سعيد بن جبير، أرسل إليه قائداً من أهل الشام من خاصة أصحابه يسمى (المتلمس بن الأحوص) ومعه عشرون رجلاً من أهل الشام؛ وبينما هم يطلبونه فإذا هم بـ(راهب) في صومعة له فسألوه عنه، فقال الراهب: صِفوة لي فوصفوه له فدلّهم.

فانطلقوا فوجدوه ساجداً يناجي بأعلى صوته فدنوا منه فسلموا عليه، فرفع رأسه فأتمَّ بقية صلاته ثم رَدَّ عليهم السلام. فقالوا: إنّا رسل الحجاج إليك فأجِبْهُ! قال: ولابُدَّ من الإجابة؟ قالوا: لابُدَّ من الإجابة.

فحمد اللهَ وأثنى عليه وصلى على نَبِيِّهِ ثم قام فمشى معهم حتى انتهى إلى دير الراهب...)[١].

إلى هنا ونتوقف قليلاً عن سرد القصة لنناقش بعض ما جاء في هذا الجزء منها مع مقارنتنا إياه بما ثبت من روايات القبض على سعيد وما تؤيده الوقائع التأريخية والتي منها ما عرفناه من المكاتبة بين الحجاج والوليد بن عبد الملك بشأن سعيد بن جبير وجماعته، وعزل الوليد لابن عمه عمر بن عبد العزيز بسبب ذلك وتولية خالد ابن عبد الله القسري، ثم كتابة الوليد إلى خالد كتاباً بالقبض على سعيد وجماعته[٢].

وقول الحجاج لّما جِيءَ بسعيد: (كنتُ أعرف حتى البيت الذي فيه في مكّة)[٣] - كما سنبينه في الفصل السادس - ومحاورة سعيد مع صديقه مجاهد وطوافه مقيداً، وما رُوِيَ عنه من قوله: (وشى بي واش في بلد الله الحرام، أَكِلْهُ إلى الله)[٤].

ومحاورة الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام لأبي حنيفة في شأن سَعيد لّما سأله عن قوله تعالى: ﴿ ...وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا... ﴾[٥]: «أيَّ موضع هذا؟»، قال أبو حنيفة: ذلك بيت الله الحرام، فقال عليه السلام: «نشدتكم باللّهِ هل تعلمون أنّ عبد اللّه بن الزبير وسعيد بن جبير دخلا فلم يأمنا»، قال أبو حنيفة: فاعفني يا بنَ رسول الله)[٦].

(١) حِلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩١.

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٨٨.

(٣) تاريخ الرسل والملوك: ج٦، ص٤٩٠.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٦) سفينة البحار للشيخ عباس القمّي: ج١، ص٦٢٢.

هذه وقائع حفظها لنا التاريخ بأمانة وهي بمجملها تتعارض مع ما ورد في صدر الرواية - كما أنها رواية آحاد - من (أنّ رسلَ الحجاج وجدوا راهباً في صومعة فسألوه عن سعيد، وطلب الراهب منهم أن يصفوه ليدلهم عليه، ثم انطلقوا فوجدوه).

هذا مع أنّ الرواية نفسها لم تسلم من التناقض؛ إذ كيف تسنّى لراهب في صومعة منقطع إلى الله يسهم في مثل هذا العمل، ثم كيف تفرغ هذا الراهب لشؤون الناس ليعرف أوصافهم ومنهم سعيد بن جبير بالذات؟ وأين يا ترى كانت صومعته؟ هل هي في مكة؟ أم في المدينة؟ مع علمنا بأن نصارى الحجاز نزحوا عنها وسكنوا فتوح الشام منذ حكومة عمر بن الخطاب؛ فكيف أُتِيحَ لراهب أن يسكن صومعة قرب مكة - وهي المكان الذي أجمعت الروايات على أن القبض على سعيد قدْ تَمَّ فيه؛ فكيف تتبعه هذا الراهب بهذه الدقة فحدّد لهم مكانه بمجرد أنْ وصوفه له!

وورد أيضاً في الرواية أنهم (دَنَوْا مِنْ سعيد فسلّموا عليه، فرفع رأسَه فأتَمَّ بقية صلاته، ثم ردّ عليهم السلام)[١].

وهذا ينافي أبسط آداب الصلاة، وهو أمرٌ لا يمكن أن يكون سعيد ممن يجهل أمره؛ وهو أنّ رَدَّ السلام واجب على الفرد أنْ يردَّه بمثل لفظه؛ فكيف يُسَلَّمُ على سعيد ولا يجيب إلاّ بعد إتمام الصلاة! ولو سلّمنا بحدوث ذلك نكون عندها قد وصمنا سعيداً بالجهل بأبسط الأحكام الشرعية!

وتستمر الرواية لتقول: (أنه بعد أن انتهى إلى دير الراهب؛ قال الراهب: يا معشر الفرسان! أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم! فقال لهم: اصعدوا الدير فإن اللبوة والأسد يأوِيان حول الدير، فعجلوا الدخول قبل المساء! ففعلوا ذلك، وابى سعيد أن يدخل الدير؛ فقالوا: ما نراك إلاّ وأنت تريد الهرب منا! قال: لا ولكن لا أدخل

(١) حِلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩١.

منزل مشرك أبداً. قالوا: فإنا لا نَدَعُكَ، فإن السباع تقتلك، قال سعيد: لا ضير إن معي ربي سيصرفها عني ويجعلها حرساً حولي يحرسونني من كل سوء إن شاء الله.

قالوا: فأنت من الأنبياء! قال: ما أنا من الأنبياء ولكن عبد من عبيد الله خاطئ مذنب.

قال الراهب: فليعطني ما أثق به على طمأنينته، فعرضوا على سعيد أن يعطي الراهب ما يريد. قال سعيد: إني أعطي العظيم الذي لا شريك له لا أبرح مكاني حتى أصبح إنْ شاء الله. فرضي الراهب ذلك...)[1].

وأهم ما يُناقش به هذا القسم من الرواية هو ما ورد على لسان الراهب قوله: (فليعطني ما أثق به على طمأنينته؟) تُرى؛ لِمَ يهتم الراهب بأخذ الضمان من سعيد أكثر من اهتمام الحراس بالأمر؟ حتى ليشعر المرء كأن صاحبنا حريص على تنفيذ أمر الحجاج أكثر من الحراس أنفسهم وهم كما تشير الرواية (خاصةِ الحجاج) فهو بهذا السلوك يعطي لنا صورة من هو مَلَكِي أكثر من الملك.

ومن جهة أخرى فإن موقف الحراس وقبولهم بقاء سعيد في الخارج هو الآخر يتناقض مع ما وصفتهم الرواية من اعتماد الحجاج عليهم واختيارهم من خاصته.

إذ كيف يتفق هذا مع السماح لسعيد بالبقاء خارج الدير - وهو الطريد الذي تجشموا العناء من أجل الوصول إليه وعليهم الحرص على حمايته حتى تسليمه إلى الحجاج؛ ومثل هذه المهمة الخطيرة لا تحتمل التهاون والمجازفة بالسجين إرضاءً لمشاعره، كما لا تتلاءم مع ما يبدو في سياق الرواية من اقتناعهم بأقوال سعيد، ومع ما تذكره الرواية - كما سيأتي - في سردها من تجشمهم مشقة السهر

---

(١) حِلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩١-٢٩٢.

وفي أيديهم القسي موتورة لينفرّوا السباع عن سعيد إذا ما أتت ليلاً!

إذ تذكر الرواية؛ أنّ الراهب قال لهم: (اصعدوا وأوتروا القسي لِتُنَفِّروا السباع عن هذا العبد الصالح)[١]. ثم إطلاق السهام (مساءً) بدقة وبسرعة تجعلهم قادرين على تخليص سعيد في آخر لحظة وقبل أن تتمكن براثن اللبوة منه دون احتمال إصابته بسهم طائش من حارس أرهقه المسير نهاراً ثم جاء ليكمله بالسهر ليلاً لا لشيءٍ إلاّ إرضاءً لرغبة أسيرٍ وُكِّلَ بتسليمه إلى الجلاد حيّاً!

ولعل الرواية قد هيأت بما مضى حصول هذا الفاصل الذي ختمت به الرواية؛ - وهو كما ورد في خاتمتها -: (وإن الراهب لّما رأى ذلك وأصبحوا؛ نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله محمد صلى الله عليه - وآله - وسلم ففسر سعيد ذلك كلّه فأسلم الراهب وحسن إسلامه. وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذي وطأه بالليل ليصلّوا عليه)[٢]. ولا أدري لما التراب الذي وطأه بالليل دون التراب الذي وطأه بالنهار!!!

وهنا يلاحظ القارئ كلاماً مدبّجاً لا يحوي إلاّ صوراً فيها من الإيغال في المبالغة لطمس معالم حقيقية أراد بنو أمية وصنيعتهم الحجاج أن تُنسى؛ (فَبَيْتُ الله الذي من دخله كان آمناً هدمَه الحجاج على ابن الزبير إرضاءً لعبد الملك فلم يأمن ابن الزبير فيه من بطش الحجاج عام (٦٨هـ)، ولا أمِنَ سعيد يوم لجأ إليه وأسروه وصحبه وقيدوه، وأتم طوافه مقيداً واقتيد إلى الحجاج على تلك الحال) فَهُمْ مَنْ دَفَعَ المالَ لوعاظ السلاطين ليختلقوا هذه القصة وسوّقوها بدلاً عن الحقيقة المرّة التي كانت وصمة عارٍ لحكمهم الجائر! والقصة على ما جاء فيها نرى فيها الكثير مما

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ص٢٩٢.

(٢) المصدر السابق نفسه.

لا يرضى به سعيد وهو المؤمن العارف بأحكام دينه.

فكيف يرضى أن تُقَبَّلَ يداه ورجلاه وأن يُصَلّى على التراب الذي وطأه بالليل - وهذا طبعاً يستلزم البحث والتنقيب لئلا يختلط بالتراب الذي وطأه الأسد ولبوته وما تناثر عليه من بعض شعرهما النجس طبعاً لكونهما مفترسين! دعك عما التصق بملابس سعيد لّما تمسحا به تبركاً!

وهذا كله مما يتنافى وسيرة هذا العبد الصالح الذي أُخذ مقيداً بملابس الإحرام من جوف المسجد الحرام وهو يطوف حول الكعبة، هذه الحقيقة ثبتت وستبقى تصور بُعْدَ الحجاج وأسياده عن روح الإسلام؛ نَعَمْ فالملك عقيم والمال موفور لمن يقف على أعتاب الملوك ليزوّق ما يتعارض من أعمالهم مع شرع الإسلام!!!

ثم تسرد الرواية ما يجعلها مقبولة لدى القارئ:

فيقولون له: (... يا سعيد قد حَلّفَنا الحجاج بالطلاق والعتاق، إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نُشْخِصُكَ إليه فمُرنا بما شئت)[١].

ولا أدري كيف رضي من حلف بالطلاق والعتاق أن يعرّض بأسيره ليتأكد بعد ذلك من أنه سيتخلص من براثن اللبوة والأسد وهم ينظرون!!!

وتستمر الرواية: (... ويقول لهم سعيد: امضوا لأمركم فإنّي لائذٌ بخالقي ولا رادَّ لقضائه، فساروا حتى بلغوا واسطاً)[٢].

وهنا سيستنتج القارئ أن التسليم بهذه الرواية ينسف ويُسقط كل الوقائع التاريخية التي حدثت لسعيد في الكوفة بشهادة جمهور قرّائها.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٢.

وتستمر الرواية، فيقول الراوي: (... فلما انتهوا إليها - أي واسط - قال لهم سعيد: يا معشر القوم، قد تحرمت بكم وبصحبتكم ولست أشك أنّ أجلي قد حضر، وأن المدّة قد انقضت؛ فدعوني الليلة آخذاً أهبة الموت وأستعد لِمُنْكر ونكير وأذكر عذاب القبر وما يُحثى عَلَيَّ من التراب فإذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم الموضع الذي تريدون)(١).

ثم يعود الراوي الذي روى على لسان الحرس ثقتهم بسعيد (...فمرنا بما شئت) فيشكك بسعيد الذي تَحرَّمَ بهم وبصحبتهم... والذي ما خافوا عليه أن يأكله - الأسد - ويضع الرّاوي على لسان بعضهم ردّاً ينافي ما قبله إذ يقول: (... قال بعضهم: لا نريد أثراً بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتم أملكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه. فقال بعضهم: يعطيكم ما أعطى الراهب، ويلكم أما لكم عبرة بالأسد كيف تحاكت به وتمسّحت به وحرسته إلى الصباح، فقال بعضهم: هو عَلَيَّ أدفعه إليكم إن شاء الله)(٢).

وهنا يلاحظ القارئ صورة عدم اتفاقهم بشأنه تجافي اتفاقهم في الدير ويومئذ كان الموقف أكثر خطراً!

وتعود القصة فتصور لنا اتفاقهم مرة أخرى فيقول الراوي: (فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه وشعث رأسه واغبرَّ لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه؛ فقالوا بجماعتهم: يا خير أهل الأرض، ليتَنا لم نعرفك ولم نسرح إليك! الويل لنا طويلاً، كيف ابتلينا بك! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر فإنه القاضي الأكبر والعدل الذي لا يجور.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

فقال سعيد: ما أعذرني لكم وأرضاني لما سبق من علم الله تعالى فِيَّ، فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة والكلام بينهم - [وهي صورة لا تتفق وخاصّة الحجاج!] - قال كفيله: أسألك بالله لما زوّدتنا من دعائك وكلامك، فإنّا لن نلقى مثلك أبداً ولا نرى أنّا نلتقي إلى يوم القيامة)[١].

ثم يقول الراوي: (... ففعل سعيد ذلك؛ فَخَلَّوْا سبيله، فغسل رأسَه ومدرعتَه وكساءَه وهم مِختفون اللّيلَ كله، ينادون بالويل [والثبور] واللهف، فلما انشقّ عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب)[٢].

وهذه الصورة تبين وكما يبدو من وقائعها أنهم في مدينة أو حَضَر مثل واسط وكل ذلك يحدث وسعيد يتصرف على راحته - وعلى مسؤولية الحراس - والحجاج وعيونه في غفلة. ويستمر الراوي يصور لنا الموقف بعد أن (قرع سعيد الباب): (... قالوا: صاحبكم وربّ الكعبة؛ فنزلوا إليه وبكوا معه طويلاً؛ ثم ذهبوا به إلى الحجاج وآخَرَ معه)[٣].

وفي نهاية الرواية فقط نسمع بـ(الآخر) مع سعيد، ولعل الراوي أراد أن يكمل الصورة لتبدو أقرب للواقع بعد أن أشارت أغلب الروايات المتواترة إلى أنّ هناك الكثير من العراقيين من قبض عليه مع سعيد وهم يطوفون بالكعبة وأن من عاش منهم رافقه إلى سجن الحجاج في سراديب واسط ومنهم صديقه مجاهد ومنهم عامر الشعبي؛ وقد ذكرنا أن (طلق) قد مات في الطريق، فلم يشأ الراوي نفيها لتبدو روايته مقبولة؛ ولم ينسَ الراوي أن يضع لرواية (اللبوة والأسد) نهاية

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٢-٢٩٣.

(٢) حلية الأولياء: ج٤، ص٢٩٣.

(٣) المصدر السابق نفسه.

مناسبة إذ يقول: (فدخلا على الحجاج؛ فقال الحجاج: أتيتموني بسعيد بن جبير؟ قالوا: نعم؛ وعايَنّا منه العجب. فصرف بوجهه عنهم، فقال: أَدْخِلُوهُ عَلَيَّ.

فخرج (المتلمس) فقال لسعيد: استودعتك اللهَ وأقرأ عليك السلام فادخل عليه)[١].

ثم يربط صاحب هذه الرواية نهايتها بالمحاورة المشهورة التي جَرَتْ بين سعيد والحجاج من سؤاله عن اسمه وردّه: أنا سعيد بن جبير، وقول الحجاج له: (أنت شقي بن كسير) كل ذلك ليسبغ على الرواية رداً تبدو به وكأنها رواية صحيحة حقيقية صادقة لا مجال لإنكارها أو نفيها.

وما أكثر ما دست من الروايات المدلّسة خدمة للسلاطين. ولا أعلّق بأكثر من ذلك وأترك الحكم للقارئ وهواه في أن يأخذ بها أو يرفضها وأنّي ما ذكرت هذه الرواية ولا أخضعتها لعلم الجرح والتعديل إلاّ لأثبت نزاهة سعيد وترفعه عمّا نُسِبَ إليه كيف تطمس معالم جريمة تاريخية لا تغتفر حين يتجرأ حاكم على بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمناً؛ فيقبض على عباد الله في بيته وقد رأينا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ماذا صَنَعَ لّما فتح الله له مكة في ساعة من الزمن؟.

ولكي يقارن القارئ بنفسه بين من هدم الكعبة على ابن الزبير وقتله فيها وصلبه، وبعده تجرأ وأخذ سعيد بن جبير وهو مُحْرِمٌ في الطواف مُصَفّداً بالأغلال - ويُمَجِّدُه وعاظ السلاطين وبين ما فعله رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بأعداء اللهِ في بيت الله في يوم الفتح، تقول مصادر السيرة عن فتح مكة: (وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة حين صلى العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان، وقيل لعرش مضين، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) المصدر السابق نفسه.

والمسلمون صائمين حتى إذا كانوا بالكَدِيد - وهو موضع بالحجاز على بعد اثنين وأربعين ميلاً من مكة بين (عسفان وأمج))[١].

أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الموضع وأمَرَ الناس فأفطروا، وبلغه أنّ قوماً لم يُفطِروا، فقال: أولئك العصاة[٢].

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولقيه العباس بن عبد المطلب بذي الحُليفةِ - قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة منها ميقات أهل المدينة[٣] -.

وكان العباسُ مهاجراً، فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يُرسلَ رَحْلَه إلى المدينة ويعودَ مَعَهُ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناحية (مَرِّ الظَّهران)[٤] في عشرة آلاف فارس مِنْ بني غفار أربعمائة، وسائرهم من المهاجرين والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب ثم من تميم وأسد وقيس)[٥].

(ودخل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مكة ودخل أصحابه من أربعة مواضع وأحلّها الله له ساعة من نهار)[٦].

(ولما دخل رسول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مكة كانت عليه عِمَّةٌ سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: لا إله إلاّ اللهُ وحده وحده صدق وعده

---

(١) السيرة النبوية للسيد سامي البدري: هامش ص١٧٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ص٥٨؛ السيرة النبوية للبدري: هامش ص١٧٨؛ إمتاع الأسماع للمقريزي: ص٣٦٥؛ صحيح مسلم: ج١، كتاب الأصنام، حديث ٧٨٤.

(٣) السيرة النبوية للسيد سامي البدري: ص١٧٨.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠؛ السيرة النبوية للسيد سامي البدري: ص١٧٨.

(٦) السيرة النبوية للسيد سامي البدري: ص١٧٨.

ونصر عبده وهزم الأحزابَ وحده)[١].

(ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، فعفا عنهم فلذلك سُمِّيَ أهل مكة الطلقاء)[٢].

(ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا وإنَّ مكةَ مُحَرَّمَةٌ بحرمةِ اللهِ لم تحل لأحد من قبلي ولا تحل لأحد مِنْ بعدي، وإنما حُلَّتْ لي ساعة ثم أغلِقتْ فهي محرمةٌ إلى يوم القيامة)[٣].

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه سنته وقارن بين فعله وبين ذلك الجندي المرتزق المغمور - الحجاج بين يوسف الثقفي - يوم عصى اللهَ ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأبدى استعدادهُ لحرق البيت الحرام على ابن الزبير إن ولاّه عبد الملك بن مروان قيادة الجيش الذي أبى قائده أن يعصيَ اللهَ ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم إرضاءً للسلطان ونزواته وتخلى عن القيام بهذا العمل المحبط للأعمال وترك القيادة فكانت فرصة للحجاج المغمور أن يبرز قائداً مخلصاً للسلطان على حساب دينه وعقيدته، ثم يأتي بعد حين (والي الحجاز للوليد ابن عبد الملك المدعو خالد بن عبد الله القسري) فيضرب بقول الله تعالى بحق بيته المعظم: (من دخله كان آمناً) عرض الحائط فيلقي القبض على سعيد وجماعته أثناء الطواف ويكبلهم بالقيود، فَيُتمّون الطواف مكبلين، ثم يبعث بهم إلى الحجاج على الحالة التي ذكرنا.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) السيرة النبوية للسيد سامي البدري: ص١٧٨.

(٣) المصدر السابق نفسه.



# الفصل السادس

# سعيد بين يدي الحجّاج

المحاورة بين سعيد والحجاج

الحجاج بعد أنْ قتل سعيداً

لّما وصل الحرسيان بسعيد إلى واسط قادمين من الكوفة؛ نقلاه إلى حبس الحجاج، وبقي فيه عدة أيام قبل أن يأمر الحجاج باستدعائه - وكان قد شيَّعَهُ بعض أهله وأصحابه من الكوفة إلى واسط منهم خالةٌ له استطاعت أن تزوره في حبسه، وكان أول عمل قامت به نحوه أنْ قَبّلَتْ يده[1].

ولّما أخرجوهُ من السجن هو وأصحابه وجماعة من السجناء، رآه أحد أصحابه - وهو الربيع بن أبي صالح - فبكى على حال سعيد وهو يراه موثقاً.

فقال له سعيد: (ما يبكيك؟ فقال له: الذي أرى بك قال: فلا تبك؛ فإنّ هذا كان في علم الله تعالى، ثم قرأ: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا... } [2])[3].

وأدْخِلَ سعيد بن جبير وعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله الشخّير؛ وكان الحجاج يطرح عليهم هذا السؤال:

(أكافر أنت أم مؤمن؟). فمن قال بالكفر عفا عنه، ومن قال مؤمن قتله.

---

(١) تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز بحشل: ص١٠٠، طبع بغداد لسنة ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٢.

(٣) تاريخ واسط لأسلم بن سهل: ص٩٩؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٤.

وكان أول من تقدم للإجابة عامر الشعبي حيث قال: (أصلح اللهُ الأمير، نَبا بِنا المنزل واجدب بنا الجناب واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر وخبطتنا فتنة لم نكن بها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء).

فقال الحجاج: صدق والله ما برّوا بخروجهم علينا ولا قووا؛ ثم أخلى سبيله.

وتقدم (مطرف بن عبد الله الشخيّر) بعد أن سأله الحجاج السؤال نفسه؛ فردّ قائلاً: (أصلح اللهُ الأمير؛ إن مَنْ شق العصا ونكث البيعة وفارق الجماعة وأخاف المسلمين لجدير بالكفر).

فقال الحجاج: (صدق، خلّيا عنه)[١].

أما سعيد فقد استمر الحجاج يحاوره أكثر من ساعة قبل أن يأمر بقتله[٢].

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٦، ص٢٦٤.

## المحاورة بين سعيد والحجاج

لقد وَجَدْتُ بعد دراسة مصادر عديدة متنوعة؛ أن بعض المؤرخين كان يختار قسماً منها ويترك قسماً، أوْ يأتي مؤرخ فَيُدَوِّنُ قسماً من المحاورة عن مؤرخ قبله ثم يضيف تكملة لها من مؤرخ آخر؛ كما فعل (ابن خلكان) في كتابه (وفيّات الأعيان) حين نقل عن أبي نعيم والطبري والمسعودي وكما قام به ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) من نقل حرفي عن كتاب الطبري (تاريخ الرسل والملوك).

ولأهمية هذه (المحاورة) تاريخياً، وجدتني - بعد تحقيق ومقارنة ما ورد منها في المصادر التي اعتمدتها في بحثي - أعمل على تقسيمها إلى مجموعات ليتسنى لي استخلاص الرواية الصحيحة منها.

فجعلت أساسَ المجموعة الأولى ما ورد في كتاب (حِلية الأولياء) لأبي نعيم وقابلتها بكتاب (مروج الذهب) للمسعودي وكتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان، وهذه المجموعة تناولت المحاورة من جانب معين.

وأما (المجموعة الثانية) التي تتناول (المحاورة) من جانب آخر، فقد جعلت أساسها ما أخذه ابن الأثير في (الكامل في التاريخ) نقلاً عن (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، وقابلتها مع كتاب (المعارف) لابن قتيبة وكتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان - في رواية ثانية أيضاً -.

وهناك ملاحظة لابد من الإشارة إليها وهي أنّي وجدت أن ابن خلكان قد أخذ الروايتين بنصهما عن (حلية الأولياء) لأبي نعيم وأبو نعيم هو الآخر اعتمد في نقله على (تاريخ الرسل والملوك) للطبري وجاء ابن الأثير بعده فجمع روايات الطبري في رواية واحدة في كتابه (الكامل في التاريخ) وقارنت ذلك بما جاء في (الإمامة والسياسة) ولذا سوف أذكر من المحاورة ما ترجَّح ذكره عند الرواية، وسوف أشير إلى المصدر الذي انتهت عنده العبارة؛ أو اشترك الراوي فيها مع غيره وسوف أذكر ما يُخَالفه في الحاشية بعد التعليق على كل مجموعة ليتسنّى للقارئ مسايرة البحث في استخلاص المحاورة الأصلية من مجموع المناقشة العامة إذ قد يشاركني الرأي أو يخرج هو برأي يخالف ما أخرج به أنا من ذلك!

### المجموعة الأولى

والرواية الأساس كما أسلفت هي عن (حِلية الأولياء)[١]، مقابلة بما في (مروج الذَهب)[٢] للمسعودي، وبما في (وفيات الأعيان)[٣] لابن خلكان.

وتبدأ هذه المجموعة بسؤال الحجاج لسعيد بن جبير: (ما اسمك؟ قال: سعيد ابن جبير.

قال: بل أنت شقي بن كسير.

قال: كانت أمي أعلم باسمي منك[٤].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٤، ص٢٩٣-٢٩٥.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٤-١١٥.

(٤) في نسخة (مروج الذهب) قال: (كان أبي أعلم باسمي منك). انظر: ج٣، ص١٠٢.

قال: شَقِيتَ وشَقِيَتْ أمك[١].

قال: الغيب يعلمه غيرك.

قال: لأبدلَنَّك ناراً تلظى.

قال: لو عملتُ أنّ ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً.

(قال فما قولك في محمد؟ قال: نبي الرحمة وإمام الهدى)[٢].

---

(١) لقد اتفقت أغلب روايات المجموعة الأولى على هذا المقطع من النص وإن اختلفت في الجزئيات، كما في رواية (الكشّي) في كتابه (الرجال): ص١٠٠، حيث جاء فيها: (... قال: كانت أمي أعلم باسمي؛ سمّتني سعيد بن جبير. قال: ما تقول في أبي بكر وعمر...) ثم يعود النص الأصلي حتى ينتهي بقول سعيد: (لم أحب أن أكذبك)، وعنه أخذ الطبري في الاحتجاج: ص٣٥٥-٣٥٦، وعند ابن عبد ربه، (قال: شقِيتَ وشَقِيَتْ أمك. قال: الشقاء لأهل النار. قال: أكافرٌ أنت أم مؤمن. قال: ما كفرتُ بالله منذ آمنتُ به. قال: اضربوا عنقه). العقد الفريد: ج٣، ص٢٥٧.

ووردت زيادة على النص عند أبي نعيم في (حلية الأولياء): ج٤، ص٢٩٣-٢٩٤، ارتأيتُ أن أدرجها هنا في الهامش لعدم قناعتي بمطابقتها لواقع الحال والذي دفعني إلى ذلك هو أنَّ هذه الزيادة لم ترد عند المسعودي مع أنه أقدم عهداً من أبي نعيم وهذه الزيادة هي قول الحجاج لسعيد: (... فما بالك لم تضحك؟ قال: وكيف يضحك مخلوق خُلِقَ من طين والطين تأكله النار؟ قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تَستوِ القلوب. ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه. فقال سعيد: إنْ كُنْتَ جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح، وإلاّ ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيءٍ جمع للدنيا إلاّ ما طاب وزكا. ثم دعا الحجاج بالعود والناي؛ فلما ضُرِبَ بالعود ونُفِخَ في الناي، بكى سعيد. فقال: ما يبكيك! أهو اللعب! قال سعيد: هو الحزن؛ أمّا النفخ فذكّرني يوماً عظيماً، يوم النفخ في الصور، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق، وأما الأوتار فمعاء الشّاء تبعث معها يوم القيامة. قال الحجاج: ويلك يا سعيد. قال: الويل لمن زُحْزِحَ عن الجنة وأدخل النار). الحلية. انظر: الإمامة والسياسة: ج٢، ص٤٢-٤٣.

(٢) لقد انفرد ابن خلكان بهذه العبارة بين القوسين وهي غير موجودة في كتاب (حِلية الأولياء) لأبي نعيم الأصبهاني ولا في (مروج الذهب) للمسعودي، ولا في الإمامة والسياسة (لابن قتيبة).

قال: ما قولك في علي؛ أهو في الجنة أو في النار؟[١].

قال: لو دخلتُها وَعَرَفْتُ مَنْ فيها، عَرَفْتُ أهلها.

قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لستُ عليهم بوكيل.

قال: فأيُّهُمْ أحَبُّ إليك؟ قال: أرضاهم للخالق.

قال: فأيهم أرضى للخالق؟

قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرَّهُمْ ونَجْواهم.

قال: أبيت أن تصدقني! قال: لم أحب أن أكَذِبَك[٢].

قال الحجاج: فاختر أيَّ قتلة أقلتك!

قال سعيد: اختر لِنَفْسِكَ يا حجاج[٣]، فو اللهِ ما تقتلني[٤] قتلة إلاّ قتلك الله مثلَها في الآخرة.

قال: أفتريد أنْ أعفوَ عنك؟

قال: إن كان العفو فمن الله. وأمّا أنت فلا براءة لك ولا عذر[٥].

قال الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه، فلما خرج من الباب ضحك. فأخبِرَ الحجاج بذلك فأمر بِرَدِّهِ وقال: ما أضحك؟

---

(١) وفي الرجال للكشّي: ص١١٠؛ وفي الاحتجاج للطبرسي: ص٣٥٥-٣٥٦، توجد زيادة: (فما قولك في أبي بكر وعمر أهما في الجنة أو في النار؟ قال لي).

(٢) إلى هذا الحد ومصادر المجموعة تتطابق في نص الرواية.

(٣) وفي مروج الذهب: ج٣، ص١٠٢ (اختر يا شقي لنفسك...).

(٤) وفي مروج الذهب: ج٣، ص١٠٢ (ما تقتلني اليوم قتلة...).

(٥) العبارة لم يذكرها المسعودي في مروج الذهب.

قال: عجبت من جرأتِك على الله وحلم الله عنك[١]. (فأمر الحجاج بالنِّطع فَبُسِطَ، فقال: اقتلوه.

فقال سعيد: (وجّهتُ وجهيَ للذي فَطَرَ السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين.

قال: شدّوا به لغير القبلة[٢].

قال سعيد: فأينما تُوَلوا فثم وجه الله.

قال: كُبُّوهُ لِوَجْهِهِ.

قال سعيد: منها خلقناكم وفيها نعيدُكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)[٣].

قال الحجاج: اذبحوه. قال سعيد: أما إنّي أشهد وأحاج[٤] أن لا إله إلاّ الله وحدهُ لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله[٥]. خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة، ثم دعا سعيد اللهَ فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. فَذُبِحَ على النطع رحمه الله[٦].

ولم يعش الحجاج بعده إلاّ خَمس عشرة ليلة حتى وقعت في جوفه الأكلة[٧]

(١) إلى هنا والنص متطابق بين مروج الذهب والحلية والوفيات.

(٢) وفي وفيات الأعيان جاء بدل (شدّوا) (وجهوا): ج٢، ص١١٤.

(٣) العبارة بين القوسين الكبيرين لم ترد في مروج الذهب: ج٣، ص١٠٣.

(٤) كلمة (واحاج) لم ترد في (مروج الذهب) ولا (الوفيات).

(٥) وفي مروج الذهب: ج٣، ص١٠٣ (... وإن الحجاج غير مؤمن بالله. اللهم لا تسلط...).

(٦) وفي مروج الذهب: ج٣، ص١٠٣ (فذُبِحَ واحتزّ رأسه) وفي الوفيات: ج٢، ص١١٥، وكان قتله في شعبان سنة (٩٥هـ) ومات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة المذكورة، ولم يسلطه الله عز وجل بعد على قتل أحد إلى أن مات.

(٧) هنا تتفق (الحلية): ج٤، ص٢٩٤، مع (مروج الذهب): ج٣، ص١٠٣، وفي المروج تختم الرواية بقول ←

في بطنه فدعا بالطبيب لينظر إليه فنظر ثم دعا بلحمٍ مُنْتِنٍ فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقه فتركها ساعة ثم استخرجها وقد لزق به من الدم، فعلم أنه ليس بِناجٍ.

وظل ينادي بقية حياته: ما لي ولسعيد بن جبير، كما أردت النوم أخذ برجلي)[١]. - انتهى ما ورد في المجموعة الأولى -.

والآن لو أعدنا النظر فيما ورد في (المجموعة الأولى) لوجدنا أنّ الموقف تغلب عليه المحاورات الكلامية التي تظهر الحجاج وهو يحاكم سعيد بن جبير محاكمة يسأله فيها أسئلة خارجة عن سياق المحاكمة التي يتطلبها الموقف خاصة لشخصية مثل سعيد بن جبير!

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار العلاقة السابقة التي كانت تربط بين سعيد والحجاج، ودهاء الحجاج الذي يجعلنا لا نُسَلِّم بأنه يترك الحديث عن التهمة التي من أجلها جازف بمنصبه وأوغر قلب الوليد بن عبد الملك على ابن عمه عمر بن عبد العزيز والي الحجاز الذي كان سعيد وأصحابه قد لجأوا إليه، والحجاج فعل ما فعل ليتمكن من القبض على سعيد، كل ذلك ومن ثَمَّ نجد الحجاج يحاور سعيداً في أمور يعلم هو سلفاً ما هو موقف سعيد منها - كَسُؤاله عن رأيه بمحمد رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم ومع ذلك لانقطع بعدم حدوث مثل هكذا حوار، ولكن بعد الترجيح بأن واقع العمران وسلامة المنطق يجعلنا نميل إلى أن المحاكمة بدأت كما ورد في (المجموعة الثانية) مع احتمال حدوث مثل ما جاء في (المجموعة الأولى) ضمن (المجموعة الثانية).

---

المسعودي: (... فمات من ذلك، ويُروى أنه كان يقول بعد قتل سعيد: يا قوم؛ ما لي ولسعيد بن جبير كلما عزت على النوم أخذ بحلقي).

(١) لم يذكرها ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، انظر: ج٢، ص٤٤.

والذي يدفعني لأن أرجّح ما ورد في (المحاورة) التي ذكرتها مصادر المجموعة الثانية، هو ما سيجده القارئ من التسلسل المنطقي لأحداثها وانسجامه مع ما يتوقعه القارئ من محاكمة الحجاج لسعيد، بعد أن اطّلع على سير الأحداث في الفصول السابقة.

**المجموعة الثانية**

وهذه المصادر تتكون مؤتلفة مما جاء في كتاب (المعارف) لابن قتيبة و(تاريخ الرسل والملوك) للطبري و(الكامل في التاريخ) لابن الأثير و(وفيات الأعيان) لابن خلكان و(الإمامة والسياسة).

وقد اعتمدت المصدر الأساس لهذه المجموعة كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير للمقابلة بين روايات المجموعة الثانية لما أخذه ابن الأثير عن الطبري لضبط أطراف المحاورة، وبناء أركانها على أساس يكون الأقرب لما جرى بين سعيد والحجاج.

وقد رأيت أن أذكر الروايات المطابقة والمخالفة ليشاركني القارئ في إعطاء الحكم الصحيح الأكثر محاكاة لواقع الحال، مستعيناً في المقارنة والمقابلة والتأليف بمصادر أخرى لتسهيل مسار عملية البحث في جادّتها التي طرقتها المحاورة كما أتصور أنه الأرجح!

(المحاورة) - وتبدأ عند المجموعة الثانية كالتالي : -

(لمّا أدخِلَ سعيد على الحجاج، قال الحجاج: لعن الله ابن النصرانية - يعني خالد القسري الذي قبض على سعيد وبعث به - أما كنت أعرف مكانه! بلى

والله والبيت الذي هو فيه بمكة.

ثم أقبل عليه فقال: يا سعيد، (ألم أشركك في إمامتي! ألم أفعل؟ ألم أستعملك؟ قال: بلى)[١].

فقال: يا سعيد ما أخرجك عليَّ؟

فقال: (أصلح اللهُ الأمير)[٢]، إنما أنا امرؤٌ من المسلمين، يخطئُ مَرّة ويصيب مرّة. فطابت نفس الحجاج، (وَتَطَلَّقَ وجهه ورجا أن يتخلّص من أمره)[٣].

ثم عاوده في شيء فقال له سعيد: إنما كانت له بيعة في عنقي [يعني ابن الأشعث].

فغضب الحجاج وانتفخ (حتى سقط أحد طرفي ردائه عن منكبه)[٤]، (وقال: ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير، ثم أخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: بلى)[٥].

قال: ثم قَدِمْتُ الكوفة والياً (على العراق)[٦]. وَجَدَّدْتُ لأمير المؤمنين البيعة فأخذتُ بيعتك له ثانية! قال: بلى.

قال: فتنكث بيعتين لأمير المؤمنين، وتفي بواحدة للحائك ابن الحائك!

---

(١) العبارة بين القوسين ذكرها ابن الأثير: ج٤، ص١٣٠، ولم ترد عند الطبري: ج٦، ص٤٩٠، وذكرها ابن حجر في تهذيب التهذيب: ج٤، ص١٢-١٣، ولم ترد في الإمامة والسياسة.

(٢) العبارة بين قوسين وردت عند الطبري فقط: ج٦، ص٤٩٠.

(٣) العبارات وردت عند الطبري فقط: ج٦، ص٤٩٠.

(٤) العبارات وردت عند الطبري فقط: ج٦، ص٤٩٠.

(٥) العبارات وردت عند الطبري: ج٦، ص٤٩٠، ومعه ابن الأثير في الكامل: ج٤، ص١٣٠.

(٦) العبارتان انفرد بهما الطبري فقط: ج٦، ص٤٩٠.

(والله لأقتلك. قال: إني إذا لسعيد كما سمتني أمي)[١].

(فأمر به فَضُرِبَتْ رَقَبَتُهُ، فَنَدَرَ رأسه - عليه كمة [عِمّةٍ] بيضاء لاطئة صغيرة)[٢].

(فلما سقط رأسه هَلّلَ ثلاثاً أفصحَ بِمَرَّةٍ ولم يفصح بِمَرَّتَين)[٣].

(فلما قُتِلَ، الْتَبَسَ عَقْلُ الحجاج فجعل يقول: قُيودُنا قُيودُنا فظنوا أنه يريد القيود فقطعوا رِجلي سعيد من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود)[٤].

وكان الحجاج إذا نام يراه في منامِهِ يأخذ بمجامع ثوبه فيقول يا عَدُوَّ اللهِ فِيمَ قتلتني؟ فيقول: ما لي ولسعيد بن جبير ما لي ولسعيد بن جبير[٥].

وأما عند ابن قتيبة - والروايةُ نفسُها نقلها عنه ابن خلكان في (وفيّات الأعيان) عن (المعارف) ولم يذكرها في (الإمامة والسياسة) فالرواية تبدأ بقول الحجاج لسعيد (... اختر أي قتلة شئت قال له: بل اختر أنت لنفسك فإن القِصاص أمامك.

قال له: يا شقي بن كسير: ألم أقدم الكوفة وليسَ يؤمُّ بِها إلاّ عربي فجعلتك إماماً؟ قال: بلى.

---

(١) العبارتان انفرد بهما الطبري فقط: ج٦، ص٤٩٠.

(٢) انفرد به الطبري: ج٦، ص٤٨٩، ومعه ابن الأثير في الكامل: ج٤، ص١٣٠.

(٣) انفرد بها ابن الأثير في الكامل: ج٤، ص١٣٠.

(٤) انفرد بها الطبري فقط: ج٦، ص٤٩٠.

(٥) انفرد بها الطبري: ج٦، ص٤٩١، وابن الأثير: ج٤، ص١٣٠. وفي رواية أخرى للطبري فيها زيادة على هذه الرواية تبدأ بقوله (لّما جيءَ بسعيد إلى الحجاج فقال: أكتبتَ إلى مصعب بن الزبير؟ قال: بل كتب إليَّ مصعب. قال: والله لأقتلنك...) الطبري: ج٦، ص٤٩٠-٤٩١.

قال: ألم أوَلِّكَ القضاء فضجّ أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح للقضاء إلاّ عربي، فاستقضيتُ أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمَرْتُهُ أنْ لا يقطعَ أمْراً دونك؟ قال: بلى.

قال: أما جعلتُك في سُمّاري؟ قال: بلى.

قال: أوَ ما أعطيتُكَ مائَةَ ألف درهم تفرّقها في أهل الحاجة في أول ما رأيتُك ثم لم أسألْكَ عن شيءٍ منها؟ قال: بلى.

قال: فما أخرجك؟ قال: كانت بيعة لابن الأشعث في عنقي.

فغضِب الحجاج ثم قال: أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك من قبل؟ واللهِ لأقتلك يا حرسي، إضْرِبْ عنقه، فضرب عنقه)[(١)] - انتهى -.

ويلاحظ القارئ أن مصادر المجموعة الثانية وإن تفاوتت أركانها وتعددت صِيَغُ الروايات فيها إلاّ أنّها تبدو للباحث أقرب لواقع المحاكمة التي كنّا نتوقعها من الحجاج بعد أن ظفر بسعيد قرابة عقد ونيّف من السنين وهو يتتبع آثارَ سعيد في الأمصار.

ونحن إنما أخذنا بترجيح روايات المجموعة الثانية من متابعة الحوادث التي مرّت في حياة سعيد بن جبير، ومع ذلك يبقى للقارئ والباحث حق التوفيق بين روايات المجموعة الأولى والثانية للوصول إلى نتيجة واحدة نستخلص منها إلى ما يفوق الظن ويقرب من اليقين عما كانت عليه تلك الساعة التي سبقت قتل سعيد على يد الحجاج والتي لم تنته بإزهاق روح هذا الولي الصالح بهذا الشكل الذي أخذ هذا الجانب المهم عند المؤرخين وإنما وَثَّقُوا أيضاً ما حدث للحجاج بعده.

---

(١) المعارف لابن قتيبة: ص١٩٧؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٥-١١٦؛ وعند ابن قتيبة رواية أخرى في الإمامة والسياسة: ج٢، ص٤٣.

## الحجاج بعد مقتل سعيد

(لّما قَتَلَ الحجاجُ سعيداً؛ سال منه دمٌ كثير، فَذُهِلَ الحجاج وسَأَلَ عن السبب فقيل لَهُ، قتلتَهُ ونفسه عنده، ومن كُنْتَ تَقْتُلُهُ قبلَه كانت نفسه تـذهب مـن الخـوف فلذلك قَلَّ دَمُهُمْ)[1].

(وكان مقتل سعيد بيد الحجاج في النصف الثاني من شعبان عام (٩٥هـ) وله من العمر (٤٩ سنة)[2].

وقد أجمعت أغلب الروايات على أن الحجـاج لم يبـق بعـده أكثـر مـن خمس عشرة ليلة قضاها مُسَهّداً يتلوى من ألمِ داء (الأكلة).

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ص١١٦.

(٢) البيـان والتبيين للجـاحظ (ت ٢٥٥هـ): ج٣، ص٦٣؛ مـروج الـذهب لأبي الحسن علـي بـن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ): ج٣، ص١٠٥؛ تاريخ اليعقوبي (مـن علمـاء القـرن الثالـث الهجـري): ج٣، ص٣٤؛ رجال الطوسي (ت ٤٦٠هـ): ج٣، ص٩٠-٩١، ويرى أنّ قتل سعيد على يدي الحجاج قـد تم في شوّال! وفيات الأعيان لابن خلكـان (ت ٦٨١هـ): ج٢، ص١١٦؛ تـذكرة الحفـاظ للـذهبي (ت ٧٤٨هـ): ج١، ص٧٦؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): ج٤، ص١٣؛ إيمان أبي طالب للحائري: ص٣٢١؛ سفينة البحار للشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ): ج١، ص٦٢٢؛ مـرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الأزمان لعبد الله بن أسعد اليـافعي (ت ٧٦٩هـ): ج١، ص١٩٦، طبعة بيروت لسنة ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

وهناك روايات ذكرت أن سعيداً قتل (عام ٩٤هـ) في العام الذي سُمِّيَ عام الفقهاء[١]. ونحن لا نستبعد ذلك. لأنّ مثل هذه الأمور مما يعاني من ضبطها أصحاب الاختصاص؛ ولكن الذي يدفعني إلى ترجيح التاريخ السابق هو ما ذُكِرَ من أنّ الحجاج لم يقتل أحداً بعد سعيد حتى مات في رمضان من السنة نفسها[٢]. وهي السنة التي رجّح أغلب المؤرخين أنّ سعيداً قُتِلَ على يدِ الحجاج فيها وهي (سنة ٩٥هـ) وأن سعيداً دعا ساعة قَتْلِ الحجاج له: (اللهم لا تسلط الحجاج على أحد من بعدي) وكان استشهاده في أواخر شعبان، ومات الحجاج بداء (الأكلة) بعده بأُسبوعين في رمضان.

وكان يوم قتل سعيد بن جبير نَكبةً نُكِبَ بها المسلمون، ولقد قال الحسن البصري لمّا بلغه نبأ مقتل سعيد بن جبير (واللهِ لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لِعِلمه)[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ): ج٦، ص٢٦٦؛ المعارف لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): ص١٩٧؛ تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٦، ص٤٩١؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٣٠؛ نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: ج١، ص١٦٨، وقد ذكر النويري قائلاً: (سُمِّيَ عام الفقهاء لأنه مات فيه علي بن الحسين - عليهما السلام - وأبو بكر بن عبد الله بن أبي بكر الصديق وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعطاء بن يسار وسعيد بن زيد بن ثابت، وفيه قتل الحجاج سعيداً).

(٢) البيان والتبيين للجاحظ: ج٣، ص٦٣؛ مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص١٠٥؛ رجال الطوسي: ج٩٠-٩١؛ تاريخ اليعقوبي: ج٣، ص٣٤؛ إيمان أبي طالب لفخار بن مَعد الحائري: ص٣٢١؛ وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٦؛ تذكرة الحفاظ للذهبي: ج١، ص٧٦؛ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٤، ص١٣؛ مرآة الجنان لليافعي: ج١، ص١٩٦؛ سفينة البحار للشيخ عباس القمي: ج١، ص٦٢٢.

(٣) حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري: ج١، ص١٧١.

وقال أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): (قَتَلَ الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحدٌ إلاّ وهو مفتقر إلى علمه)[١].

وخُتِمَ ضحايا الحجاج بسعيد بن جبير؛ ذلك العالم الجهبذ والفقيه النّحرير الذي أَلَهَ الإلهَ حق ألوهيتهِ منذ وجبت عليه الصلاة وحتى آخر صلاة صلاّها وهو يرجع إلى ربه مقطوع الرأس مضرجاً بنجيع الوتين المذبوح الذي ملأ النطع دماً عبيطاً لأنه مات غير خائف وذهب ضحية حقد جلاد خلدته دماءُ ضحاياه ولم تخلده حسناته.

والحجاج الذي كان مرتزقاً مغموراً في جند عبد الملك بن مروان أيام كان نجم سعيد بن جبير يسطع في سماء العلوم الدينية؛ ما اشتهر ولا تخلد إلا يوم قدم نفسه إلى عبد الملك أنه هو ضالته المنشودة في القضاء على (عبد الله بن الزبير) وإن لجأ إلى (الكعبة) - فما الكعبة في نظر رجل نكرة محروم من العز والجاه إن كان حَرْقُها على من فيها يحقق له الحضرة عند سلاطين الدنيا، وقد تحقق له ذلك فَنَحَلَهُ ولايةَ العراق لينتقم به من قوم ما منحوا الولاء للشجرة الملعونة من يوم عرفوا أنها ستنزو على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بعده؛ ولما صار الحجاج والياً لبني أمية صار يصرح بدخيلة نفسه مطمئناً إلى رضا السلطان عنه كل الاطمئنان لأنه كان يعلم أنّ هذا يرضيهم: (رأى الحجاجُ الناسَ يوماً يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره، فقال: إنما يطوفون بأعواد ورمة)[٢].

(١) رجال الطوسي: ص٩٠-٩١؛ إيمان أبي طالب للحائري: ص٣٢١؛ مرآة الجنان لليافعي: ج١، ص١٩٧؛ سفينة البحار للشيخ عباس القمي: ج١، ص٦٢٢؛ العقد الفريد لابن عبد ربه: ج٣، ص٢٠٥.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج٣، ص٢٠٥.

وقد حَزّ قَتْلُ الحجاجِ لسعيد بن جبير في نفس عمر بن عبد العزيز حيث كان يدعو أن يكون موت الحجاج على فراشه ليكون أشد لعذابه في الآخرة. ولما مات الحجاج كما تمنّى عمر بن عبد العزيز خرّ عمر ساجداً يشكر الله(١).

وكان عمر بن عبد العزيز يحب سعيداً ويحميه، وظلّت ذكراه تؤلمه حتى قيل أنه (رأى الحجاج في المنام بعد موته وهو جيفة منتنة؛ فقال له: ما فعل اللهُ بك؟ قال: قتلني بكل قتيل قتلة واحدة إلاّ سعيد بن جبير فإنه قتلني به سبعين قتلة)(٢).

ويعلق الدميري على هذا في كتابه (حياة الحيوان الكبرى) بقوله (والحكمة أن الحجاج لّما قتل سعيداً لم يكن له نظراء في العلم وأمّا مَنْ قُتِلَ قَبله - كابن الزبير مثلاً - فقد كان له نظراء كثيرون)(٣).

---

(١) العقد الفريد: ج٣، ص٢٥٧.

(٢) حياة الحيوان الكبرى للدميري: ج١، ص١٧٠.

(٣) حياة الحيوان الكبرى: ج١، ص١٧٠-١٧١.



# الفصل السابع
# سعيد بن جبير والحجاج في الميزان

لّما كان الإنسان ما خُلِقَ إلا ليعبد الله كما يؤكده قوله تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ }[1].

صار لزاماً تكليفياً عليه أنْ يسعى لِرِضاء خالقه، هذا هو المنطق السليم للعلاقة بين الخالق والمخلوق، وهذا هو مبدأ السلوك الإنساني الذي يقبله الله ويرتضيه ولا يقبل غيره.

وقصة أبينا آدم وأمنا حواء هي مصداق ما نقول يوم لم يكن اللهُ قد اصطفى آدم نبيّاً، وقوله تعالى بعد خلق أبينا وأمنا: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ }[2].

وهبط آدم وهبط إبليس، وكَثُرَتْ ذرية آدم وكثر قبيل إبليس واصطفى اللهُ آدم أول نبي لذريته يبين لهم الفرق بين طاعة الله ومعصيته، بين ترويض النفس على ما يرضي الله ويحزن الشيطان وبين ما يؤسف اللهَ ويفرح إبليس الذي ما أن أخذ العهد بالانظار إلى يوم الوقت المعلوم حتى أقسم أمامَ الله بعزة الله العَزيز

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٥-٣٦.

الحكيم أن يحتنك ذرية آدم - أي يجرّهم من لحاهم إلى المعصية؛ إلاّ عبادَك منهم المخلصين ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[١].

وانقسم البشر من أيام قابيل وهابيل وانقسم الصراط، صراط الذين أنعم الله عليهم بالطاعة الخالصة في حياتهم وهم يكدحون إلى لقاء الله وهم عبادُهُ المخلَصون وصراط الذين رضوا بالحياة الدنيا من الآخر من المغضوب عليهم من المشركين والمنافقين والكافرين والضالين ممن عصى الله ورسله من الأولين وممن عصى اللهَ ورسله من الآخرين ﴿ ...الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا... ﴾[٢].

ولم تتغير المعادلة ولم يتغير الميزان عند الله جلّ جلالُه لأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور لكن المضحك المبكي هو أن الشيطان المقترن بالنفس الأمارة بالسوء يصور لها الغِواية هداية والهداية غواية ما دامت تعشو عن ذِكر الله ولا تطمئن القلوب إلاّ بذكر الله وإذا اطمأنت القلوب مَلأتْ الرحمة أوعية النفس فصارت مطمئنة؛ فقال تعالى في الفريقين: ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[٣].

وهذه هي المصيبة وإلاّ كيف يتجرع الدارس المتتبع لحياة (النفس المطمئنة) سعيد بن جبير الذي كَدَحَ إلى ربه كدحاً لِيُلاقيهِ شهيداً على نطعٍ لكافرٍ ضالٍّ عاصٍ يقول له: (أكافر أنت أمْ مؤمن)؛ أوَ تحسب سعيداً كفر بثورته على قومٍ

(١) سورة ص، الآية: ٨٢-٨٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

(٣) سورة الزخرف، الآيتان: ٣٦-٣٧.

أحرقوا بيت اللهِ ليثبّتوا ملكهم الدنيوي ويحسبون أنهم مهتدون؟

وفي أي ميزان تضع سعيداً من كفّتي ميزان سورة الأحزاب وقد اطلعت على سلوكه منذ نعومة أظفاره حتى ساعة وقوفه بوجه طاغية عصره ليفوز بالشهادة ذبيحاً غير خائف ويجعل الحجاج بعد قتله سعيداً يلعن اليوم الذي ولد فيه وَهُوَ الذي كان قبل قتله سعيداً يتباهى بمعصية الله ورسوله! والميزان فيما جاء في الأحزاب، قال تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا }[1]. وقال تعالى: { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[2].

والحجاج يفخر بعصيانِه رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم (خَطَبَ في أهل البصرة فقال: يا أهل العراق إنّي قد استعملتُ عليكم محمداً ابني وبه الرّغبة عنكم... وقد أوصيته فيكم خلاف وصيةِ رسولِ الله بالأنصار. فإنه أوصى أنْ يُقْبَلَ مِنْ محسنهم ويُتَجَاوَزَ عن مُسِيئِهم. وقد أوصيته أنْ لا يقبلَ من مُحسِنِكم ولا يتجاوزَ عن مُسيئِكم)[3].

ولا غرابة فَلقد كانَ في سلوكه كما يقول العقاد في معاوية ومعاوية مؤسس الدولة الأموية (كل شيء في الحياة الإنسانية هيّن إذا هان الخلل في موازين الإنسانية. وإنها لأهون من ذلك إذا جاوز الأمر الخلل إلى انعكاس الأحكام وانقلابها من النّقيض إلى النّقيض... فمن الناس من يحب أن تتغلب المنفعة على الحقيقة أو على الفضيلة... لأنه يرجع إلى طبيعته فيشعر بحقارتها إذا غلبت

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي: ج٣، ص٨٥-٨٦.

مقاييس الفضائل المنزهة والحقائق الصريحة... وإنه ليعترف بالرّذيلة إذا استطاع أن يُلَوِّثَ الفضيلة التي يمتاز بها عليه ذوو الفضائل البيّنة...)[١].

ويستدل العقاد على ذلك بقوله: (وإذا لم يرجح من أخبار تلك الفترة إلاّ الخبر الراجح عن لعن عليّ على المنابر بأمر من معاوية لكان فيه الكافية لإثبات ما عداه مما يتم به الترجيح بين كفتي الميزان)[٢].

والحجاج سار على هذا النهج؛ فإذا ما وجد من يقتدي بعلي عليه السلام أو يأتم بالأئمة من بعده مثل سعيد بن جبير وائتمامه بعلي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام فإنه يشعر بحقارته أمام مثل هذا الإنسان الملتزم بمقاييس أهل البيت عليهم السلام، فقوله لسعيد: (أكافر أنت أو مؤمن...) هو محاولة لإدخال الخلل بقيم سعيد بن جبير بالتخريف عسى أن يحوّله في محاورته إلى انتهازي منافق مثله أمام الحاضرين؛ وكان يتمنّى أن يجيب بالكفر فيرضي بهذه الكلمةِ الحجاجُ ليعفوَ عنه كما فعل مع صاحبيه كما مَرَّ.

فالحجاج في محاورته سعيداً (أكافر أنت أو مؤمن) لم يقصد المعنى الحقيقي الإسلامي للكلمات وهو يعرف سعيداً ومنزلته الإسلامية حق المعرفة وإلاّ ما كان شتم (والي الحجاز خالد بن عبد الله القسري) الذي قبض له على سعيد وبعث به إليه - كما مَرَّ في المحاورة - فالحجّاج يعرف الإيمان والكفر ويعرف حدودهما، ولكنه اختار أن يكون صنيعة لقوم (اتخذوا الدين وسيلة لقمع حركات المسلمين الذين طالبوا (الحكام) الأمويين بتطبيق مبادئ الدين على تصرفاتهم أي أن الأمويين كانوا يتظاهرون بالتدين فيدعون المسلمين - في خطبهم وخطب ولاتهم

(١) معاوية بن أبي سفيان لعباس محمود العقاد: ص١١.

(٢) معاوية بن أبي سفيان للعقاد: ص١٢-١٦.

- إلى التمسك بالدين الذي لا يتمسكون هم وولاتهم بتعاليمه. وكانت غايتهم من ذلك - بالطبع - هي صرف الناس عن المطالبة بتطبيق الدين على شؤون الحياة من جهة وعاملاً من العوامل التي يبرر الأمويون فيها اعتداءاتهم على أرواح المسلمين وممتلكاتهم.

وقد أصبح الأمويون - وولاتهم طبعاً على نهجهم - بهذا النوع من التصرف ممن يشملهم منطوق قوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ }[١].

وقوله تعالى: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ }[٢].

والحجاج وعبد الملك مصداق لمثل هؤلاء الناس إذا ما تولّوا على رقاب العباد؛ فالحجاج لما بعثه عبد الملك والياً على العراق صعد المنبر وخاطبَ جموعَ المسلمين في أول خطاب له فيهم في مسجد البصرة؛ فقال: (إنّي لأرَى رُؤُوسَاً قد أينعت وقد حان قطافها، إنّي لأنظر الدماء بينَ العمائمِ واللحى... ثم قرأ قوله

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٨-١٢.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤-٢٠٦.

تعالى: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }[1]، وأنتم أولئك... إنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق.

فإنكم طالما أوضعتم في الشر وسننتم سنن البغي... فَوَ اللهِ لأذيقنّكم الهوان... ولألحونّكم لحو العود ولأعصبنّكم عصب السّلمة حتى تذلّوا. وَلأضربَنّكم ضرب غرائب الإبل حتى تَذَرُوا العصيان وتنقادوا)[2].

(فالمسلم بنظر الحجاج هو الذي يستسيغ موبقات الأمويين ويرتاح لاستهتار الحجاج، ويفوض أمره إلى الله. وإلاّ فهو مُعَرَّض - في كل لحظة - لشتى صنوف العقاب؛ أمّا أنْ يبحث الحجاج - (أمير المسلمين!!! - عن عوامل التذمّر، ويسعى إلى إزالتها بالمعاملة الحسنة والسير وفق مستلزمات الشريعة الإسلامية فشيء لم يخطر بباله. وسبب ذلك أنه - وأسيادَه الأمويين - كانوا من الآمرين بالمعروف التاركين له)[3].

حج عبد الملك بن مروان بالناس في عام (٧٥هـ) فقال: (لستُ بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا بالخليفة المأفون - يعني يزيد - ألا وإنّي لا أداري هذه الأمة إلاّ بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم... واللهِ لا يأمرني أحد بتقوى الله - بعد مقالي هذا - إلاّ ضربتُ عنقه)[4].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٢.

(٢) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نوري جعفر: ص٨٢، مطبعة الزهراء في بغداد لسنة ١٩٥٦م؛ الإمامة والسياسة: ج٢، ص٢٦.

(٣) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نوري جعفر: ص٨٢.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٣٣-٣٤.

ولكن هذا الخليفة المتمرد على الله (لمّا نزل به الموت أمر بفتح باب قصره فإذا قصار يقصر ثوباً؛ فقال: يا ليتني كنتُ قصاراً... فقال سعيد بن عبد العزيز: الحمد لله الذي جعلهم يفزعون إلينا ولا نفزع إليهم)[١].

(وقال سعيد بن بشير إن عبد الملك حين ثقل جعل يلوم نفسه ويضرب يده على رأسه وقال وددت أن كنت أكتسب يوماً بيوم ما يقوتني وأشتغل بطاعة الله. فَذُكِرَ ذلك لابن حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم يتمنّون - عند الموت - ما نحن فيه، ولا نتمنى - عند الموت ما هم فيه)[٢].

أما الحجاج فقد فاق خليفته، فمن ينصحه يستفزّه لأنه يُثيرُ كَوامِنَ نفسه لأن الحجاج عارف أنه متمرد على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. (خطب الحجاج متذمراً من أهل العراق. فقال له (جامع المجاري): أما إنهم لو أحبّوك لأطاعوك. على أنهم ما شنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لِذات نفسك فدع عنك ما يباعدهم منك إلى ما يقربهم إليك.

فقال الحجاج: ما أراني أرُدُّ بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف. فقال: أيها الأمير إنّ السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار. قال الحجاج: الخيار يومئذٍ لله! قال: أجل!! ولكنك لا تدري لمن يجعله الله... قال الحجاج: والله لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك. فقال: يا حجاج إن صَدَقناك أغضبناك وإن كذبناك أغضبنا الله؛ فغضب الأمير أهون علينا من غضب الله)[٣].

والغريب في الأمر أن أبسط العقوبات الشائعة في العهد الأموي هي القتل.

---

(١) الكامل في التاريخ: ج٤، ص٤١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٢، ص٢١٢، طبع دار الكتب في القاهرة.

وكان ينبغي أن تكون تلك العقوبة آخر العقوبات حسب تعاليم الدين والعرف السياسي الشائع[١]، وأغرب من ذلك أن القتل كان يجري على الظن والشبهة[٢]، ودون محاكمة أو سماع وجهة نظر المتهم[٣].

والحجاج ساهم بكل هذه الموبقات حتى ملأ اسمه أسماع الناس مقروناً بالظلم والبغي والخروج على تعاليم الإسلام (وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكثر لذّاته سفك الدماء وارتكاب الأمور التي لا يقدم عليها غيره ولا سبق إليها سواه)[٤]. وقد بدأها بحرق الكعبة!

(وقد سأل الحجاج يوماً بعض كُتّابه عن رأي الناس فيه، فاستعفاه الكاتب فلم يَعْفِهْ. فقال: يقولون إنك ظلوم، غشوم، قتّال، عسوف، كذّاب)[٥]. والحجاج لا ينكر هذا...

(وقد سأله يوماً عبد الملك بن مروان أن يصف نفسه على حقيقتها. فقال: إعفني يا أمير المؤمنين. قال: لَتفعلَنَّ قال: أنا لجوج، حقود، حسود؛ قال عبد الملك ما في الشيطان شرّ ممّا ذكرت)[٦].

ويحلل المؤرخ العراقي (د. نوري جعفر) الحكم الشمولي [الدكتاتوري] بقوله: (إن ظلم الرعية من أسهل الأمور التي يستطيع أن يقوم بها الحاكم إذا

---

(١) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نوري جعفر: ص١٥٥-١٥٦.

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري: ج٧، ص٢١٧.

(٣) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نوري جعفر: ص١٥٦.

(٤) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص ٦٧، طبع الرجاء بمصر.

(٥) الوزراء والكتاب للجهشياري: ص٤٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة لسنة ١٩٣٨م.

(٦) عيون الأخبار لابن قتيبة: ج٢، ص٨، الطبعة الأولى، دار الكتب في القاهرة.

تـوافرت لديـه عناصـر القـوة في جهـازه الحكـومي وإن غالبيـة النـاس في العـادة يتحملون الذل ويألفون الانقياد تفادياً للتعذيب والقتل. وإذا رأينا بعض الحكام لا يميلون إلى الشدّة - رغم توافر الإمكانيات المادية لاستعمالها - فإن مردّ ذلك على ما نرى؛ ليس هو الخوف من الرعية أو من انتفاضها بقدر ما هو الخوف مـن وخـز الضمير وعقاب النفس)[١].

ويقول محللاً شخصية الحجاج: (إن اسم الحجـاج مقـرون في العـادة - عنـد كثير من الناس - بالشدة والقسوة المتناهيتين حتى أصبح اسمه يـضرب فيـه المثـل في أخذ الرعية بسياسة الشدة بأبشع صورها.

وقد يُخيل لبعض الناس أن هذه الشدة تدلّ على الرجولة والـشجاعة. غـير أني أرى أنها تدل على الجبن والتخـاذل؛ لأن الـشجاعة إنما تظهـر عنـد الرجـل في مواقفه مع مَنْ هم في منزلته (من الجاه والسطوة والنفوذ أو القـوة الجـسمية) أو مـع من هم فوقه في ذلك. أمّا أن يستعمل المرءُ ضروب القـسوة والـشدّة مـع مَـن هـم دونه في السطوة والنفوذ، أوْ مَعَ العُزّل من الناس فأمْرٌ إن دَلَّ على شيء فإنه يـدل على الخسة والجبن وضِعةِ النفس، خاصة إذا ما كانت مواقف ذلك الشخص - مع من هم أعلى منه - تنطوي على الجبن والتهافت)[٢].

والدليل على ما خرج به المؤرخ الفيلسوف د. نوري جعفر من دقة التحليـل لشخصية الحجاج ومواقفه التي مَرَّتْ مع من هم دونه ومواقفه مـع عبـد الملـك بـن مروان - والقارئ يتذكر (معركة دير الجماجم) التي شـارك سـعيد فيهـا - (عنـدما أسرف الحجاج في قتل أسرى (دير الجماجم)، وعلم بذلك عبد الملـك بـن مـروان

(١) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نوري جعفر: هامش ص١٥٦.

(٢) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام: ص١٥٧.

كتب إليه يزجره وذيَّلَ كتابه بالأبيات التهديدية التالية:

إذا أنتَ لم تترك أموراً كَرِهْتَها ... وتَطلبْ رِضائي بالذي أنا طالِبُهْ
وتخشَى الذي يَخشاهُ مِثْلِكَ هارِباً ... إلى اللهِ مِنْهُ، ضَيَّعَ الدَّرَ حالِبُهْ
فَإنْ تَرَ مِنّيَ غفْلَةً قَرَشِيَّةً ... فَيَا رُبَّما قَدْ غَصَّ بالماءِ شارِبُهْ
وَإنْ تَرَمِنِّيَ وَثْبَةً أمَوِيَّةً ... فَهذا وَهَذا كُلُّ ذا أنَا صَاحِبُهْ
فَلا لا تَلُمْنِيَ والحَوادِثُ جَمّةٌ ... فإنّك مَجْزِيٌّ بِما أنْتَ كاسِبُهْ
ولا تَعْدُ ما يأتيكَ مِنِّيَ وَإنْ تَعُدْ ... يَقومُ بِها يَوْماً عَلَيْكَ نَوادِبُهْ)[1]

(والحجاج إنما أسرف في القتل خدمة للعرش الأموي، لا شك في ذلك عنده أو عند عبد الملك أو عند الآخرين.

فلما قرأ الحجاج كتاب عبد الملك أجابه متخاذلاً متراجعاً ذليلاً متهافتاً، حتى طفحت وضاعة نفسه على لسانه، وذيّل كتابه بالأبيات التالية:

إذا أنَا لم أتبعْ رِضاك وَأتّقِ ... أذاكَ فَيَوْمي لا تَزولُ كواكِبُهْ
وَما لامرئٍ - بَعْدَ الخليفةِ - جُنَّةٌ ... تَقيهِ مِنَ الأمرِ الذي هُوَ كاسِبُهْ
أسالِمُ مَنْ سَالَمْتَ مِنْ ذِي قَرابَةٍ ... وَمَنْ لَمْ تُسالِمْهُ فإني مُحارِبُهْ
إذا قارَفَ الحَجّاجُ مِنْكَ خَطِيئَةً ... فَقامَتْ عَلَيْهِ فِي الصِّياحِ نَوادِبُهْ
إذا أنَا لمْ أدْنِ الشَّفِيقَ لِنُصْحِهِ ... وَأقْصِ الّذي تَسْرِي إلَيَّ عَقارِبُهْ
فَقِفْ بِي عَلَى حَدِّ الرضا لا أجُوزُهُ ... - مَدى الدَّهْرِ - حتى يُرْجِعَ الدَّرَّ حالبُهْ[2]

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص٧٤-٧٦.

(٢) مروج الذهبي: ج٣، ص٧٦.

(فأنت ترى شخصية متناقضة، حَجّاج القسوة والشِّدَّةِ مَعَ العُزَّل والضُّعفاء والأبرياء، وحَجّاج التخاذل والجبن مع القساة الفجرة من الحكام والأمراء).

حَجّاجٌ (يرى رؤوساً قد أينعت وحان قِطافُها: يعصب الناس عصب السلمة حتى يَذلّوا ويضربهم ضرب غرائب الإبل حتى يذروا العصيان وينقادوا) وحجاج آخر جبان متخاذل إذا لم يبغ رضا الخليفة ويَتّق أذاه فليله لا تزول كواكبه)[١].

والمثال الثاني على شخصية الحجاج المهزوزة المتخاذلة، حين (دخل على الحجاج (أنس بن مالك)، قال له الحجاج: لا مرحباً ولا أهلاً بك يا ابن الخبيثة، شيخ ضلالة، جَوّال في الفتن... أمَا واللهِ لأجرِدَنَّكَ جَرْدَ القضيب ولأعصِبَنَّكَ عَصْبَ السَّلَمَةِ ولأقلِعَنَّكَ قلعة الصمغة.

فقال أنس: مَنْ يعني الأمير؟ قال: إياك أعني أصَمَّ اللهُ صداك.

فرجع أنس فكتب إلى عبد الملك كتاباً يشكو فيه الحجاج... فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إنك عبد طمت بك الأمور فعلوتَ حتى عدوت طورَك، وجاوزت قَدْرَك. يا ابن المستضرمة بعجم الزبيب لأغمزنّك غمزة كبعض غمزات الليوث للثعالب، ولأخبطنّك خبطة تَوَدُّ لها أنك رَجَعْتَ في مخرجك من بطن أمِّك أما تذكر حال آبائك في الطّائف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحتفرون الآبار بأيديهم في أوديتهم ومياهِهم؟!

أنسيتَ حالَ آبائِك في اللؤم والدّناءة، في المروءة والخُلُق؟ وقد بلغ أميرَ المؤمنين الذي كان منك إلى أنس بن مالك... فعليك لعنة الله من عبدٍ أخفشِ

---

(١) الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام للدكتور نوري جعفر: ص١٥٨.

العينين أصك الرجلين، ممسوح الجاعرتين... أكْرِمْ (أنساً وأهلَ بيته) واعرف حقه ولا تقصِّر في شيءٍ من حوائجه).

وبعث بالكتاب مع (إسماعيل بن عبد اللهِ) مولى بني مخزوم؛ فأتى إسماعيل بكتاب أمير المؤمنين فقرأه. وأتى الحجاج - بالكتاب إليه - فجعل يقرؤه ووجهه يتغير وجبينه يرشح عرقاً ويقول: يغفر الله لأمير المؤمنين. ثم اجتمع بأنس. فرحب الحجاج به واعتذر إليه)(١).

وإليك رأي (عمر بن عبد العزيز) بالحجاج، قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: (حدّثنا هِشام بن يحيى عن أبيه قال: حدّثنا عمر بن عبد العزيز قال: لو جاءت كلّ أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفَضَلْناهم).

وذكر (ميمون بن مهران عن الأجلح قال: قلت للشعبي يزعم الناس أن الحجاج مؤمن!! قال: مؤمنٌ بالجبت والطاغوت لا بالله).

وقال علي بن عبد العزيز عن إسحاق بن يحيى عن الأعمش قال: (اختلفوا في الحجاج فقالوا: بِمَن ترضون؟ قالوا: بمجاهد. فأتَوْهُ، فقالوا: إنّا اختلفنا في الحجاج. فقال: أجئتم تسألوني عن الشيخ الكافر!!!

وقال (محمد بن كثير عن الأوزاعي) قال: سمعت القاسم بن محمد يقول: كان الحجاج بن يوسف ينقض عُرى الإسلام عروة عروة)(٢).

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٣٩.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه: ج٣، ص٢٥٣-٢٥٤.

## نُبوءَة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحجاج

(وكان الحجاج لّما فرغ من قتال (عبد الله بن الزبير) بعث إلى أمه (أسماء بنت أبي بكر الصدّيق أن تأتِيَهُ، فأبَتْ أن تأتِيَهُ، فقال: واللهِ لَئِنْ لم تأتِني لأبعثن إليها من يجرّ بقرون رأسِها، ويسحبها حتى تَصل إليّ، فقيل ذلك لها فقالت: والله لا أسير إليه حتى يبعثَ إليَّ من يجرّ بقرون رأسي، فأقبل الحجاج حتى وقف عليها، فقال لها: كيف رأيتِ ما فعل الله تعالى بابنكِ، عدوّ الله الشاقِ لِعصا المسلمين، المَفنِي لعبادِهِ المشتّت لكلمة أمّةِ نبيّهِ؟ فقالت: ... أبْشِرْ، فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم يقول: «مُنافِقُ ثقيف يَملأ اللّهُ بِهِ زاوِيَةً مِنْ زَوايا جَهَنَّم، يُبِيدُ الخَلْقَ، وَيَقْذِفُ الكَعْبَةَ بأحْجَارِها، ألا لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ»، فأفْحِمَ الحجاجُ ولم يُحِرْ جَواباً)(١).

فالحجاج هو هذا الحجاج كما أخبرنا عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برواية (أسماء بنت أبي بكر) ولما وقف عليها متشفياً بقتله ولدها صفعته بحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه فأفحمته ولم يُحِرْ جواباً لأنه ذُهِلَ لأنه يعلم صدقها وأنه هو المقصود بنبوءة رسول اللهَ صلى الله عليه وآله وسلم

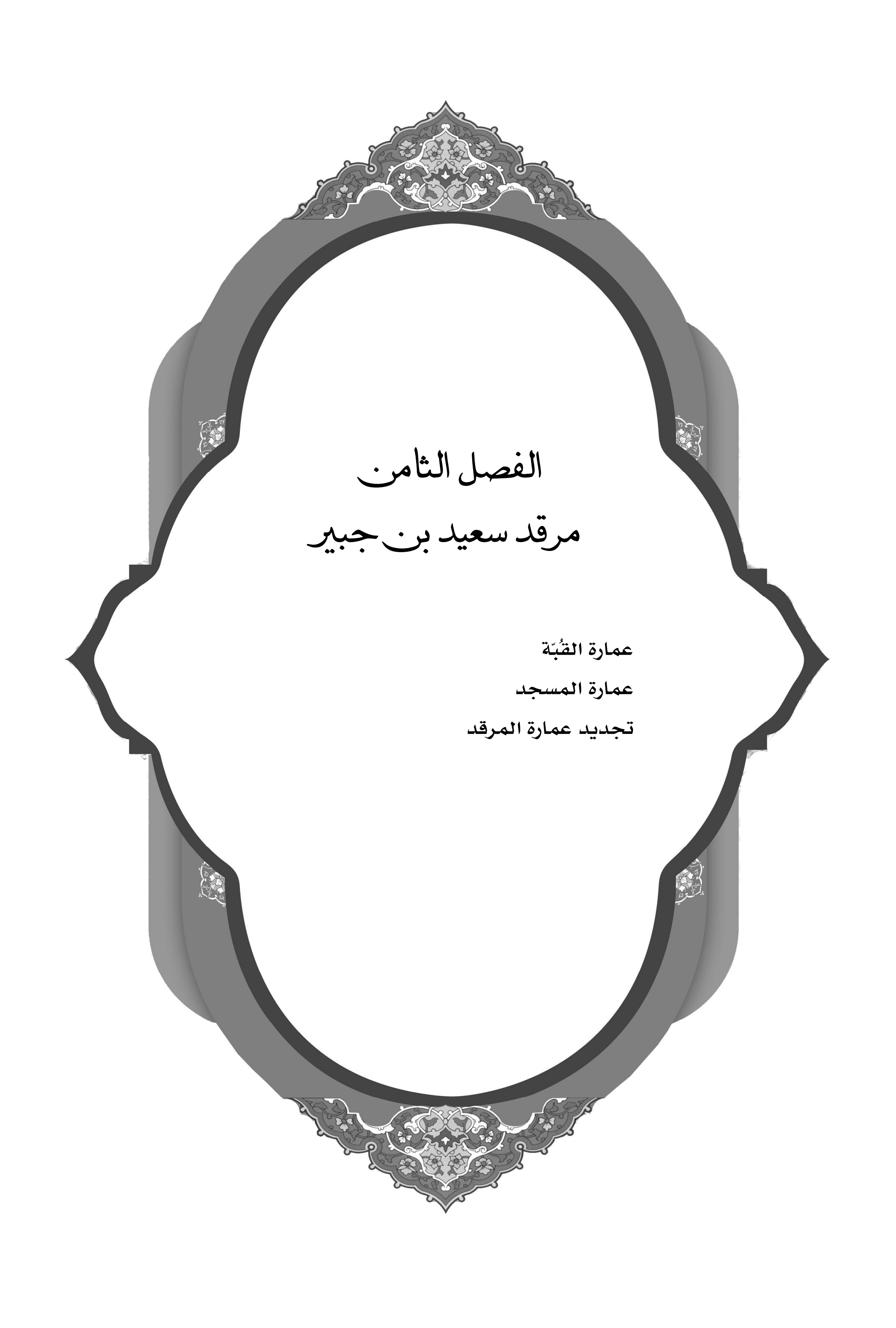
---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د. طه محمد الزيني: ج٢، ص٣٥، طبعة منشورات الحلبي في القاهرة لسنة ١٣٧٨هـ، ١٩٦٧م).

وسقط الحجاج ميتاً حتف أنفه تلاحقه لعنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن دعا سعيد بن جبير عليه رَبَّهُ في آخر ركعتين قبل الشهادة أنْ لا يُسَلِّطَ الحجاج على أحدٍ من بعده فكان الله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير لسعيد حيث سَلَّطَ سعيداً على الحجاج يعذبه قرابة أسبوعين والحجاج المصاب بالأكلة يهبّ مذعوراً وهو يصرخ: (ما لي ولسعيد بن جبير كلما أردتُ النوم أخذ بخناقي وهو يقول لِمَ قتلتني يا عدو الله).

وإذا كانت نفس سعيد قد رجعت إلى ربها راضية مرضية فإن نفس الحجاج قد ذهبت إلى جهنم كما تنبّأ لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يَمْلأ اللّهُ به زاوية من زوايا جهنم»[1].

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري: ج٢، ص٣٥.



# الفصل الثامن

# مرقد سعيد بن جبير

عمارة القُبّة

عمارة المسجد

تجديد عمارة المرقد

بَعْدَ أنْ قُتِلَ سعيد حُمِلَ جثمانه الطاهر ودفن في مكان قرب (شط الغراف وهو نهر غرب مدينة واسط في حي واسط الغربي على بعد خمسة عشر ميلاً منها)[1].

والـذي أرجحـه أن أهلـه حملـوه وكـان كمـا يبـدو مـن تسلـسل الأحـداث قصدهم أن يعودوا به إلى الكوفة، ولكنهم اضطرّوا بعد مسيرة يـوم أن يـدفنوه في هذه الديار مخافة أن يفسد جثمانه الشريف من شدة الحر أو ربما تكون هذه الـديار هي مدافن مدينة واسط، لأن الروايات تشير إلى أنه (بعد أن قتله الحجـاج دُفِـنَ في ديار خارج مدينة واسط وظل قبره يُزارُ بِها منذ ذلك الحين)[2].

وإن يُدفن سعيد بـن جـبير في هـذه الـديار فـذلك أمـر بـديهي، إذْ لـيس مـن المنطق أن يسمح الحجاج بأن يُدْفَنَ مثـل سـعيد في (واسـط) نفـسها وهـو صـاحب المنزلة العظيمة التي كان الحجاج أعرف من غـيره بمكانتـها مـن قلـوب النـاس، فـلا يمكن أن يقبل بدفن سعيد على مقربـة مـن قـصره ليبقـى علمـاً يـدل علـى بـشاعة

---

(١) الغرّاف: نهر عظيم، كانت وما تزال تعيش على ضفافه أهم القبائل العراقية وأسعدها عيشة ورفاهيـة، وهو سُرَّةُ العراق وجَنّةُ عدنـه. وكـان يُظـن أن مجـراه الحـالي إنمـا هـو مجـرى دجلـة القـديم حتى برهنـت التحقيقات الآثارية والبحوث التاريخية على أن مجرى (الدجيلة) هو المجرى المـذكور. طول نهـر الغـراف (٢٣٠كم) وعلى صدره ناظم له سبع فتحات سعَة كل فتحـة سـتة أمتـار مـع ممـر للـسفن...)، انظـر: العراق قديماً وحديثاً لعبد الرّزّاق الحسني: ج١، ص٧١-٧١، الطبعة الثالثة لسنة ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٦.

جريمته بحق هذا العبد الصالح، وهو نفسه ندم على قتله بعد حين!

ولقد ذكرنا في سياق البحث كيف شُيِّعَ سعيد من الكوفة مِنْ قِبَلِ أهله وأصحابه حتى بلغ بعضهم واسط. كما يتذكر القارئ كيف دخلت خالته عليه السجن وقبّلت يديه[١]، لِمكانته الجليلة!

يضاف إلى ذلك أن مُقتضيات العرف في ذلك الحين كانت تقتضي بتسليم القتيل إلى ذويه وخاصته بعد قتله.

كما أن تداعي سير الأحداث يحكم بأن أهل سعيد وخاصته سيتوجهون به نحو الكوفة؛ ولكن تكون الأسباب التي ذكرتها في بداية الفصل فرضت عليهم دفنه في هذا الموقع وليس - كما قيل - (في (بَرجونيةِ) القرية التي كانت شرقي واسط قبالتها والتي عندها عَمْرُ النصارى...)[٢].

كما زعم ياقوت الحموي من أن (... بها قبر يزعمون أنه قبر سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج)[٣]. وأستدل على ما ذهبتُ إليه من نفي رواية ياقوت بأدلة كثيرة منها، أنّ ياقوت الحموي كثيراً ما يَذكرُ في كتابه (معجم البلدان) اسماء لمناطق لا وجود لها معتمداً في ذلك على نقل روايات موضوعة أو لا تتطابق مع الواقع[٤].

(أو كان يحدد مكان قرية أو مدينة أو حادثة في غير موضعها الحقيقي)[٥].

ومنها، إنّ (عمر النصارى) هذا هو (عمر كسكر - وهو دير كان في أسفل واسط

---

(١) تاريخ واسط لبحشل: ص١٠٠.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي: ج١، ص٣٧٤، طبع في بيروت لسنة ١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) خمسون ومائة صحابي مختلق لمرتضى العسكري: ج١، طبع في بغداد لسنة ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

(٥) المصدر السابق نفسه.

في الجانب الشرقي على بعد فرسخ منها)[١]. ولا نجد ثمة داعياً لأن يلجأ أهل سعيد إلى دفنه في هذا الموضع حتى لو أرادوا دفنه حول المدينة، لأن هذا الموضع يفصل بينه وبين مدينة واسط نهر دجلة، وكان يمر بحذائها من الجهة الشرقية وكانت (واسط) بينه وبين الغراف[٢]. ولا تزال آثار مجرى دجلة - بعد أن غيّر مجراه وابتعد عن واسط عشرات الأميال - ماثلة للعيان لمن يزور آثار (واسط الحجاج) وقد زرتها بنفسي - ألا - وتسمى (المنارة) عند أهل المنطقة[٣]. لأن (منارة) مسجدها ظلت شاخصة إلى الآن وكذلك باب المدينة.

والاستدلال الثاني هو أن قبر سعيد بن جبير في الجانب الثاني أي الجانب الغربي من ديار واسط مشهور[٤]. ومكانه مشخّص عند مؤرخين كانوا أقدم عهداً من ياقوت الحموي[٥]. ولأن شيخ التابعين ليس بالشخص القليل الشأن عند صحابته وتلامذته وأهله خاصة والمسلمين عامة. وقد ذكرنا في الفصل السادس دعاء عمر بن عبد العزيز ودعاء الحسن البصري، وقول أحمد بن حنبل فيه، ثم ما الذي يمنع محبيه من أن يهتموا برعاية وعمارة قبر سعيد بعد أن أماتَ اللهُ الحجاجَ وَخَلَّصَهُمْ منه ومن ظلمه ولم يمض على قتلِهِ سعيداً خمس عشرة ليلة.

والدليل الآخر هو في عبارة ياقوت الحموي نفسها، حيث إن العبارة لا تخلو من تناقض إذ يقول: (... وبها قبر (يزعمون) أنه قبر سعيد بن جبير الذي قتلهُ

---

(١) الديارات لعلي بن محمد الشّابشتي: ص١٧٦، طبع في بغداد لسنة ١٩٥١م.

(٢) مباحث عراقية لسركيس يعقوب: ج٢، ص١٠٧.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٦.

(٥) المصدر السابق نفسه.

الحجاج)[١]. فكلمة (يزعمون) ظنية والظنُّ لا يغني عن الحق شيئاً! وأن ما يذكره هو كما ذكرنا من باب ذكره مواقع الحوادث المشهورة في غير موضعها الحقيقي، إذ كيف يكون قبر سعيد مشهوراً ثم يعين له موضعاً ما سمعنا مؤرخاً غيره قد وافقه عليه سابقاً أوْ لاحقاً، بينما اتفق الجميع على أن هذا القبر هو قبر سعيد بن جبير الذي تواترت الروايات على نسبته كما ثبت في المصادر القديمة بأنه ظل مزاراً للمسلمين[٢]. يتبركون به ويتخذون من قصته دروساً يعتبرون بها.

(ولم يَنسَ المؤرِّخون أن يتثبتوا من مسألة تاريخية أخرى وهي أن الأراضي التي بين مدينة (واسط) وشط الغراف كانت دياراً عامرة بالمزارع والبَساتين والسبب يعود إلى أن أكثر (مياه دجلة كانت تسيل في نهر الغراف منذ أيام الساسانيين، والقليل منها كان يمرّ في دجلة...)[٣].

ولما غيّر (دجلة) مجراه متخذاً مجرى يبعد مسافة كبيرة شرقي واسط، نزح عنها أهلها نحو الخصب والماء في الديار المحيطة بقبر سعيد بن جبير، واشتهر بعد ذلك بـ(حي واسط) والتي تعرف حالياً (بقضاء الحي) والتي يُرمز لها في الخرائط الجغرافية بـ(الحي) والتي (يقال لها - حي واسط - للتمييز بينها وبين أحياء كانت هناك في القديم)[٤] - ولا تبعد عن مدينة كوت مركز محافظة واسط بأكثر من ٢٥ ميلاً في الجنوب الغربي منها.

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي: ج١، ص٣٧٤.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢، ص١١٦؛ شذرات الذهب لابن عماد الحنبيل: ج١، ص١٠٨.

(٣) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تأليف: ستيفن هيمسلي لونكريك، ترجمة د. جعفر خياط: ص٢، الطبعة الثالثة في بغداد لسنة ١٩٦٢م.

(٤) مباحث عراقية، تأليف يعقوب سركيس: ج٢، ص٣٦؛ العراق قديماً وحديثاً لعبد الرزاق الحسني: ج١، ص٢٠١-٢٠٢.

### عمارة القبر

يقع قبر سعيد بن جبير في القسم الجنوبي من مدينة (الحي) والتي تُذكر مضافة إلى (واسط) في سجلات ووثائق التسجيل العقاري في العهد العثماني - الطابو - للأراضي الزراعية المحيطة بقبر سعيد وفي غيرها من الوثائق والمستندات الأثرية والسجلات الحكومية العراقية على مرّ العصور فيقال (حي واسط).

وقد تبيّن - بعد التمحيص والبحث - أن الأرض المحيطة بضريح سعيد هي وقف مسجل لعمارة وسدانة القبر، ولا يحلو لأهل حي واسط على مرّ العصور إلا تجديد عمارة القبر بما يليق بمقام صاحبه ولا يزال قبر سعيد مزاراً للمسلمين.

وتمرّ القرون وقبر سعيد تتولاّه الأيدي الخيّرة بالرعاية إلى أن هَيَّأ اللهُ له من شَيَّدَ قبة كبيرة تظلل قبره الطاهر وتقي زُواره من حرارة الشمس المحرقة صيفاً وتمنع عنهم بَرْدَ الشتاء وأمطاره، وذلك في (سنة ١٠٥٣هـ، ١٦٤٣م)، والمحسن الكريم الذي قام بهذا العمل الحميد هو (كنعان أغا) وقد حفظ لنا تاريخ عمارة القبة في (رخامة) أشار فيها إلى أنه قد بنى قبة لضريح سعيد بن جبير مع إيوان مسقوف بجانب الضريح لاستراحة الزوّار في تلك السنة - وقد حاولت أن أعثر على ترجمة لهذا المحسن فيما تيسّر بين يديّ من المصادر فلم أوفّق -.

وقد توجهت في حينه إلى (مديرية الآثار العامة) في المتحف العراقي ربيع عام ١٩٦٧م لمقابلة مدير الآثار العامة (فؤاد سفر) وكان وقتها مشغولاً مع بعض المسؤولين عن الصِّيَانة في قسم التكييف في (سرداب التكييف) فاستقبلني مُرَحِّباً وترك المهندسين والاختصاصيين وكان قسم منهم ضباطاً من وزارة الدفاع - وكانت بغداد مهددة بالفيضان - وصعد إلى حديقة المتحف وجلس معي على

مصطبة ولحق بنا ضابط برتبة عميد وهو ينادي العلامة فؤاد سفر قائلاً: يا دكتور المتحف في خطر وأنت جلست في الحديقة تتحدث مع هذا الشاب! فردّ عليه العلامة فؤاد سفر ردّاً طريفاً: أخي أنا وأنت والمتحف وجدنا لخدمة هذا الجيل!!

فاستحيى الضابط وقال: أرجو المعذرة، على راحتك دكتور، ونحن بانتظارك، ثم عاد إلى فريق الصيانة في (السرداب).

والتفت إليَّ العلامة فؤاد سفر بوجه مشرق وهو يقول: تفضل أنا متفرغ إليك! فشكرته وبدأت حديثي عن بحثي عن سعيد بن جبير وهو ينصت مبتهجاً وبيّنت له رأيي فيما رواه ياقوت الحموي في (معجم البلدان) عن قبر سعيد، فأجابني العلامة فؤاد سفر مشكوراً: (أنَّ موضع قبر سعيد هذا ثابت تاريخياً كما أنني مقتنع بأن عمارة القبة على يد (كنعان أغا) قد سبقتها عمارةٌ بشكل من الأشكال، أما تحديد هوية (كنعان أغا) من دون معرفة بقية اسمه الكامل فهو أمر لا يخلو من الصعوبة خاصة وأن اللفظة (أغا) تركية وكانت تطلق على العسكري والمدني من الموظفين والمستخدمين من الدرجة الوسطى وأحياناً العليا).

ثم سألته عن أمرٍ هُوَ أدرى به من غيره لأنه عالم آثار من صميم أهل ما بين النهرين، قلت: أستاذ، حدث أثناء تجديد عمارة المرقد أن وجد أهل مدينة حي واسط أحجاراً تغطي التراب الذي يحتوي رفاة سعيد وتتميز بأن عليها كتابة مسمارية فما تعليلك وأنت العالم المختص بالسومريات؟ فتبسّم وأجاب إجابة قاطعة كأنه أدرك قلقي من ردٍّ يشكك في يقيني بموقع القبر وصاحبه ويرجح زَعْمَ ياقوت الحموي قال: اطمئن فهذه الديار هي مملكة (انتمينا) الملك السومري الذي فَجَّرَ نهر الغراف من دجلة إلى هذه الديار التي قامت فيها حضارة سومرية وإن كانت قد زالت، فآثارها لم تزل، وهذا عندنا من طبائع نشوء وفناء الحضارات أن

تنشأ حضارة فوق طبقة بقايا حضارة سابقة ومن البديهي لمن يحفر قبراً في هذا المكان أن يستغل الأحجار والصخور التي تعرض له أثناء الحفر أو تكون متناثرة في الموقع، فَلِمَ لا ينتفع بها في صيانة القبر! وهذا أمرٌ لاحظناه كثيراً ما يتكرر حدوثه عندنا كآثاريين، وهذا ما حدث لسعيد تماماً عندما دُفِنَ في هذه الديار).

فشكرته وأطريتُ علمه وحسن تحليله ثم ودّعته وودّعني وعاد إلى مهمته.

### عمارة المسجد

وفي عام ١٩٠٠م بنى أحد أفراد أسرة (الشعر باف) جامعاً ملاصقاً للإيوان من الجهة الجنوبية على مساحة من الأرض تبلغ مساحتها (٣٠٠م٢) وبسقف معقود بقباب صغيرة على أساطين وسط الجامع، ثم صار هذا الجامع بعد ذلك خاصاً بالنساء، وصار الإيوان المحيط بالضريح مصلى للرجال يصلون فيه فرادى لأن الفسحة المحيطة بالضريح لا تتجاوز مساحتها (١٠٠م٢) ونيف.

### تجديد عمارة المرقد

لقد صمدت عمارة المرقد والقبة التي شيدها (كنعان أغا) أكثر من ثلاثة قرون وهي تصارع العوامل الجوية وعوادي الزمن دون صيانة ولا رعاية حتى تهدم من القبة القسم الأعلى، وظهر أن بناءها كان مصمماً من قبتين الواحدة تغلف الأخرى، العليا تحمي الصغرى التي فوق الضريح بريازة متقنة شاهدتها بنفسي قبل نَقضها وإعادة بنائها، حيث ظل القسم الدّاخلي عامراً عند النظر إليه من داخل القبة.

وبقيت حال القبة الخارجية عقوداً من الزمن ولم يعمل أحد على إصلاحها حتى أصيبت القبة الداخلية بشروخ عِدّة مما جعل أمرها يبعث على القلق ثم ازداد

الخوف من أيولها إلى السقوط على رؤوس الزوّار لما سرى الخراب إلى المسجد الملاصق للضريح.

علماً أنّ دائرة الأوقاف لم تعر الموضوع أيّ اهتمام مما حفّز أبناء مدينة (حي واسط) إلى تبني مشروع إعادة إعمار مرقد ومسجد سعيد بن جبير بما يليق بمقامه لأنهم أدركوا أن ترك القبة والمسجد على حالهما مما يسيء إلى سمعتهم عند باقي إخوانهم الزوّار من أرجاء العراق وبلاد المسلمين ممن بدأوا يتوافدون في السنين الأخيرة إلى قبر سعيد بن جبير بعد تيسّر وسائل المواصلات وتمهيد وتعبيد الطرق.

وتبنّى العلامة الجليل الشيخ عبد الأمير بن الشيخ موسى القسّام الأَمَرَ وَفَتَحَ باب التبرعات في الخمسينات من القرن العشرين وكلّف أحد الأتقياء من أبناء المدينة وهو (المرحوم الحاج ظاهر البهلي ــ ت ١٩٧٠م ــ) ليكون على رأس العاملين عليها.

ولكن أحد المسؤولين في العهد الملكي زعم أن الحكومة بصدد إعادة عمارة المرقد والمسجد بريازة فخمة تليق بمنزلة (شيخ التابعين سعيد بن جبير) وادّعى أن الحكومة قد خولته للقيام بهذا العمل الجبار الذي ستنفق الحكومة مبالغ طائلة على عمارته، وطالب بتسليم التبرعات إليه بصفته ممثل الحكومة وستتكفل الحكومة بالباقي!!!

ومرّت الأيام وأبناء (حي واسط) يسلمون التبرعات لهذا المسؤول وهم ينتظرون أن يبشرهم هذا المسؤول بأن الحكومة بَرَّتْ بوعدها!

وفجأة انتقل هذا المحتال مختلساً الأموالَ لِيُعيدَ ما تعوّد عليه من الاحتيال في غير مَحل!!

ولما بلغ الخبرُ مسامع (الشيخ عبد الأمير بن الشيخ موسى القسام) تبسم بوجهه الصبوح الوسيم وقال: فوّضتُ أمره إلى الله وهو نعم المولى ونعم النصير!).

وأعاد الشيخ حملة التبرعات، وباشر المرحوم الحاج ظاهر البهلي يحمل كيسه ذا اللون الأسود، حيث كان الكيسُ شعاراً كافياً في مغزاه لأبناء المدينة، فما أن يمر الحاج ظاهر وبيده (الكيس الأسود) إلاّ وامتدّت الأيدي بما يملأه دون أن يتكلف الحاج ظاهر فتح فمه.

والعلامة المرحوم الشيخ عبد الأمير بن الشيخ موسى القسام قائم على عقد الندوات يحث إخوته وأبناءَه ويثير هممهم حتى كان الفقير المعدم يأبى إلاّ أن يساهم ولو بقطعة نقد صغيرة يدفعها عنه وعن أفراد عائلته، وكنّا نتندّر في ذلك ونقول: فلان اشترى (طابوقة) في الجنّة.

وَرُسِمَتْ الخرائط وَبُوشِرَ بالعمارة عام ١٩٦١م.

وبدأ البناء على مساحة واسعة من الأرض، وبعد سبع سنوات أي عام (١٩٦٨م) اكتملت عمارة القبر تظلله قبة كبيرة جميلة الرّيازة يحيط بها صحن واسع، واستمرّ البناء والإضافات حتى اكتمل الصحن الكبير الذي يحتوي على غرف عديدة.

وأوصلت الكهرباء إلى المرقد، وبُلِّطَ الطريق الذي يربط مركز مدينة (حي واسط) بالمرقد الشريف.

ولم يتوقف أبناء المدينة عن جمع التبرعات للضريح، بل صارت عادة جمع التبرعات لتطوير المرقد وصيانته ظاهرة محببة إلى نفوسهم يتبركون بها ويفخرون.

وبعدما اكتمل المرقد وصحنه ومرافقه الخدمية وصار مزاراً ومَعْلَماً سياحياً وضعت مديرية الأوقاف العامة المرقد تحت إشرافها.

# الخاتمة

(ومن شاء أنْ يعظم الشهادة ما عليه إلاّ أن يتوجه إلى مدينـة (حـي واسـط) ليستقبله (سعيد بن جبير) تحت قبته الشامخة في الجنوب الـشرقي مـن المدينـة، قـائلاً له: ها أنذا سعيد بن جبير قارعت ظلم الحجاج وانتـصرت عليـه وفـزت بالـشهادة والذكر الحميد، أرقدُ بين قوم أكرموا مثواي فانظر أين أنا وأين الحجاج؟

وعند الضريح يجـد الزائـر وجوهـاً ناضـرة مستبـشرة تعلقـت قلوبهـا بـسعيد الشهيد السعيد ولسان حالها يقول: إنّ سعيداً عاش قدوة ومات قدوة وله عند الله حظوة نسأل اللهَ به مستشفعين يوم الدين لأنه من عبادِهِ المُخْلَصِينَ ممن ساروا على هدى سيد المرسـلين صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ومنـهاج آلـه الطيـبين الطـاهرين شفعاءِ يوم الدين يوم لا تقبل شفاعة إلا لمن ارتضى!

والحمد لله رب العالمين.

# المصادر والمراجع


١. القرآن الكريم

٢. الإتقان في علوم القرآن السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) (القاهرة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١).

٣. الإجازات العلمية، د. عبد الله الفياض (بغداد ١٩٦٧م).

٤. الاحتجاج، الطبرسي، الحسن رضي الدين أبو نصر بن الفضل الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري (النجف ١٣٨٦هـ - ١٩٦١م).

٥. إحياء علوم الدين، الغزالي، محمد (ت ٥٠٥هـ) مطبعة البابي الحلبي (مصر ١٩٣٩هـ - ١٣٥٨م).

٦. الاختصاص، الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣هـ) (طهران ١٣٧٩هـ).

٧. أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، لونكريك ستيفن هيمسلي، ترجمة د. جعفر خياط، ط٣ (بغداد ١٩٦٢م).

٨. الأربعين، الشيرازي، جمال الدين (ت ١٠٠٠هـ) (طهران.

٩. إرشاد الفحول إلى علم الأصول، الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) عالم الكتب (لبنان).

١٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، الحافظ أبو محمد، محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) تحقيق محمد البجاوي، دار الجيل (بيروت لبنان ١٤١٢هـ).

١١. أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير عز الدين (ت ٦٣٠هـ) دار الفكر (بيروت، لبنان ١٤٠٩هـ).

١٢. إسعاف الراغبين، الصبان، محمد بن علي (ت ١٢٠٥هـ) نور الأبصار) ح:

١٣. أسنى المطالب، الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) (القاهرة (لا.ت)).

١٤. الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) (القاهرة ١٩٣٩م).

١٥. أضواء على السنة المحمدية، أو دفاع عن الحديث، أبو رية، محمود، ط٢، أنصاريان، (قم ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

١٦. الأعلام، الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٦هـ) (القاهرة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م).

١٧. الإكليل، الهمداني، الحسن بن أحمد (القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

١٨. أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، علي بن الحسين، تحقيق حمد أبو الفضل (ت القاهرة ١٩٥٤م).

١٩. الأمالي، ألشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) (النجف ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م).

٢٠. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) تحيق د. طه محمد الزيني، مؤسسة البابي الحلي (القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

٢١. إمتاع الأسماع، المقريزي، تحقيق محمود شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة ١٩٤١م).

٢٢. إيمان أبي طالب، الحائري، فخار بن معد (النجف ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م).

٢٣. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ) (طهران ١٣٧٦هـ).

٢٤. بحر الأسانيد، السمرقندي، الحافظ أبو محمد (ت ٤٩١هـ).

٢٥. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل (القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).

٢٦. البيان في تفسير القرآن، الخوئي، أبو القاسم (النجف ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م).

٢٧. البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الخانجي، ط٣ (القاهرة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨) وطبعة (القاهرة ١٣٨هـ - ١٩٦٨م).

٢٨. تاريخ الخلفاء، السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٦٩م).

٢٩. تاريخ الرسل والملوك، الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) (القاهرة ١٩٣٩م).

٣٠. تاريخ الكوفة، النراقي، حسين بن أحمد (النجف ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م).

٣١. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح الإخباري (ت ٢٩٢هـ) (النجف ١٣٥٨هـ).

٣٢. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) (القاهرة ١٣٤٩هـ - ١٩٣١).

٣٣. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله (ت ٥٧١هـ) دار الفكر (بيروت ١٤١٦هـ).

٣٤. تاريخ واسط، بحشل، أسلم بن سهل الرزاز، تحقيق سركيس عواد (بغداد ١٩٦٧م).

٣٥. تحفة الأشراف لمعرفة الأطراف، العلامة أبو الحجاج المزّي (ت ٦٠٥هـ) (طبعة دار القيامة بمباي).

٣٦. تذكرة الحفّاظ، الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن فايماز (ت ٧٤٨هـ) (بيروت ١٣٧٤هـ).

٣٧. تذكرة خواص الأمة، سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ)، منشورات الشريف الرضي (قم ١٤١٨هـ).

٣٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء، ابن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ) (حلب (لا.ت)، وط٢، دار المعرفة (بيروت ١٤٠٨هـ).

٣٩. تفسير روح المعاني، الآلوسي، شهاب الدين (ت ١٢٧٠هـ).

٤٠. تفسير سورة النور، الطباطبائي، الحسين بن مرتضى (ميس ١٢٨٨هـ).

٤١. التفسير والمفسرون، الذهبي، محمد حسين، (القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م).

٤٢. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأخبار، لأبي جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت ٢٢٤-٣١٠هـ) مسند عبد الله بن عباس (ر) السفر الثاني قرأهُ وأخرّجَ أحاديثه أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر (القاهرة ١٩٨٢م).

٤٣. تهذيب التهذيب، العسقلاني، ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، ط١، دار الفكر (بيروت ١٤١٥هـ).

٤٤. جامع البيان، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) (القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).

٤٥. جامع الرواة، الأردبيلي، محمد بن علي (طهران ٣٣٤هـ).

٤٦. جمع الجوامع، السيوطي جلال الدين، عبد الرحمن (ت ٩١١هـ).

٤٧. جوامع السيرة، الأندلسي، ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) تحقيق د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد (القاهرة (لا.ت)).

٤٨. جواهر العقدين، العلامة السمهودي (ت ٩١١هـ) دار الكتب (بيروت ١٤١٥هـ).

٤٩. حِلية الأولياء، الأصبهاني، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ) (القاهرة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م).

٥٠. حياة الحيوان الكبرى، الدميري، كمال الدين (ت ٨٠٨هـ)، (القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).

٥١. الحيوان، الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، (القاهرة ١٩٤٩م - ١٩٥٠م).

٥٢. خمسون ومائة صحابي مختلق، العسكري، مرتضى (بغداد ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

٥٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، أبو بكر، عبد الرحمن بن أبي طالب (ت ٩١١هـ) (طهران (أوفست)).

٥٤. الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر، الحافظ يوسف النمري، تحقيق د. شوقي ضيف (القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

٥٥. دلايل النبوة، الأصبهاني، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ) (حيدر آباد ١٣٢٠هـ).

٥٦. الدولة العربية وسقوطها، يوليوس فلهاوزن، (دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م).

٥٧. الديارات، الشابشتي، علي بن محمد (بغداد ١٩٥١م).

٥٨. ذخائر العقبى، المكي، أحمد بن محمد (ت ٦٩٤هـ) ط المقدسي (القاهرة ١٣٥٦هـ).

٥٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) (أزسال ١٣٢٠هـ - ١٣٢٢هـ).

٦٠. ذكر أخبار أصبهان، الأصبهاني، أبو نعيم (ت ٤٣٠) (ليدن ١٩٣١م).

٦١. ذيل الأمالي والنوادر، القالي، أبو علي (بيروت (لا.ت)).

٦٢. رجال الكشي، محمد بن عمر بن عبد العزيز، تعليق أحمد الحسيني، مؤسسة الأعلمي (كربلاء (لا.ت)).

٦٣. الرجال، ابن داود، الحسن بن علي (طهران ١٣٤٢هـ).

٦٤. الرجال، الطوسي، أبو جعفر، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) (النجف ١٣٨١هـ - ١٩٦١م).

٦٥. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الخوانساري، محمد باقر الموسوي الأصبهاني (ت ١٣١٣هـ) تحقيق أسد الله اسماعيليان (طهران ١٣٤٧هـ).

٦٦. الرياض النضرة، محب الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ) ط محمد أمين الخانجي بمصر.

٦٧. سبل الهدى والرشاد في أسماء خير العباد، الشامي، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢هـ).

٦٨. سفينة البحار، القمي، الشيخ عباس (ت ١٣٥٩هـ) (طهران (أوفسيت)).

٦٩. سنن ابن ماجة، القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، (ت ٢٧٥هـ) (دار الفكر، بيروت (لا.ت)).

٧٠. سنن ابي داود، السجستاني، أبو داود (ت ٢٧٥هـ) دار الفكر (بيروت، لبنان (لا.ت)).

٧١. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) (الجامع الصحيح) دار إحياء

التراث العربي (بيروت (لا.ت))

٧٢. السنن الكبرى، البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي، (ت ٤٥٨هـ) دار الفكر، (بيروت، لبنان (لا.ت)).

٧٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين (ت ٧٤٨هـ) (القاهرة ١٩٥٦هـ).

٧٤. السيرة النبوية، العلامة المحقق السيد سامي البدري، مؤسسة طور سينين (قم ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٧٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الحنبلي ابن العماد عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ) (مصر ١٣٥٠هـ).

٧٦. شرح ديوان جرير، الصاوي، محمد بن إسماعيل، (القاهرة ١٣٥٣هـ).

٧٧. شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) طبع دار إحياء التراث العربي، ط٢ (بيروت ١٣٨٥هـ).

٧٨. شيخ المضيرة، أبو هريرة، محمود أبو رية، ط٣ (دار المعارف بمصر ١٩٧٠م).

٧٩. صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ)، ط١، المطبعة العثمانية المصرية (القاهرة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) وطبعة عالم الكتب، ط٥ (بيروت ١٤٠٦هـ).

٨٠. صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (ت ٢٦١هـ)، دار الفكر، ط٢، (بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ).

٨١. الصراع بين الأَمَوِيّين ومبادئ الإسلام، د. نوري جعفر، مطبعة الزهراء (بغداد ١٩٥٦م).

٨٢. الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ) (المطبعة الميمنية بمصر، وطبعة مؤسسة الرسالة (بيروت لبنان ١٤١٧هـ)، ط١.

٨٣. الطبقات الكبرى، الزهري، محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) (بيروت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).

٨٤. عبد الله بن سبأ، العسكري، مرتضى (بغداد ١٩٦٩م).

٨٥. العراق قديماً وحديثاً، الحسني، عبد الرزاق (صيدا لبنان ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م).

٨٦. العقد الفريد، الأندلسي، ابن عبد ربه أحمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ) (القاهرة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م).

٨٧. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، العيني الحنفي، محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ).

٨٨. عيون الأخبار، الدينوري، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) (القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م).

٨٩. غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد (ت

٨٣٣هـ) تحقيق ج. برجشتراس (القاهرة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م-١٩٣٣م).

٩٠. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الأميني (ت ١٣٨٩هـ)، عبد الحسين بن أحمد، ط٤، دار الكتاب العربي (بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

٩١. فتوح البلدان، البلاذري، أبو الحسن (ت ٢٧٩هـ)، (القاهرة ١٩٥٩م).

٩٢. فجر الإسلام، د. أحمد أمين المصري، ط٧ (القاهرة ١٩٥٥م).

٩٣. فرائد السمطين، الحمويني، شيخ الإسلام، إبراهيم بن محمد الجويني الخراساني (ت ٧٣٠هـ) تحقيق محمد باقر المحمودي، نشر مؤسسة المحمودي (بيروت ١٣٩٨هـ).

٩٤. الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي للسيد المرتضى، الشيخ محسن آل شيخ محمد النجفي (النجف ١٣٥٥هـ).

٩٥. فردوس الأخبار، الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرويه (ت ٥٠٩هـ) دار الفكر (بيروت ١٤١٨هـ).

٩٦. الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام المالكي، ابن الصباغ علي بن محمد (ت ٨٥٥هـ) مؤسسة دار الكتب التجارية، (النجف (لا.ت)).

٩٧. الفهرست، ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨هـ) (القاهرة (لا.ت)).

٩٨. فوائد المجموعة، الشوكاني، القاضي محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ).

٩٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، محمد بن عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ) تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية (بيروت، لبنان ١٤١٥هـ).

١٠٠. قاموس الرجال، التستري، محمد تقي (طهران ١٣٠٠هـ).

١٠١. القصد والأمم، القرطبي، يوسف بن عبد البر (النجف (لا.ت)).

١٠٢. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، (ت ٦٣٠هـ) (بيروت ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م).

١٠٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) (طهران (أوفست)) عن طبعة حيدر آباد.

١٠٤. كفاية الطالب، الكنجي، محمد بن يوسف (ت ٦٥٨هـ).

١٠٥. كنز العرفان في فقه القرآن، السيوري، أبو عبد الله، (النجف (لا.ت)).

١٠٦. مباحث عراقية، يعقوب سركيس (بغداد ١٩٦٠م).

١٠٧. مجمع البيان، الطبرسي، ابو علي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) تحقيق السيد هاشم الرسولي، دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان ١٣٧٩هـ) وطبعة (طهران ١٣٨٢هـ).

١٠٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، أبو بكر (ت ٨٠٧هـ) دار الكتاب العربي ط٣ (بيروت - لبنان ١٤٠٢هـ).

١٠٩. المحاضرات، الفياض، د. عبد الله (بغداد ١٩٦٧م).

١١٠. المحلّى، الأندلسي، ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، (القاهرة (لا.ت)).

١١١. مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) تحقيق المستشرق: ج. برجشتراسر (القاهرة ١٩٣٤م).

١١٢. مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، اليافعي عفيف الدين، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني (ت ٧٦٨هـ) (بيروت ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).

١١٣. المرقاة في شرح المشكاة، الهروي، علي القاري (ت ١٠١٤هـ).

١١٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) (القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م).

١١٥. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله بن حمدويه (ت ٤٠٥هـ) دار الفكر (بيروت - ١٣٩٨هـ) وطبعة حيدر آباد ١٣٣٤هـ.

١١٦. مسند ابن حنبل، أحمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ) طبعة دار المأمون للتراث، وطبعة دار الفكر (بيروت - لبنان).

١١٧. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمد بن طلحة العدوي الشافعي (ت ٦٥٢هـ) تحقيق عبد العزيز الطباطبائي مؤسسة البلاغ (بيروت - لبنان ١٤١٩هـ).

١١٨. المعارف، ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) تحقيق الصاوي، محمد إسماعيل (القاهرة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م).

١١٩. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، أبو جعفر، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) (طهران ١٣٧٩هـ).

١٢٠. معاوية بن أبي سفيان، لعباس محمود العقاد (القاهرة).

١٢١. معجم البلدان، الحموي، ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ) (بيروت ١٣٧٦هـ - ١٩٥٣م).

١٢٢. المعجم الصغير، الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٠٣هـ).

١٢٣. المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، (طهران) وطبعة دار إحياء التراث

العربي تحقيق حمدي عبد المجيد.

١٢٤. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، (دمشق ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م).

١٢٥. معرفة الصحابة، الأصبهاني، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ) ط (طهران) وطبعة دار الوطن، الرياض ١٤١٩هـ تحقيق عادل بن يوسف العزازي.

١٢٦. مفتاح العلوم، السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت ٦٢٦هـ)، البابي الحلبي (القاهرة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م).

١٢٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة (بيروت - لبنان (لا.ت)).

١٢٨. المقاصد الحسنة، السخاوي، شمس الدين محمد (ت ٩٠٢هـ).

١٢٩. مقتل الحسين، الخطيب الخوارزمي، الموفق بن أحمد، (ت ٥٦٨هـ) تحقيق محمد السماوي، أنوار الهدى (قم ١٤١٨هـ).

١٣٠. مقدمة كتاب العبر، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ) (بيروت ١٩٧١م).

١٣١. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) (النجف ١٣٧٨هـ).

١٣٢. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨هـ) طبعة حجرية (طهران (لا.ت))، وطبعة دار الأضواء؛ تحقيق يوسف البقاعي (بيروت ١٤١٢هـ).

١٣٣. مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ابن المغازلي، الحافظ الفقيه، علي بن موسى الشافعي (ت ٤٨٣هـ) دار الأضواء (بيروت ١٤١٢هـ).

١٣٤. مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الخطيب الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨هـ) تحقيق مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي (قم ١٤١١هـ).

١٣٥. المنتخب من كتاب ذيل المذيل، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) (القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٨م).

١٣٦. منتهى المقال في أحوال الرجال، الحائري، الشيخ أبو علي (طهران ١٣٠٠هـ).

١٣٧. الموالي في العصر الأموي، ابن النجار، محمد الطيب، (القاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م).

١٣٨. مودة القربى، العلامة، الهمذاني الشافعي، الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن الحسين بن علي.

١٣٩. نزهة الأرواح، الهروي، صدر الدين الفوزي.

١٤٠. نقد الصحيح، الفيروز آبادي، مجد الدين (٨١٧هـ).

١٤١. نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب، (طهران (لا.ت)) وطبعة دار الكتب المصرية).

١٤٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ) تحقيق محمود الطناحي وطاهر أحمد، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣).

١٤٣. نور الأبصار في مناقب النبي المختار، الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن، دار الفكر (بيروت - لبنان (لا.ت)).

١٤٤. هداية السعداء، الدولت آبادي، شهاب الدين، (ت ٨٤٩هـ).

١٤٥. الوزراء والكتاب، الجهشياري، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ) تحقيق مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٧م).

١٤٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلّكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) تحقيق د. إحسان عباس (طبعة بيروت) و(طبعة مصر) تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٤٩م).

١٤٧. ينابيع المودة، القندوزي، سليمان بن إبراهيم، (ت ١٢٩٤هـ) تحقيق علي جمال أشرف، دار الأسوة، (قم ١٤١٦هـ).

# المحتويات



## الفصل الأول

## سعيد بن جبير

# الفصل الثاني
# نتاجه الفكري

## الفصل الثالث

## صلة سعيد بمشاهير عصره



## الفصل الرابع

## اختفاء سعيد وعزلته



## الفصل الخامس

## الحجاج ينشط في البحث عن سعيد

## الفصل السادس

## سعيد بين يدي الحجّاج



## الفصل السابع

## سعيد بن جبير والحجاج في الميزان



## الفصل الثامن

## مرقد سعيد بن جبير

# إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

# في العتبة الحسينية المقدسة

| ت | اسم الكتاب | تأليف |
|---|---|---|
| ١ | السجود على التربة الحسينية | السيد محمد مهدي الخرسان |
| ٢ | زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية | |
| ٣ | زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو | |
| ٤ | النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى | الشيخ علي الفتلاوي |
| ٥ | هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى | الشيخ علي الفتلاوي |
| ٦ | الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي | الشيخ علي الفتلاوي |
| ٧ | منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان | الشيخ وسام البلداوي |
| ٨ | الجمال في عاشوراء | السيد نبيل الحسني |
| ٩ | ابكِ فإنك على حق | الشيخ وسام البلداوي |
| ١٠ | المجاب بردّ السلام | الشيخ وسام البلداوي |
| ١١ | ثقافة العيدية | السيد نبيل الحسني |
| ١٢ | الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن | السيد عبد الله شبر |
| ١٣ | الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين | الشيخ جميل الربيعي |
| ١٤ | من هو؟ | لبيب السعدي |
| ١٥ | اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟ | السيد نبيل الحسني |
| ١٦ | المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام | الشيخ علي الفتلاوي |

| | | |
|---|---|---|
| ١٧ | أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم | السيد نبيل الحسني |
| ١٨ | حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) | السيد محمدحسين الطباطبائي |
| ١٩ | الحيرة في عصر الغيبة الصغرى | السيد ياسين الموسوي |
| ٢٠ | الحيرة في عصر الغيبة الكبرى | السيد ياسين الموسوي |
| ٢١ - ٢٣ | حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ثلاثة أجزاء | الشيخ باقر شريف القرشي |
| ٢٤ | القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام | الشيخ وسام البلداوي |
| ٢٥ | الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة | السيد محمد علي الحلو |
| ٢٦ | قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام | الشيخ حسن الشمري |
| ٢٧ | حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية | السيد نبيل الحسني |
| ٢٨ | موجز علم السيرة النبوية | السيد نبيل الحسني |
| ٢٩ | رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة | الشيخ علي الفتلاوي |
| ٣٠ | التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC) | علاء محمد جواد الأعسم |
| ٣١ | الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام | السيد نبيل الحسني |
| ٣٢ | الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة) | السيد نبيل الحسني |
| ٣٣ | الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل | الدكتور عبدالكاظم الياسري |
| ٣٤ | رسالتان في الإمام المهدي | الشيخ وسام البلداوي |
| ٣٥ | السفارة في الغيبة الكبرى | الشيخ وسام البلداوي |
| ٣٦ | حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة) | السيد نبيل الحسني |
| ٣٧ | دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين | السيد نبيل الحسني |
| ٣٨ | النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الثانية | الشيخ علي الفتلاوي |
| ٣٩ | زهير بن القين | شعبة التحقيق |
| ٤٠ | تفسير الإمام الحسين عليه السلام | السيد محمد علي الحلو |
| ٤١ | منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن | الأستاذ عباس الشيباني |
| ٤٢ | السجود على التربة الحسينية | السيد عبد الرضا الشهرستاني |
| ٤٣ | حياة حبيب بن مظاهر الأسدي | السيد علي القصير |
| ٤٤ | الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها | الشيخ علي الكوراني العاملي |
| ٤٥ | السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري | جمع وتحقيق: باسم الساعدي |
| ٤٦ | موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف - ثلاثة أجزاء | نظم وشرح: حسين النصار |
| ٤٧ | الظاهرة الحسينية | السيد محمد علي الحلو |
| ٤٨ | الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام | السيد عبد الكريم القزويني |

| | | |
|---|---|---|
| ٤٩ | الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية | السيد محمد علي الحلو |
| ٥٠ | نساء الطفوف | الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد |
| ٥١ | الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد | الشيخ محمد السند |
| ٥٢ | خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد | السيد نبيل الحسني |
| ٥٣ | السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام | الشيخ علي الفتلاوي |
| ٥٤ | تاريخ الشيعة السياسي | السيد عبد الستار الجابري |
| ٥٥ | إذا شئت النجاة فزر حسيناً | السيد مصطفى الخاتمي |
| ٥٦ | مقالات في الإمام الحسين عليه السلام | عبد السادة محمد حداد |
| ٥٧ | الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني | الدكتور عدي علي الحجّار |
| ٥٨ | فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين | الشيخ وسام البلداوي |
| ٥٩ | نصرة المظلوم | حسن المظفر |
| ٦٠ | موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة | السيد نبيل الحسني |
| ٦١ | ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية | الشيخ وسام البلداوي |
| ٦٢ | أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة | السيد نبيل الحسني |
| ٦٣ | ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة | السيد نبيل الحسني |
| ٦٤ | نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام | الشيخ ياسر الصالحي |
| ٦٥ | تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعتيم البخاري | السيد نبيل الحسني |
| ٦٦ | رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية | الشيخ علي الفتلاوي |
| ٦٧ | شيعة العراق وبناء الوطن | محمد جواد مالك |
| ٦٨ | الملائكة في التراث الإسلامي | حسين النصراوي |
| ٦٩ | شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق | السيد عبد الوهاب الأسترآبادي |
| ٧٠ | صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري | الشيخ محمد التنكابني |
| ٧١ | الطفيات - المقولة والإجراء النقدي | د. علي كاظم المصلاوي |
| ٧٢ | أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام | الشيخ محمد حسين اليوسفي |
| ٧٣ | الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية | السيد نبيل الحسني |
| ٧٤ | سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم | السيد نبيل الحسني |
| ٧٥ | اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة | السيد نبيل الحسني |
| ٧٦ | المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟ | السيد نبيل الحسني |

| | | |
|---|---|---|
| ٧٧ | حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية | السيد نبيل الحسني |
| ٧٨ | ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم | السيد نبيل الحسني |
| ٧٩ | علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة | صباح عباس حسن الساعدي |
| ٨٠ | الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء | الدكتور مهدي حسين التميمي |
| ٨١ | شهيد باخمرى | ظافر عبيس الجياشي |
| ٨٢ | العباس بن علي عليهما السلام | الشيخ محمد البغدادي |
| ٨٣ | خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة | الشيخ علي الفتلاوي |
| ٨٤ | مسلم بن عقيل عليه السلام | الشيخ محمد البغدادي |
| ٨٥ | حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية | السيد محمدحسين الطباطبائي |
| ٨٦ | منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان - طبعة ثانية | الشيخ وسام البلداوي |
| ٨٧ | المجاب برد السلام - طبعة ثانية | الشيخ وسام البلداوي |
| ٨٨ | كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat) | ابن قولويه |
| ٨٩ | Inquiries About Shi‘a Islam | السيد مصطفى القزويني |
| ٩٠ | When Power and Piety Collide | السيد مصطفى القزويني |
| ٩١ | Discovering Islam | السيد مصطفى القزويني |
| ٩٢ | دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني | د. صباح عباس عنوز |
| ٩٣ | القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام | حاتم جاسم عزيز السعدي |
| ٩٤ | قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام | الشيخ حسن الشمري الحائري |
| ٩٥ | تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء | الشيخ وسام البلداوي |
| ٩٦ | الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام | الشيخ محمد شريف الشيرواني |
| ٩٧ | سيد العبيد جون بن حوي | الشيخ ماجد احمد العطية |
| ٩٨ | حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام | الشيخ ماجد احمد العطية |
| ٩٩ | المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ | الشيخ علي الفتلاوي |
| ١٠٠ | هذه فاطمة عليها السلام - ثمانية أجزاء | السيد نبيل الحسني |
| ١٠١ | وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته | السيد نبيل الحسني |
| ١٠٢ | الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي | تحقيق: مشتاق المظفر |
| ١٠٣ | الجعفريات - جزآن | تحقيق: مشتاق المظفر |
| ١٠٤ | نوادر الأخبار - جزآن | تحقيق: حامد رحمان الطائي |
| ١٠٥ | تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - ثلاثة أجزاء | تحقيق: محمد باسم مال الله |

| | | |
|---|---|---|
| ١٠٦ | الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث | د. علي حسين يوسف |
| ١٠٧ | This Is My Faith | الشيخ علي الفتلاوي |
| ١٠٨ | الشفاء في نظم حديث الكساء | حسين عبدالسيد النصار |
| ١٠٩ | قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه | حسن هادي مجيد العوادي |
| ١١٠ | آية الوضوء وإشكالية الدلالة | السيد علي الشهرستاني |
| ١١١ | عارفاً بحقكم | السيد علي الشهرستاني |
| ١١٢ | شمس الإمامة وراء سحب الغيب | السيد هادي الموسوي |
| ١١٣ | Ziyarat Imam Hussain | إعداد: صفوان جمال الدين |
| ١١٤ | البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي | تحقيق: مشتاق المظفر |
| ١١٥ | النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني | تحقيق: مشتاق المظفر |
| ١١٦ | شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله الستري البحراني | تحقيق: مشتاق صالح المظفر |
| ١١٧ | منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي | تحقيق: مشتاق صالح المظفر |
| ١١٨ | قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني | تحقيق: أنمار معاد المظفر |
| ١١٩ | حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي | تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي |
| ١٢٠ | باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة | السيد نبيل الحسني |
| ١٢١ | موسوعة في ظلال شهداء الطف | الشيخ حيدر الصمياني |
| ١٢٢ | تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء | السيد علي الشهرستاني |
| ١٢٣ | The Aesthetics of ‘Ashura | السيد نبيل الحسني |
| ١٢٤ | نثر الإمام الحسين عليه السلام | د. حيدر محمود الجديع |
| ١٢٥ | قرة العين في صلاة الليل | الشيخ ميثاق عباس الخفاجي |
| ١٢٦ | | |
| ١٢٧ | ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ | السيد نبيل الحسني |
| ١٢٨ | الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر | السيد نبيل الحسني |
| ١٢٩ | النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة | مروان خليفات |
| ١٣٠ | البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين | الشيخ حسن المطوري |

| | | |
|---|---|---|
| ١٣١ | تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء | الشيخ وسام البلداوي |
| ١٣٢ | The Prophetic Life A Concise Knowledge Of History | السيد نبيل الحسني |
| ١٣٣ | معاني الأخبار للشيخ الصدوق | تحقيق: السيد محمدكاظم |
| ١٣٤ | ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح ضياء الأخبار | تحقيق: عقيل عبدالحسن |
| ١٣٥ | المنهج السياسي لأهل البيت عليهم السلام | السيد عبدالستار الجابري |
| ١٣٦ | هوامش على رسالة القول الفصل في الآل والأهل | عبدالله حسين الفهد |
| ١٣٧ | فلان وفلانة | عبدالرحمن العقيلي |
| ١٣٨ | معجم نواصب المحدثين | عبدالرحمن العقيلي |
| ١٣٩ | استنطاق آية الغار | السيد نبيل الحسني |
| ١٤٠ | دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية | السيد نبيل الحسني |
| ١٤١ | أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار | السيد محمد علي الحلو |
| ١٤٢ | السنة المحمدية | عبدالرحمن العقيلي |
| ١٤٣ | قواعد حياتية على ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام | الشيخ علي الفتلاوي |
| ١٤٤ | المُثُل العليا في تراث أهل البيت عليهم السلام | د. محمدحسين الصغير |
| ١٤٥ | خاصف النعل | الشيخ ماجد العطية |
| ١٤٦ | الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ورواياته الفقهية | عبد السادة الحداد |
| ١٤٧ | الإمام حسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية | عبد السادة الحداد |
| ١٤٨ | أصول وقواعد تفسير الموضوعي | الشيخ مازن التميمي |
| ١٤٩ | بحوث لفظية قرآنية | عبد الرحمن العقيلي |
| ١٥٠ | مستدرك الكافي | د. علي عبد الزهرة الفحام |
| ١٥١ | الإفصاح عن المتواري من أحاديث المسانيد والسنن والصحاح - جزئين | الحاج محسن الخياط |
| ١٥٢ | آمنة بنت الحسين عليهما السلام | السيد محمد علي الحلو |
| ١٥٣ | أمهات الأئمة المعصومين - جزئين | د. السيد حسين الصافي |
| ١٥٤ | قراءة في السيرة الفاطمية | كفاح الحداد |
| ١٥٥ | الإيمان والعلم الحديث | محمد حسين الاديب |
| ١٥٦ | موسوعة آثار السيد المقرم | السيد عبد الرزاق المقرم |
| ١٥٧ | الأمن في القرآن والسنة | الشيخ خالد النعماني |
| ١٥٨ | شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى | سالم لذيذ والي الغزي |

| | | |
|---|---|---|
| ١٥٩ | الوعي الإسلامي | الشهيد السيد حسن الشيرازي |
| ١٦٠ | الشعائر الحسينية في العصرين الأموي والعباسي | محمد باقر موسى جعفر |
| ١٦١ | الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين عليه السلام | الشيخ حيدر الصمياني |
| ١٦٢ | يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء | ميثاق عباس الحلي |
| ١٦٣ | التلقّي للصّحيفة السّجّاديّة | د. حيدر محمود الجديع |
| ١٦٤ | التقية عند مفكري المسلمين | كاظم حسن جاسم الفتلاوي |
| ١٦٥ | الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام | عبد الحسين راشد معارج |
| ١٦٦ | آيات عتاب الأنبياء في القرآن الكريم | زين العابدين عبدعلي الكعبي |